

صُورٌ مِنْ شَمَالِيَّ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ^٧

فِي مُنْصَفِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ

بِقِيمَتِ السَّكُونِ الرَّهَمَةِ الْفَلَسِفِيَّةِ

جَهُورُجُ أُوغُسْتُ فَالِينْ

«عبد الوَلِيٍّ»

ترجمَةٌ

راجِعَةٌ

يوسفُ بْرَهِمْ زَيْكُ

سَمِيرَ سَلِيمَ شَبِيلِي

«لم ير في العالم كله اولاداً أكثر
تعقلاً واحسن خلقاً وأكثر طاعة لابيهم
من ابناء البدوي».

قالين (ص ١٠٧)

* * *

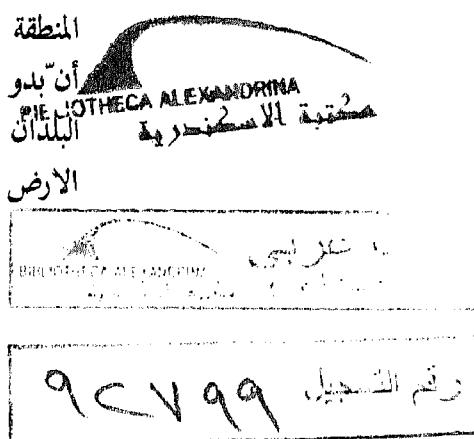
«هذا احسب نجداً ، وبالاد الجبلين
خاصة ، عظيمة الأهمية في تاريخ
هذه الرقة من العالم»

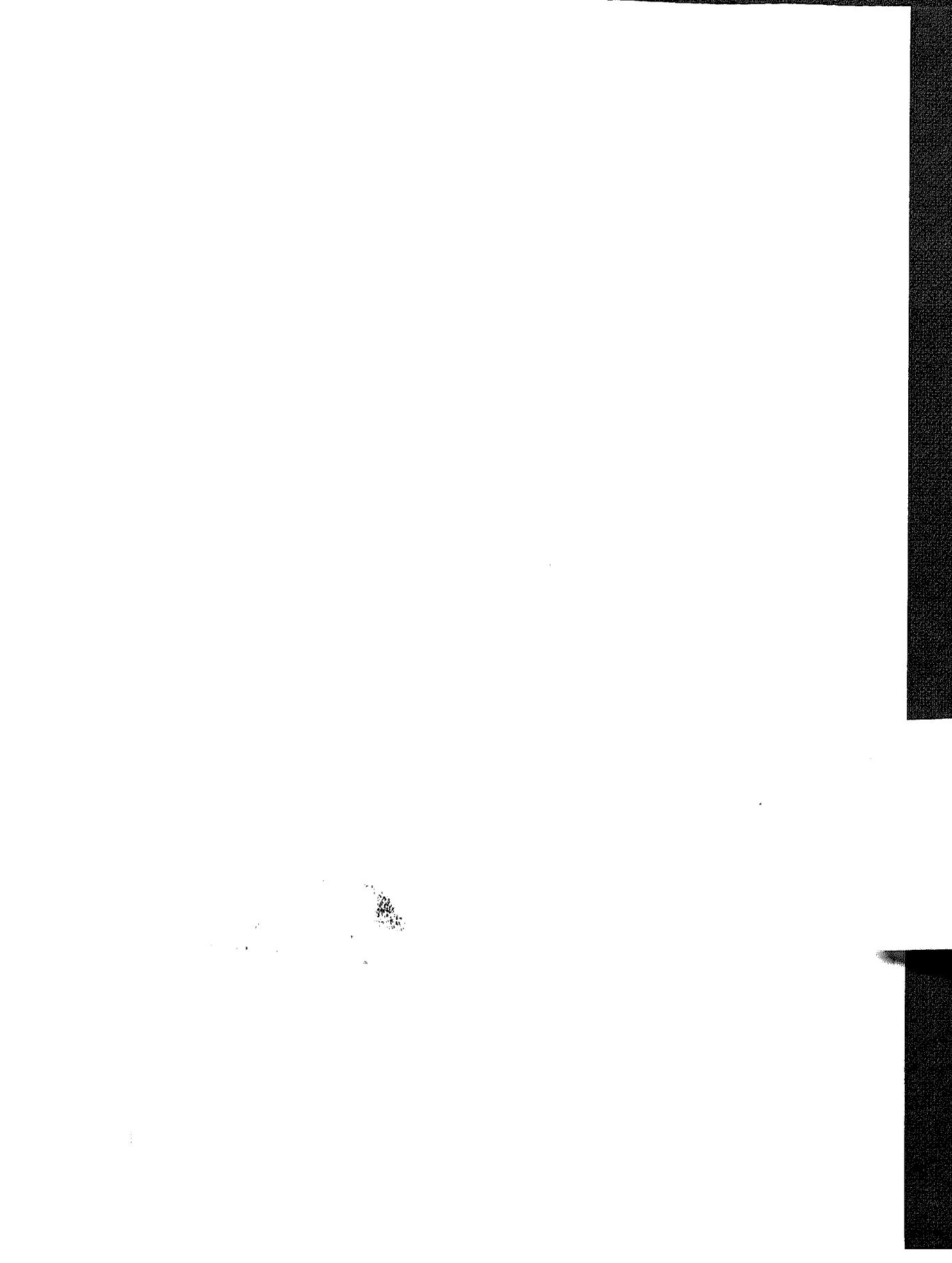
قالين (ص ١٢١)

* * *

«وليس لدى أي شك بأن هذه
المنطقة افضل مقام لرئيس الحكومة لو
أنّ بدو نجد والصحابي السوريه وسكان
البلدان والقرى القليلة المنتشرة في هذه
الارض توحدوا في ظل حكومة واحدة»

قالين (ص ١٢٣)







«صور من جزيرة العرب» للمستعرب المستشرق جورج أوغيسن فالين

مقدمة الطبعة الثانية

تعود العلاقات بين العرب وشعوب دول الاسكندناف، الى حوالي القرن الثامن للميلاد. يؤكد ذلك أَحمد ابْن فضلان الرحالُ العربي المعروف، في رسالته الشهيرة سنة ٣٠٩ هـ. ٩٢٢ م. (حقّقها د. سامي الدهان دمشق ١٩٥٩). وتعتبر هذه الرسالة، بنظر المؤسسات العلمية والمحظيّين، من أهمّ مراجع تاريخ «الفايكنغ»، سكّان البلدان الاسكندنافية. كما تقدّم المتألف الفنلنديّة صورة معينة، عن هذه العلاقات، إذ تضمّ بعض الآثار، خاصةً، القطع النقيّة التي تعود الى العهد العُبَاسي. وقد جمعت هذه التقدّم، عن طريق تنقل «الفايكنغ» عبر الأمبراطورية العربية - الاسلامية وتجارتهم مع سكّانها، في القرن الثامن للميلاد.

الاستشراق في فنلندا عريق، تعود جذوره، لعام ١٦٤٠، عند تأسيس أول جامعة في «توركو»، عاصمة فنلندا، حين كانت فنلندا جزءاً من المملكة السويدية. وقد بُرِزَ عبر التاريخ، العديد من العلماء في أبحاثهم ودراساتهم القيمة، في مجالات عديدة، وفي فترات مختلفة. وما تزال الدراسات العربية والاسلامية، الى أيامنا هذه، تشكّل نواة قسم الدراسات الآسيوية - الافريقية، في جامعة هلسنكي.

لقد جذبت المنطقة العربية، بعض المستشرقين «الاسكندناف»، الذين كتبوا عن الشرق العربي، مسجلين وصفهم وانطباعاتهم عنه، كما أسهمت أبحاثهم وأعمالهم، إسهاماً فعالاً، في نقل صورة عن المنطقة العربية، الى فنلندا، نقاً منصباً، من خلال التحقيقات، وعن طريق مشاهدة الأماكن، التي قاموا بزيارتها، ومن خلال أعمالهم في دراسة اللغة العربية وآدابها والاسلام. كما قاموا بتدريس ما حلوه، الى أجيال جديدة من المستشرقين، الذين حملوا الرأية من بعدهم، عبر القرون.

إن الدافع العلمي للمستشرقين الفنلنديين هو الدافع الرئيسي في

أسفارهم، وأبحاثهم، في التراث العربي والاسلامي. وهذا الدافع هو خال من التعصب والتحامل وغير مرتبط بأهداف توسيعة أو استعمارية. لذا، تخلو المتاحف الفنلندية والاسكندنافية، من تحف وآثار مسلوبة، من المنطقة العربية. ويُعَكِّننا القول، أنَّ الغبن والتقصير قد لحقاً بالمستشرقين الفنلنديين، نتيجة عدم تناول وعناية الباحثين لهم بالدرس أو التمحص لأعمالهم. ولهذا، يستحق الشكر والتقدير كلَّ من ساهم في نشر كتاب أوغست ئلين «صور من شمالي جزيرة العرب»، في اللُّغة العربية.

وقد كان للمؤرخ الراحل يوسف ابراهيم يزبك الفضل الاول في كشف شخصية ئلين للعالم العربي اذ قدم وحقق كتابه الذي ترجمه بكل جدارة وأمانة الاستاذ سمير شبلي. وقد روى الاستاذ يزبك في مقدمة الطبعة الاولى قصته مع هذا الفنلندي الذي احب العرب وأنصفهم.

إنَّ المستعرب «جورج أوغست ئلين»، الملقب بـ «عبد الولي» هو أكثر المستشرقين الاسكندناف شهرة. وهو قد ولد عام ١٨١١، في إحدى جزر أرخبيل «أولاند»، الواقعة بين فنلندا والسويد.

انتقل «ئلين» مع عائلته الى مدينة «توروكو»، في جنوبِ - غربِ فنلندا، لِمَا كان في السادسة من عمره، حيث درس في مدارسها، وفي عام ١٨٢٩ انتقل الى العاصمة الجديدة، هلسنكي، وشرع في دراسة اللغات الشرقية، مرتكزاً على اللُّغة العربية وحضارتها، فكانت أطروحته الأولى: «مقارنات في العربية بين الفصحى والعامية» التي نوقشت عام ١٨٣٩. ومن بعدها، انتقل ئلين الى جامعة «بطرسبورغ» (حالياً لينينغراد) في روسيا، حين كانت فنلندا دولة روسية أثر هزيمة السويد أمام الأمبراطورية الروسية، عام ١٨٠٩. أقام «ئلين» هناك، حوالي السنتين، ليتعمق في دراسة اللُّغة العربية، في جامعة «بطرسبورغ». وبعد عودة ئلين الى هلسنكي، تناول في دراسته وأبحاثه الشعر العربي، ومقامات الحريري، وألف ليلة وليلة.

لعلَّ حبَ الاستطلاع ومعرفة المزيد عن نمط الحياة في الجزيرة العربية والاسلام، كانت من بين الأسباب المشجعة على إصرار «ئلين»، على ترك بلاده فنلندا، رغم مخاطر الأسفار آنذاك، وخاصة في الصحراء، ودون توفر أيِّ من أسباب الراحة، وتحت وطأة الشمس الحارقة، ولدغ المшиرات، حين

كانت وسيلة التنقل الوحيدة، مقتصرة على الجمل أو الحمار، وإلا فالسير على الأقدام.

بعد أن حصل «قلين» على منحة، من جامعة هلسنكي، غادرها في تموز «يوليو»، عام ١٨٤٣ ، عبر باريس، فأقام هناك بعض الوقت، ثم تابع طريقه إلى القاهرة، فوصلها في كانون الثاني «يناير» من العام ١٨٤٤ . أقام فيها، حوالي السنة، وفي نisan «ابريل» سنة ١٨٤٥ ، غادر القاهرة عبر شبه جزيرة سيناء، مارّاً في صحراء الجوف. وبعد أربعة أشهر، تابع طريقه، إلى مكة المكرمة وأدى فيها مراسم الحج، كما طاف مع الحجاج وأقام الصلاة، ولقب نفسه، «بالحجاج عبد الولي»، وفي آذار «مارس» عام ١٨٤٦ ، عاد إلى القاهرة، فلم تطل إقامته فيها، حتى شرع برحلته الثانية، إلى فلسطين، خلال كانون الأول «ديسمبر» ١٨٤٦ ، ثم عاد ثانية إلى القاهرة، في حزيران «يونيو» عام ١٨٤٧ ، وفي كانون الأول «ديسمبر» عام ١٨٤٧ ، شرع عبد الولي بثالث وأطول رحلاته من مصر، فالبحر الأحمر، ومرفأ الموياح، على الشاطئ الغربي للجزيرة العربية، ومنها إلى دمشق في بيروت، ومنها عبر البحر إلى الإسكندرية فالقاهرة التي وصلها في حزيران «يونيو» عام ١٨٤٩ ، ومنها عاد إلى الإسكندرية فهلسنكي مارّاً بلندن، ليحصل على جائزة «الجمعية الملكية الجغرافية» عام ١٨٥٠ ، كأحد أوائل الأوروبيين الذين اجتازوا شمالي الجزيرة العربية.

لدى عودته إلى هلسنكي عام ١٨٥٠ ، قدم «قلين» وناقش أطروحته الثانية عن «ابن الفارض».

في أول كانون الثاني «يناير» عام ١٨٥١ ، نصب عبد الولي، أستاداً لكرسي الدراسات الشرقية، في جامعة هلسنكي، لكنه لم يعمر طويلاً، إذ توفي في ٢٣ تشرين الأول «اكتوبر» عام ١٨٥٢ ، قبل يوم واحد من إتمامه الـ ٤١ عاماً من العمر.

كان «عبد الولي» قد حمل معه بعض المخطوطات العربية، إضافة إلى يومياته المتعددة، التي كتبها خلال رحلته، وهي ما تزال محفوظة في مكتبة جامعة هلسنكي ، وقد حالت المنية دون أن يحقق «قلين» أمله في ما جمعه من مواد علمية، تعتبر كنزًا ثقافياً وحضارياً . وقد قام بوضع ونشر فهرس بها

الأستاذ الراحل «يوسي أرو» الذي ساهم أيضاً مع المؤرخ يزبك والمت禄 شibli في تحقيق هذا الكتاب.

أما قبر «قلين» فهو لا يزال قائماً في هلسنكي إلى اليوم، وقد نقش على شاهده، اسمه العربي «عبد الولي» وبالعربية.

والجدير بالذكر أنَّ في الصفحة الأولى من هذا الكتاب صورة لللوحة زيتية تصوّره بلباسه العربي، رسمت له بعد وفاته، تتقدّر أفحى قاعة من قاعات جامعة هلسنكي.

إنَّ «كتاب صور من الجزيرة العربية»، يعالج موضوعاً هاماً بالنسبة للمنطقة العربية عامة، والجزيرة العربية خاصة، حيث تناول طبيعة المنطقة، وسكانها، ولغتها، وحضارتها، وطقوس الدين فيها، مبرزاً أهمَّ ما قدّمه المنطقة إلى العالم من حضارة وتراث.

على أثر نفاذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب، من جراء الاقبال عليها، ونظرأً لأهميَّته وندرة موضوعه، مما استدعاي الاهتمام بطبعة ثانية.

فكان دور السيد توفيق نجيب فاضل، القنصل الفخرى لفنلندا في لبنان، دوراً ريادياً في أخذ مبادرة نشر وتوزيع هذا الكتاب القييم على عاته، هادفاً من التزامه هذا الواجب المعنوي أن يكون قد خطأ خطوة إيجابية في سبيل توطيد وتطوير العلاقات الطيبة نحو الأفضل بين كلٍّ من فنلندا والعالم العربي أجمع. ولهذا، يستحق السيد فاضل منا ومن كل قارئ، التقدير والعرفان.

هلسنكي في حزيران / يونيو ١٩٩١

فاروق أبو شقرا
أستاذ في الدراسات العربية قسم الدراسات الآسيوية والأفريقية
جامعة هلسنكي - فنلندا.

صلف

هذه الدراسة القيمة ، المنصفة ، عن شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر ، وضعها المستعرب الفنلندي جورج اوغست فالين ، بعد زيارتين قام بهما إلى تلك البلاد ، ونشرت باللغة الانكليزية في جريدة الجمعية الملكية (*) بلوندرا على دفترين : أولاًهما سنة ١٨٥٢ ، وهي التي توفي فيها الكاتب ، والأخرى بعد ستين من وفاته أي سنة ١٨٥٤ .

وشاء سوء حظ الرجل ، وقد رافقه أكثر أيامه ، أن تبقى روايه دراسته الممتازة مجهرة من جماهير القراء ، لم يطلع عليها إلا قبضة من علماء الاختصاص بجغرافية العرب وتاريخهم ، في حين كونها أعظم دراسة في موضوعها كتبها غربي في ذلك الزمان .

ومع جورج اوغست فالين الذي عُرف في العربية باسم « الشیخ عبد الوالی » كان لي قصة ، بل هوى ، يرجع إلى قبيل الحرب العالمية الثانية ، يوم ظهرت بالفرنسية ترجمة كتاب « ارتياح العربية » ، منذ الأزلمنة القديمة حتى

(*) — Journal of the Royal Geographical Society.

أيامنا » (**) للأستاذ البحاثة راء . هاء ، كيرنان ، وقرأت فيها وصف « اكتشاف » المستعرب قالين لديار حائل فقرأت عجبا !

حائل - وما أدركك - احدى مقاطعات نجد ، وطن الرائع من الشعر العربي
المعطر :

لَعَمْرِي ، لَزَهْرُ الْأَقْحَوْانِ بِحَائِلِ
وَنَسَورُ الْخَزَامِي فِي الْأَلَاءِ وَعَرْفَاجِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا يَا حَمِيدَ بْنَ مَالِكٍ
مِنَ الْوَرَدِ وَالْخَيْرِي وَدُهْنُ الْبَنْسُوجِ *

وقلت « اكتشاف » حائل لأن زيارتها يومئذ عسيرة جداً على غير عرب المنطقة ، بل كان دخول الاجانب قلب الجزيرة العربية أمراً مستحيلاً. وما أكثر ما بذله الرحالةون الغربيون من ضروب الجهد وصنوف الحيل لارتيادها واستطلاع مجاهدها ، وكثيرون منهم أعلناوا إسلامهم - مؤمنين أو مصانعين - ولكنهم باقروا بالفشل إلاّ ما ندر .

أما صاحبنا الشيخ عبد الولي فعرف بأنه الرائد الأولي الحقيقي الذي وفق إلى دخول شمالي الجزيرة إذ رحل إليه مرتين وعاد منه بمعلومات بكرٌ عدّها

(*) — R.H. KIERNAN, L'Exploration de l'Arabie depuis les temps anciens jusqu'à nos jours. PAYOT, Paris.

(**) — النور ، بفتح التون: الأبيض من الزهر. — الألاء : شجر مر الطم دائم الخضرة حسن المنظر قبيح الخبر . — العرفج : شجر سهل وقيل هو القتاد . والقتاد شجر صلب له شوك كالابر . — الخيري ، بكسر الحاء : نبات وهو المتصور الأصفر ، زيته يوصف لتحليل الأورام . (المنجد ، وسواء) .

العلماء كنوزاً (*) .

وعلى ضيق ذات يده ، وحر الصحراء ، وقلة الماء ، وبدائية الناس ، وأخطار الغزو الذي لم يألفه في أوروبية ، أصر عبد الولي على مصارعة وعورة المسالك وتحمّل شظف العيش ومخاوف قطع الطرق ، ليعرف أكثر ما يستطيع غريب معرفته عن هجرات البلاد وأراضيها وقبائلها وتقاليدها وتجارتها وزراعتها وتربيتها ومناخاتها وبياتها ومحاصيلها ، وما إليها . وكوفيء جهده وتعبه بصيده ذي بال .

ونقل هاء راء كيرنان بعض ما كتبه جورج اوغست فالين عما شاهده في ديار نجد من تقاليد وعادات ، فاذا أنت تقرأ كلاماً يدبرجه قلم المحبة والاعجاب ، مع الانتقاد عند اللزوم ، مما لم نعرفه ، ولا عرفنا بعضاً ، عند الكتاب الغربيين في كتاباتهم عن بلادنا .

واستهوني ما كتبه ذلك المستعرب النبيل ، وأدهشتني غزارة معرفته الجزيرة العربية اذ تناولها بمختلف حقولها حتى وصف أساليب الزراعة والري فيها ، والغناء والموسيقى ، ووصف الأماكن الأثرية ، وخاض في شؤون دينية ، واستنبط أحكاماً منطقية على بقايا آثار الحضارات التي عبر عليها ، وفتح ، وسائل الأهابين ، عن نقوش عتيقة فلم يعثر على سوى قطعة نقد ذهبية واحدة من العهد الفاطمي (ص ٥٢) – وهذه اللقيا ذات شأن عند دارسي التاريخ الإسلامي ، اذ ان نجدأ لم تصل اليها الفاطمية ، على كونها جارة اليمن حيث استقرت دعوة هذا المذهب بعد انهيار الحكم الفاطمي في مصر – ولم يوضح عبد الولي تلك

(*) - أوراقه محفوظة في جامعة هلسنكي . والفنلنديون شديدو الاعتزاز بمؤلفاته . أما رحلاته المنشورة بالانكليزية والترجمتان في هذا الكتاب ، فقد ظهرت الثانية منها قبل الأولى .

القطعة النقدية التي عثر عليها : ما قيمتها ؟ وفي حكم أي خليفة سُكّت ؟
وفي أية سنة ؟ الخ ...

قلت : استهونني ما قرأته من دراسة جورج اوغست فالين فرأيت من واجبي ، وعملي ، أن أسعى إليها ، ونحن يومها قبضة من الشبان نكافح الاحتلال الأجنبي الذي يكبل ديارنا ، وأمنتنا لا يعرف العالم عنها إلا « قبائح » بعضها صحيح ولأسف ، ولكنه يجهل جميع الحسنات والاريجيات التي انبثقت من الإنسانية العربية ، فوجب علينا أن نفتئن عن منصف في وزن فالين لنشهد به .

وسعيت إلى الكتاب ولكن الأحداث الدولية تضاربت يومئذ بسرعة جنونية وجرفتني في تيارات جديدة ، غرقت فيها إلى أن أتيح لي أن أتنفس ولكن بعد أن بلغت الكبر !

مرت ثلاثون سنة أهللت فيها صديقي الشيخ النبيل عبد الولي ، وتباعدت دراسته عن خاطري ، إلى أن كان يوم سعيد عرفت فيه الدبلوماسي الحصيف الدكتور كارلوس لاسيلا سفير فنلندا في لبنان ، بمنزل قنصلها صديقي العزيز السيد توفيق فاضل ، فذكرنا علاقتنا فنلندا بالعالم العربي ثقافياً وتجارياً، وذكرنا مسلميها الطيبين، وتبسطنا في أهدافها السلمية وفوائدها الإنسانية المتبادلة ، وكم هزني قول الدكتور لاسيلا ، وهو من لهم نصيب من الاستعراب ، ان عنابة جامعة هيلسنكي — عاصمة فنلندا — بدراساتها العربية والشرقية والاسلامية صارت بعد جورج اوغست فالين تراثاً متواصل الحلقات عند علمائها .

تلك الاشارة من السيد السفير كانت كافية لأن تبعث بيالي ذكري صاحبى الشيخ عبد الولي وذكريات دراسته فأيقظت رغبتي القديمة بترجمتها . ثم توالت الأيام والرغبة تتفاعل في نفسي حتى شعرت بال الحاجة فقررت وتوكلت .

ويطيب لي أن أعلن أنني لقيت من الدكتور لاسيلا المحترم تشجيعاً كريماً .

وأنه تلطف فأرسل يطلب إلى مكتبة جامعة هلسنكي أن تصور لي أصل الدراسة المنشور في المجلة الخرافية الملكية - ويقاد يكون اليوم مفقوداً - فصوريته الجامدة وأرققتها بنماذج من كتابات المستعرب الكبير ، وبرسم له ولبيت الذي ولد فيه (*). ولباني صديقي الأستاذ سمير شibli فترجم الدراسة بدقة وحصافة . وكان لنا من سعي الصديق المفضل السيد توفيق فاضل ما وفقنا إلى اصدارها في هذا الكتاب ليحل ضيفاً محترماً على المكتبة العربية الحديثة .

لقد نهج الشيخ عبد الولي في دراسته نهجاً علمياً اذ رجع إلى مخطوطات عربية قديمة تُعدّ من اليابيع في معرفة تاريخنا وجغرافيتنا ، وقرأها بامان ، ولكنه ظن أنها جميع ما كتبه علماؤنا الأقدمون في موضوعه ، في حين أن مخطوطات رئيسية ذات أهمية خطيرة من الأصول التي وصلت اليانا اليوم كانت في زمانه مجھولة المصير ، ولما يكشف عنها . واعتمد صاحبنا ، أكثر ما اعتمد ، مخطوطات لكتاب « معجم البلدان » بالمتحف الآسيوي ببطرسبورغ و « فيه اخطاء كثيرة » (ص ٦٦) ولكن ثالين استطاع فهمه على رداءة خطه ، بل استطاع تصويب أخطائه وترجمته بأمانة ، وهذه الأمانة كانت رأس ماله في عمله دائماً .

وأعظم ما عرف في جورج اوغست ثالين بعد رجوعه من نجد أيامه بصحبة الدعوة الاصلاحية (الوهابية) وجرأته في الدفاع عنها . ولعله أول القليلين الذين أنصفوها في الغرب ، مبرهنآ على أنها مسعى اصلاحي خير في الاسلام ، لا كما صورتها السياسة المغرضة (**). وكذلك كان أول من أذاع أن أطفالها

(*) - اغتنم هذه المناسبة السعيدة لأبعث إلى جامعة هلسنكي الموقرة - وهي مركز جليل في العالم للاستغراب والاستشراف ، يخدم العلم للعلم ولفوائد الإنسانية ، بعيداً عن مرمي السياسة ، وفيها جميع آثار المؤلف محفوظة بعناية - بشكري الحار واحترامي ووفائي .

(**) - في ملحق الاستدراك والتعليق ، رقم ٣٠ ، ص ٢١٠ - ورقم ٣٤ ، ص ٢١٢ ، كتبنا كلمة تكشف عن مرمي تلك السياسة .

يتعلمون القراءة والكتابة في حين أن الشرق كله ، بما فيه العالم العربي ، غارق يومئذ في الجهل . وهذه الشهادة من عالم حيادي صادق كانت انصافاً فيما في وجه الافتراضات التي رمي بها المذهب الاصلاحي المذكور .

ومع صدق الشيخ عبد الولي في اسلامه — وسيأتيك حديث ما تلقي به قبيل وفاته المؤمنة — ظل الرجل أوروبي الأسلوب في انشائه ، فهو — مثل الغربيين — يذكر اسم الله تعالى بدون الاجلال الذي نتقيد به نحن في كتابتنا ، ويذكر الأنبياء والرسل بدون الصلاة عليهم ، بل قد يقول باجتهاد ديني (لم نترجمه) لا يقره العلماء . والاعجب من ذلك أنه ينافق اسلوبه هذا بكلامه على الحركة الاصلاحية وحبه لها ، بل هو يظهر أشد منها وطأةً على خصومها فيتهمهم تهماً كبيرة (محوناها من الترجمة ، ص ١٧١) .

وأحب الشيخ عبد الولي أهل الجوف وأثني على كرمهم وسجاياهم ، وكتب أكمل وصف عن منطقتهم ، وكذلك قدر قبيلة الحويطات ففي بالبحث عن أهلها ، وباح باعجابه بعنزة . وكل ما كتبه في مقارناته بين البداوة العربية والمدينة الغربية كتبه بقلب كبير .

وكانت امنية صاحبنا أن يتبع السفر إلى الرياض عاصمة السعوديين ، إلا أن حاجته إلى المال عضته عضًاً موجعًاً وحالت دون بغيته ، وقيل إنه فوجيء بمحانع فوق طاقته زادت في طينه بلةً ، وإن عين الحسد لحقت به وهو يطوي البيد ويغالب الشظف في سبيل الخير ، فأرسل مستشرقاً اسمه هوغارث من ينقل إلى الرياض أن جورج أوغست ثالين يعمل في خدمة محمد علي والي مصر (١) والمرجح أن هذا الدس عليه جعله ينهي رحلاته فتوجه إلى بيت الله الحرام حاجاً تائباً ، ثم زار المدينة المنورة خاشعاً متبركاً ، وبها قطع عهده بالأرض التي أحبتها فوق كل حب . وقد اثبتت الأيام أن اتهام هوغارث « لا يقوم على أساس » (كيرنان : ص ٢٣٧ من الترجمة الفرنسية) . وبعد سنتين كثيرة جاء عبد الله

فييلي يقلل بأسلوب آخر مضلل من شأن عمل عبد الولي فقال عنه : « يعتقد بأنه أول أوروبي زار المنطقة ». (« أرض الأنبياء » : ص ١٥٩) – فلماذا التحفظ يا حاج فييلي بكلمة « يعتقد » وأنت تعرف أكثر من سواك أنه أول أوروبي زار المنطقة ، وان ليس من دليل واحد قال العكس ... ألا يغفر ضيق العين لستعرب نزيه في وزن ثالين ، بعد هو وقومه عن مطامع الفتح والاستئثار ، انه أنصف العرب وقال فيهم كلام الطيب والحب والاعجاب ؟

وهكذا قطع الشيخ عبد الولي رحلته ورجع إلى وطنه فنلندا تاركاً قلبه في نجد ، متمنيا لو يستطيع أن يعيش عمره كله فيه بين أخوانه العرب الذين أحبهم !

وقدرت جامعة هلسنكي علم مواطنها وعمل تلميذها فعينته استاذًا فيها للغات الشرقية ، وببدأ يعيد النظر في ملاحظاته ويكتب ما دونه من مذكرات فكتب كثيرة . إلا أن حياته الجديدة لم تطل لسوء الحظ فتوفي سنة ١٨٥٢ عن احدى وأربعين سنة ، وهو يردد : الحمد لله ، ثم الحمد لله ! (*)

وفي مدفن متواضع واروه – ألم يكن عظيمًا ؟ – ووضعوا فوقه حجرًا نقشوا عليه اسمه العربي : عبد الولي .

رحمه الله

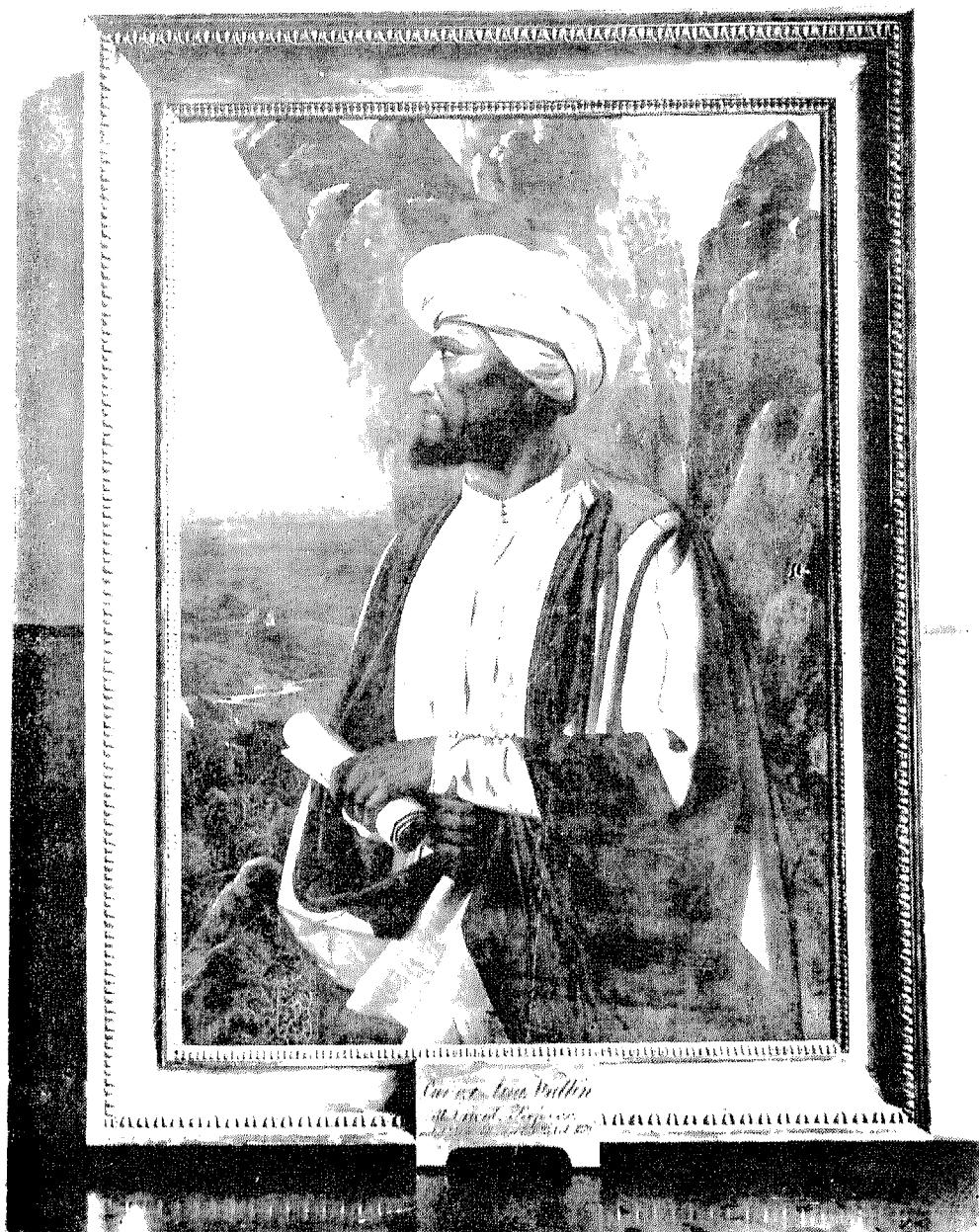
يوسف ابراهيم يزبك

الحدث في ٩ من شباط ١٩٧١

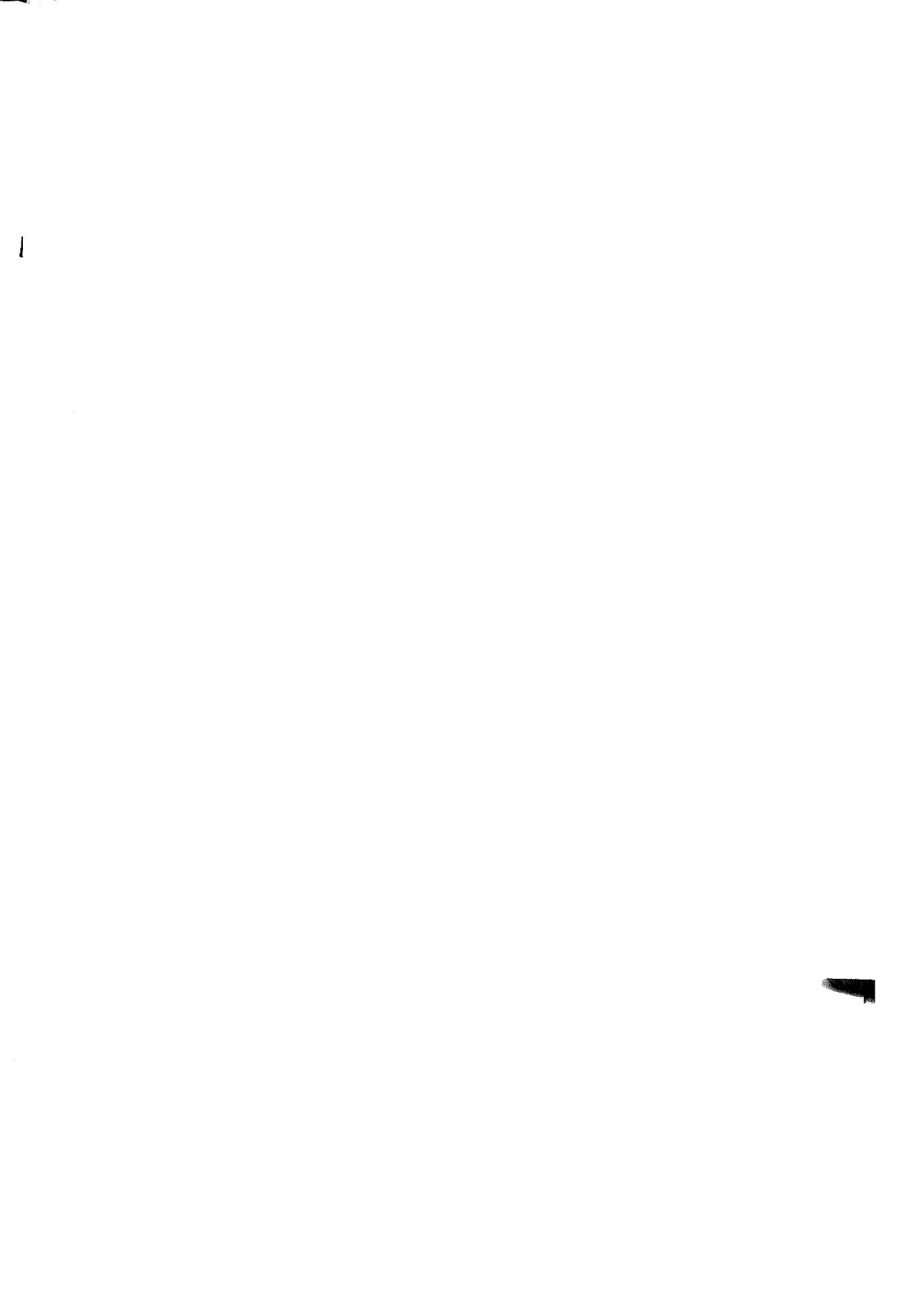
(*) – في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٣ : ٢٥٧ ، ايلول ١٩٢٣) مقال بقلم يوسف اهتين كارسيكو (تعرّيب الارشيديانكون توما ديب المعلوف) عن جورج أوغست فالين عنوانه : « لغة العرب في حياة فينلندية علمية » .

وفي مجلة « الجمهور » بيير وت (٥ من كانون الثاني ١٩٦٨) مقال آخر عنه بقلم يوسف ابراهيم يزبك . وفي المقالين معلومات وافية عن حياته وعلميه وانتاجه .





المؤلف جورج أوغست قالين بلباسه العربي .
(عن صورة زيتية في متحف فنانيده الوطنى - داك جادمة داسنكي)



رحلة ١٨٥



استأجرت دليلين من قبيلة « حيوى » (Heiwi) ليرافقاني من عاصمة مصر الى العقبة التي قررت الانطلاق منها ، عبر جبال الشّراة (*) الى مدينة الجوف في داخل صحراء البلاد العربية الشمالية . فغادرنا القاهرة الى السويس في الثاني عشر من شهر نيسان (ابريل) سنة ١٨٤٥ واتبعنا طريق التجار الى الهند فوصلنا بعد يومين الى عجرود ، أول محطة في طريق الحج المصري الى مكة المكرمة .

البقعة الصحراوية التي تمر فيها هذه الطريق معروفة جيداً ، وقد قطعها خمس مرات في فصول مختلفة من السنة ولم أشاهد فيها مرة مصرياً واحداً للبدو ، ولا عجب فأرضها رملية خالية من مراعٍ تقصّر حتى عن اعالة مواشي اصغر القبائل .

في السنوات الاخيرة نشطت حركة المواصلات مع السويس لاسباب عده ، أهمها نمو التجارة مع الهند . وانك لترى القواقل في هذا الطريق في جيئه وذهاب ليل نهار ، مؤمنةً اتصالاً مستمراً وزاهراً بين اوروبة وآسية . وقام

(*) - انظر ملحق الاستدراك والتعليق ، رقم ١ ، في اخر الكتاب .

باشا مصر الحالى (*) برفع الحجارة والصخور والعوائق الأخرى من الطريق . ومدّ سلكاً تلغرافيّاً بين السويس والقاهرة . وشيدت عدة فنادق أوروبية تقدم وسائل الراحة للمسافرين الأوروبيين ، وحدهم ، الذين ينتقلون في عربات مريحة ويقطعون في عشر ساعات ، أو اثنى عشرة ساعة ، المسافة التي تقطعها الجمال في ثلاثة أيام . والبدو يُتمّحون بذعر ودهشة إلى السكة الحديدية وقد قيل لهم أن « الأفرنج » المقلقين والحسودين سيجدونها ليحرموهم الكسب الزهيد الذي ما زالوا يحصلون عليه بواسطة جمالهم .

قلعة عجرود أكبر القلاع في طريق الحج . ويعني بها أكثر مما يعني بسواها . ومياها المستنقاة من البئر الوحيدة في هذه المنطقة تضرب كثيراً إلى الملوحة .

في الخامس عشر من نيسان (ابريل) غادرنا القلعة وسرنا في الصحراء التي تحيط بالسويس تاركين طريق الحج إلى يسارنا . مشينا ساعتين في اتجاهِ شرقـيـ - جنوبيـ ، ثم مشينا سبع ساعات وربع الساعة في اتجاهِ جنوبيـ - جنوبيـ شرقيـ حتى وصلنا إلى عين « مبعوق » في سهل شاهدنا فيه بدوية ترعى عندها الأعشاب والشجيرات القليلة النامية فيه . وماء العين فاتر يُبرد في القربات بالحلدية التي يستعملها العرب فيصبح طعمه عذباً لذيداً . وماء هذه العين أفضل ماء عذب في جوار السويس ، يستقيه سكان البلدة الاغنياء على الرغم من بعد العين عنهم . أما سكان السويس « العاديون » فيستقون من بركة اسمها « غرقدة » (Gharkadé) في سفح جبال شبه جزيرة سيناء ، ومنها ينقل الماء على الجمال إلى شاطئ البحر الأحمر ، ومنه إلى السويس في زوارق صغيرة . وإلى الغرب من السويس ، على ساعة منها ، بئر أخرى على طريق عجرود ماؤها شديد الملوحة يصعب شربه . وفي « مبعوق » بقايا سور متداعٍ .

(*) - كتب هذا الفصل سنة ١٨٤٠ (أنظر ملحق الاستدراك والتعليق ، رقم ٢ ، في آخر الكتاب)

وفي الربيع تنتشر حول العين قطعان صغيرة من الغم ترعى الكلأ .

سرنا من « مبعوق » في اتجاه شماليّ شرقى نحو جبل « الراحة » ودخلنا بعد ساعتين وربع الساعة وادياً اسمه « فِرَاشَاتُ الشِّيْحِ » ينمو فيه الشيح والعَبَوْثُرَانُ بكثرة وهو يمتد من « الراحة » الى اليمين الى جبل حُمَيْرَةِ الاقل ارتفاعاً الى اليسار .

١٦ من نيسان (ابريل) — وصلنا الى طرف الوادي بعد ساعة وربع الساعة ودخلنا شِعْبَأً ضيقاً اسمه « بَلَعِيمَ المَغَارَةِ » قطعناه في ربع ساعة . وبعد اربع ساعات وربع الساعة مشيناها في سهول صحراوية نفذنا الى درب الحج المصري . والطريق التي سلكناها من عجرود يسلكها حجاج شمالي افريقيه ، وهذا سميت بدرب المغاربة . ثم سرنا ثلاثة ساعات وربع الساعة في وادي « هشم الفروة » — وهو تتمة للوادي الذي اجترناه في طريقنا من « مبعوق » — فدخلنا وادياً فسيحاً اسمه « وادي البروك » تحيط به الجبال من جوانبه جميعاً . وكذلك مررنا بجبل اسمه « ثَمِيلَة الدَّرَاوِيشِ » لأن في صخوره صهر يجأ طبيعياً يتوفّر فيه بعض الماء ابْنَانَ الْأَطْلَارِ ، وطال سيرنا في السهل الى الشرق — الجنوب الشرقي ، فالجنوب ، مدة ثلاثة ساعات باتجاه جبلٍ منعزل اسمه « جبل حَسَنَ »

١٧ من نيسان (ابريل) — حولنا اتجاهنا الى الجنوب الشرقي وسرنا تسعة ساعات ونصف الساعة في السهل عينه فوصلنا الى المحطة الثانية في درب الحج المصري ، وهي قلعة التخل التي تقع تقريباً في منتصف السهل الفسيح على تلة منخفضة يتصبّ في سفحها بيت صغير منعزل بناءً رجل من الخامدة (*) .

في القلعة بُرُّ واحدة وماؤها ضارب الى الملوحة يرفع بالساقيه ، وهي

(*) — رجعت سنة ١٨٤٧ ووجدت ان قرية صغيرة من اثني عشر بيتاً برزت للوجود حول القلعة في خلال الستين الاخيرتين . (المؤلف) .

الآلية المستعملة في مصر ، ثم يجر الى حوضين كبارين وثالث صغير خارج السور .

طالت رحلتنا من عجرود الى قلعة النخل ثلاثة وثلاثين ساعة ، اي باكثر من ثلاث ساعات من المدة التي تقطعها بها قوافل الحجاج التي لا تمر بعين مبعوق .

ومعظم العرب الذين يؤمون وادي « البروك » هم من قبائل التيها والترابين والحوبيطات والعلاوين ، غير ان المنطقة مهجورة في هذه السنة لقلة المراعي وبخلافها بسبب شح الامطار .

التيها اكبر قبيلة في الجوار ، وهي تشغّل جميع الاراضي الممتدة من النخل الى غزة الى وادي العربة . ويزعم التيها انهم تحدروا من بنى هلال الشهيرين الذين افتقدوا الماء في الصحراء في نزوحهم الى شمالي افريقيا ، فانفصلوا ثلاثة من شبابهم ، معهم ثلاثة صبايا ، يقودون ثلاثة حمير تحمل قربات فارغة — انفصلوا عن ربهم في طلب الماء بوادي صدر — قيل لي عن هذا الوادي انه هو الذي ينحدر من العريش بمحاذاة الساحل الغربي لشبه جزيرة سيناء ، والرواة مختلفون في تسميته — ولم يثبت الازواج الثلاثة ان تاهوا في الصحراء واضطروا لضرب خيامهم فيها ومعايشة سكانها . والتيها المعاصرون لا يعرفون شيئاً عنمن كان أولئك السكان القدماء .

عاش الازواج الشبان الثلاثة — وهم « ورد (*) بنى هلال » — وتكاثروا في المنطقة ، والتيها يعتبرونهم اجداد قبليتهم واضعي اسمها . وبنو الرشيد و « الحكوك » هما البطنان الرئيسيان في القبيلة ، وبنو الرشيد هم شيوخها .

(*) — الورد (بكسر الواو) : القوم الواردون الماء . وبعض العرب يستعملها بمعنى « ولد » ، أي ذرية .

اما الحكوك فيقومون بزرع حقول الارز في جوار الغزة ونصار ولا يبتعدون كثيراً عن قلعة النخل . وهذه القبيلة يعود حق قيادة قوافل الحج و المسافرين حتى العقبة من جهة ، والى غزة من جهة أخرى ، او الى اية محلة في سورية – وهذه المحلة هي « الظاهرية » في الغالب – تمكنهم علاقتهم بالقبائل المجاورة من الذهاب اليها . وفي فصل الشتاء ، وفي اعياد الفصح على الاخص عندما ينطلق السياح الاوروبيون وقوافل المسيحيين الاقباط من مصر الى القدس يخيم عرب التياها في ضواحي النخل او يتزلون القلعة بانتظار هؤلاء المسافرين ، وهم – بعد الحويطات – اكبر القبائل العربية واقواها في هذه المنطقة . ولا ريب في انهم من اصل اشرف واعرق من سواهم ، وما يزالون على قوانين البداوة وتقاليدها اكثر من غير انهم .

اما « الترابين » فمتفرقون بين القبائل المتنقلة في جوار الحدود المصرية ، وقد اخذوا بالاضمحلال في الصحراء ومحالطة فلاحي القرى المصرية والسورية . ومقامهم في ضواحي العريش والشاطئ الغربي للبحر الاحمر ، وفي الجبال الممتدة على الشاطئ الشرقي منه . و Gör انهم يستخفون بهم لأنهم يرونهم من قبيلة تشرك و « هتيم » في الاصل . ولم اجد ذكرآ للترابين والتياها في كتب العرب .

اما الحويطات فتقطن في وادي التيه وفي ارض « عجمة » وفي جوار العقبة . ولا شك بأنها القبيلة التي ذكرها القلقشندي في مؤلفه عن « انساب العرب » بانها « بنو حي » . وفي كتابه هذا ينسب الى « الحمداني » قوله ان هذه القبيلة تنحدر من قبيلة Faal (الفضل ؟) (*) السورية ذات الشهرة السابقة

(*) - يقول القلقشندي : « بنو حي : بطن من العرب ، ذكرهم الحمداني في حلناء آل فضل من عرب الشام ولم ينسبهم الى قبيلة . » - (طبعة بغداد ص ٢٢٧) .

دون تحديد نسبهم او الاشارة اليهم مرة اخرى . وصاحب القاموس ايضاً يشير الى عرب بهذا الاسم ولكنه لم يبسط في مؤلفه اية معلومات اضافية عنهم .

اما قبيلة « العلاوين » فتلازم وادي العربة وتعيش مختلطة بانسابها من الحويطات .

وصل ، وانا في قلعة النخل ، شيخ من « الحيوى » Heiwi هو شيخ بطن « الغريقان » يرافقه مدنى من موظفي باشا مصر . وهذا الموظف جال بين بدوى المنطقة ويهم بالعودة الى القاهرة ، واما شيخ الغريقان فراجع الى عائلته في وادى التيه ومعه جملان غير محملين ، فاتفق معه دليلاي على ان يأخذنى الى العقبة البعيدة يوماً واحداً عن مضاربه ، على ان يكونا هما في خدمة الموظف المصرى في عودته الى القاهرة . ووافقت الجميع على هذا التبادل . وانطلقت مع دليلي الجديد من قلعة النخل في الثامن عشر من نيسان (ابريل) فسرنا اربع ساعات في منبسط وادى البروك باتجاهٍ جنوبىٌّ - جنوبىٌّ شرقىٌّ .

١٩ من نيسان (ابريل) - تابعنا السير نحو الجنوب الشرقي في المنبسط عينه ، واخذت كثبان رملية توج تدريجياً ارضه وتتخلله سلاسل جبال منخفضة صخورها رملية وكلسية . ويطلق على المنطقة التي تبعد ببعض ساعات عن القلعة اسم « قُرَيس » (بالسين المهملة) . وعلى جانبي طريق الحج تنتشر آبار قديمة تحيط بها اطلال اسوار قال لنا الناس انها المحلة التي قامت فيها قديماً قلعة النخل . وسرنا تسعة ساعات في ارض متوجهة ثم ملنا الى الشرق ودخلنا جبال « قُرَيس » الكلسية العالية حيث احصدنا مدة ساعتين في اودية عميقه متعددة الاتجاهات .

٢٠ من نيسان (ابريل) - وصلنا بعد ساعة وربع الساعة الى آبار قُرَيس في وادٍ عميق ، ارضه طبشورية بيضاء ، ينحدر من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقي ، وهي ست آبار مياهها على غزارتها ضاربة الى الملوحة .

ووصلنا بعد ثمان ساعات الى وادي التيه . وهنا تعددت اتجاهاتنا فسرنا في اوية عميقه وضيقه ، وفي مرات وعرة في قمم الجبال حتى وجدنا مصارب دليلي .

دليلي هذا ، جماعته تعيش في العراء بلا خيام – وهي العادة في الربيع – وذلك بالرغم من تنقلهم مع قطاعهم وجمالهم كلها . وكيف لا تسبب الخيام عقبة في سبيلهم او ان تزعجهم في ترحلهم فهم يعلقونها في شجر السنط ، على طريقة بدو « الطور » الضاربين في شبه جزيرة سيناء . ولا يمسها احد حتى يعود اصحابها لاستردادها . وبعض القبائل ، كالحيوي في العقبة ، تحفظ بخيامها في قريتها او في حزن او حانوت ينحصص في القلعة لكل شيخ من شيوخ المناطق المجاورة . ولم أجد لهذا التدبير مثلاً في بلاد العرب حيث لا ينام البدوي في العراء ولا يترك مصاربه في عهدة القرروين . اما هنا فيتكون الخيام لأنهم يحدون لأنفسهم ، ولأطفالهم العراء ، ملاداً في المغاور والكهوف يقيهم حرارة الشمس والامطار الطارئة . والمغاور كثيرة في الجبال العالية الكلسية التي تحيط بالوادي من جوانبه جميعاً .

قضيت هنا بضعة ايام واستشرت مضيفي عن احسن الطرق الى الجوف واكثرها امناً فنصح لي بالعدول عن الذهاب الى العقبة ، وأشار عليّ بان اتبع طريقاً اقصر يمر عبر وادي العربة وسلسلة جبال الشراة الى معان ، ووعد بمرافقتي الى احد اقاربه رئيس شيخ قبيلة « العُمران » الضاربة في المنحدرات الشرقية من الجبال التي ذكرتها .

وقبلت ما عرضه رفيقي علي على رغمِ من جهلي التام طرق المنطقة التي سأمر بها ، وجاهلي العلاقة بين مختلف القبائل التي سألقاها . وقد قبلت ذلك ليتني ان رفيقي كان يأمل بالكسب ساعة عرض عليّ ان يرافقي ، ولأنني آثرت ان اعمل بنصيحة البدو الذين كانوا يتطلبون دائمًا الى ملازمتهم وتجنب الاتصال بسكان المدن والقرى .

٢٣ من نيسان (ابريل) - غادرنا المصارب وسرنا ساعة وثلث الساعة في وادٍ جانبي يتفرع من وادي النهـ، ونـفذنا منه إلى سهلٍ صحراوي منفتح قطعناه في اتجاهٍ شمالي شـرقـي في ساعة وربع الساعة ، واستضافتنا أسرة من قبيلة دليلي إلى وجـبة طعام قليلة من اللـذـرة المـغـلـاة والمـخـبـوصـة . وهذه الأسرة تعيش في الوادي ، مثل أقربائـها ، في العـراء بين الشـجـيرـات الصـحـراـويـة .

٢٤ من نيسان (ابريل) - سـرـنا يـوـمـاً كـامـلاً فـي سـهـولـ جـدـبـ تـخلـلـهـ جـبـالـ مـنـفـرـدـةـ . قال لي دـليلـيـ انـ اـولـ تـلـكـ السـهـولـ اـسـمـهـ «ـوـادـيـ الـحـمـادـ» تـسـمعـ فـيـهـ بـيـنـ حـيـنـ وـآخـرـ اـصـوـاتـ غـرـيـبـةـ جـداًـ تـصـاعـدـ مـنـ الـأـرـضـ وـتـشـبـهـ نـقـرـ الطـبـولـ ، وـلـمـ يـسـطـعـ اـحـدـ نـقـسـيـرـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ الغـرـيـبـةـ .

بعد ثـانـيـ سـاعـاتـ وـثـلـاثـةـ اـرـبـاعـ السـاعـةـ ، قـطـعـنـاـ فـيـهـاـ ثـلـاثـةـ سـهـولـ تـشـكـلـ خـلـجـانـاًـ فـيـ بـحـرـ الصـحـراءـ ، تـوقـنـاـ لـلـمـبـيـتـ فـيـ طـرـفـ وـادـيـ فـيـ الجـبـالـ الـتـيـ تـحدـ وـادـيـ الـعـربـةـ مـنـ الـغـربـ .

٢٥ من نيسان (ابريل) - سـرـناـ فـيـ اوـديـةـ ضـيـقةـ وـمـتـعرـجـةـ تـنـحدـرـ شـرـقاًـ نـحـوـ وـادـيـ الـعـربـةـ وـيـنـمـوـ فـيـهـاـ شـجـرـ السـنـطـ بـكـثـرـةـ . وـالـسـنـطـ يـبـلـغـ هـنـاـ حـجـماًـ كـبـيرـاًـ وـاـلـحـمـالـ تـرـعـيـ شـوـكـهـ وـوـرـقـهـ بـنـهـمـ . وـالـاوـديـةـ الضـيـقةـ هـذـهـ هـيـ بـيـنـ جـبـالـ مـنـخـفـضـةـ جـداًـ وـتـنـحدـرـ بـلـيـنـ إـلـىـ وـادـيـ الـعـربـةـ . وـقـدـ سـرـناـ فـيـهـاـ سـتـ سـاعـاتـ وـرـبـعاًـ فـدـخـلـنـاـ وـادـيـ الـعـربـةـ الـكـبـيرـ فـيـ مـكـانـ يـبـعـدـ ، حـسـبـ تـقـدـيرـ دـليلـيـ ، يـوـمـاًـ عـنـ الـعـقبـةـ وـيـوـمـيـنـ عـنـ وـادـيـ مـوسـىـ . وـسـرـناـ فـيـ رـمـالـ الـوـادـيـ سـاعـتينـ قـبـلـ انـ تـوقـفـ لـلـمـبـيـتـ .

٢٦ من نيسان (ابريل) - مرـرـنـاـ بـعـيـنـ مـاءـ فـاتـرـ يـضـرـبـ إـلـىـ الـمـلـوـحةـ ، وـقـدـ خـيـّـمتـ حـولـهـ بـعـضـ الـعـائـلـاتـ مـنـ عـرـبـ الـعـمـرـانـ . وـكـانـ سـيـرـنـاـ بـطـيـئـاًـ مـتـعبـاًـ فـيـ الرـمـالـ الـعـمـيقـةـ الـتـيـ تـغـطـيـ الـأـرـضـ . وـقـدـ اـضـطـرـرـنـاـ إـلـىـ التـصـعـيدـ فـيـهـاـ كـيـ نـصـلـ إـلـىـ الـحدـ الشـرـقيـ مـنـ الـوـادـيـ الـمـاـئـلـ مـنـ الـشـرـقـ إـلـىـ الـغـربـ .

الاجزاء الغربية من وادي العربة تتألف من سهلٍ وارضٍ رملية ينمو فيها — نسبياً — كثير من الاعشاب والشجيرات . اما الناحية الشرقية في سفح جبال الشراة فارض الوادي فيها تلية متماوجة تغطيها الحجارة والحصى وكتل من المانع (الغرانيت) تدحرجت من اعلى الجبال المطلة على الوادي . والاعشاب قليلة في هذه الناحية وتشاهد بعثرة هنا وهناك بعض شجيرات من السنط . وعبرنا الوادي في اتجاهٍ شرقيًّا — شمالي شرقي وبعد ثمان ساعات وصلنا الى مدخل وادٍ ضيق اسمه « وادي غَرَنْدَل » ينحدر من جبال الشراة ، ينبع في اوله ماء صافٍ وعذب يجري في جدول صغير وتنمو على ضفافه بعض شجيرات النخل والعشب ، ولكن سرعان ما يختفي في الرمال .

٢٧ من نيسان (ابريل) — سرنا في مجرى الوادي المترعرج بين جبال عمودية ترتفع الى حوالي الف قدم ، الوانها عديدة وكانتها في بعض الاماكن ورق رخامي . وفي ثلاثة ساعات ونصف الساعة وصلنا الى طرف الوادي الضيق الذي لا يتتجاوز عرضه في عدة أماكن خمسة عشر يرداً (*) ولما لم يكن لهذا الوادي منفذ فقد أخذنا نسلق وهدة جبلية شبه عمودية اسمها « نقب عجانة » ، وسرنا اربع ساعات ونصف الساعة في مرات صعبة على شفير المهاوي وفي المنبسطات المرتفعة .

٢٨ من نيسان (ابريل) — تابعنا التسلق ساعتين ووصلنا الى منبسط في قمة الجبل اسمه « وادي دلاغة » اتينا منه في ساعتين اخرين الى عين ماء تحمل الاسم عينه وتقع الى الشرق — الشمال الشرقي منه ، يزرع فيها بعض فلاحي البدو الذرة والقمح . ووصلنا بعد ساعة أخرى الى مضارب بني العمران ، عند الشيخ الذي كان دليلاً الحيواني قد وعلني بمراقبتي اليه .

(*) — اليرد مكيال انكليزي يبلغ ٩١ سنتيمتراً و ٤ ملم .

٣٠ من نيسان (ابريل) - غادرت القبيلة يرافقني دليلي الجديد ، الشيخ حُمَيْد بن سلمان الْعُمَرَانِي ، وسرنا ساعة الى الشمال الشرقي في وادي دلاغة الفسيح ، ثم اتجهنا شرقاً ودخلنا في وادي مَبِيرُك وهو وادٍ يزرعه الفلاحون . وبعد ساعة ونصف الساعة وصلنا في طرف الوادي الى عين « بسطة » ذات الماء الغزير الكثير العذوبة . وقرب العين اطلال جدران من طين قد تكون اطلال قلعة صغيرة شيدت هنا في الماضي واستعملت مركزاً لمراقبة الصحراء وسكانها المشاغبين ، ايام كان فلاحون مسلمون يقطنون في هذه الجبال . وخلقنا العين وراعينا ودخلنا السهل العظيم الذي يشكل الصحراء السورية ، حيث تذوب (تتوارى) تدريجاً الجبال التي مررنا بها ، وسرنا الى الشرق خمس ساعات فوصلنا الى بلدة معان .

ومعان هو الاسم الذي يطلقه اليوم جميع العرب على هذه البلدة بدلاً من مُعَان (بضم الميم) الذي ذكره جغرافيون القدماء . وفي « الموجز في الجغرافية » لمحمد بن علي السباхи ادرج قول ابن حوقل ان مُعَان (بالضم) محلة صغيرة محسنة في ارض الشراة ، على يوم من شوبك ، اقام فيها بنو أمية وهي اليوم اطلال مهجورة .

ومعان الحالية من اكبر البلدان في طريق الحج السوري ، فيها ما يتألفه تقريباً تنحدر من سبع بطون ، او « فِنَاد » ، مختلفة ، وقد اختلطت بالمهاجرين النازحين اليها من القرى السورية الاخرى . وهم اقوياء البنية ، سوريوون الملائمون ، يستطيعون تعبئة قوة محاربة من مئة وخمسين مقاتلاً - وقيل لي : ثلاثة - وهذه القوة المحاربة تبعث في نفوس اهل معان ثقة تجعلهم يخضون الخواة التي يفرضها عليهم شيوخ القبائل المجاورة من الشرارات والخويطات وعُنْزَة . وقد يرفضون تأديتها .

والخواة التي تفرضها جميع القبائل الاصيلة على مدن الباشية وقرائها ،

وعلى المسافرين والتجار والقبائل المختلطة او الوضيعة ، الفقيرة منها والضعيفة ، تستند على الارجح الى زعم البدو أن الصحراء انما هي ارضهم الموروثة ، وان من حقهم فرض الحوّة فيها . وكل بقعة من هذه المنطقة كانت ذات يوم ملكاً لقبيلة معينة ، ولم تكن هذه القبيلة لتسمح باقامة قرى في المنطقة ولا لتجيز للقبائل الاخرى دخولها ، او تسمح للغرباء بالمرور فيها الا بـ « حماية » تشرى من سادة الارض ، وهذه الحماية هي الجزية (*). والحماية تمنع بسهولة اذ يكفي ان يهدى المسافر الغريب احد افراد القبيلة ، ارجلًا كان أم امرأة أم طفلاً ، هدية صغيرة ، او ان يشاركونهم الخبز والملح حتى يحسب أخاً لهم .

اما شروط منح القرى حماية فتتضمن تقاليد قديمة : وذلك ان تدفع القرية الحوّة ثياباً تقدمها لشيخ القبيلة الرئيسي ولاصحاب الفوز في البطون المختلفة . وفي نجد تدفع تمراً وذرة . والحماية يطلبون ان تستقبلهم القرى (التي يحمونها) بحفاوة ، وان تستضيفهم بكلم فيما اذا زاروها . ويطلبون كذلك ان تساعدهم في الاحوال الطارئة ، وهم يدافعون عنها ويحمونها من تطلبات القبائل الاخرى ويقومون ايضاً بدور الوساطة في التزاعات التي قد تنشب بينها وبين القبائل .

و « الحوّة » شأنة بين العرب الرحّل ايضاً . وهي تختلف بعض الاختلاف عن تلك التي ذكرتها سابقاً . فالصلات بين القبائل على ثلاثة انواع : هناك قبائل تصل بينها أخوة لا تقتصر على التحالف فحسب بل تشمل ايضاً حماية الغرباء والقرويين الذين هم على علاقة اخوية بها ، وهي حماية تردّ عن هؤلاء ما قد تفرضه عليهم القبائل غير الخليفة . ثم ان هذه القبائل المتحالفه لا تؤدي احدها اية جزية للاخرى ، وتعدّ نفسها متساوية في اصولها العريق . وهناك ثانياً ، قبائل تتوافق صداقه تضمن لها الحماية المتبادلة من اعتداء الاغرب

(*) - وهي : « الحوّة » في التعبير البدوي .

عليها ، الا انه لا يحق لاي منها ان تحمي الغير من مطالبات اصدقائها . اما اذا لم يكن هنالك علاقة صداقة ، او اخوة ، فالقبائل عدوة بعضها البعض ، « يدها على كل فرد ، وكل فرد يده عليها » .

والبدو يعدون جميع المزارعين الحضر اعداء طبيعيين لهم ، ولا يجيزون اقامتهم في اراضيهم الا بحماية يمنحونهم ايامها لقاء اكبر ثمن يستطيعون الحصول عليه . وما ان يشتدّ اولئك المزارعون بأساً وثروة حتى يسعوا الى رفض تطلبات البدو الرحّل ، او الى تخفييفها ، كما هو الحال في القرى المصرية التي كانت قبل حكم محمد علي تحت رحمة بدو الجوار ، وكما هو الحال اليوم في معان التي كانت حتى السنوات الاخيرة تحت رحمة هؤلئك ، وإن بدرجة اقل . والبدو الذين يحتقرون الجبن والاتكالية يقررون في الغالب مقاومة المزارعين تلك ، بل يقررون موقفهم الحازم ، فيبتعد عن هذا انهم يوطدون صلتهم به حتى لتصير هذه الصلة وثيق ، كما هي الحال في معان حيث يقدر البدو رجولة سكانها وشجاعتهم ، ويرونهم أهلاً لهذا التقدير اكثر من اهالي معظم القرى الاخرى ، وهذا يساهم كثيراً في تسهيل الاختلاط بين الفريقين ، وإحياء تجارة متباينة نشطة لم اشهد انشطتها في اي مكان آخر في هذا الطريق ، تقوم على المقابلة بين معان وسكان الصحراء المحيطة بها .

أكثر ما يرغبه البدو من السلع هو الثياب والبارود والرصاص والأسلحة والتوابيل والبن والسكر الذي صار مرغوباً به كثيراً حتى في الصحراء . ومقابل هذه السلع يعطي البدو الجمال والغم والصوف والزبدة (السمن) والحليب .

وفي الرحلة التي قمت بها من هنالك بين مختلف القبائل العديدة ، المنتشرة في المنحدرات الشرقية لجبال الشراة ، وجدت في كل مخيم ، تقريباً ، تجاراً من معان أتوا ليتغذوا - على العادة هنا في فصل الربيع - بجليل النوق ، في مضارب اخوانهم من العرب الرحّل المضيافين ، وليحصلوا على الاخص

ديوّنهم منهم . ولو لا تسهيلات الدفع التي يقدّمها هؤلاء التجار للبدو لاستطاع البدو الحصول على حاجاتهم الضرورية بسهولة أكثر ، وبأثمان ارخص ، في الاسواق عينها التي يشتري منها اهل معان حاجاتهم ، وأهمها اسوق الخليل وغزة والعقبة . وقد يذهبون الى دمشق في الشمال والى الجوف في الشرق . اما طريقهم الى الخليل وغزة فتمر بوادي موسى – ويسمونه هنا « السيق » – وتمر الطريق الى العقبة بشعب « شتار » المتصل بوادي اللثم ، وهو وادٍ يقطع جبال الشراة على ثمان ساعات الى الشمال من العقبة .

ان معان هي اهم هذه الاسواق إطلاقاً في خلال اليومين اللذين تخطّه فيهما عادة قوافل الحج السوري راحلها هنا للراحة وهي في طريقها الى مكة وفي رجوعها منها . فالسكان يعملون طوال السنة ، وفي سبيل هذه الايام الاربعة التي يطلقون عليها اسم « الموسم » ، على خزن متنوعات العَلَف والمؤن التي يحتاج اليها الحجاج لمبادرتهم بسلع وبصائر اخرى يحملونها معهم ، فلعلهم يتحققون بعض الکسب من هذه المقايسة . وكثيرون من الحجاج يجمعون بين اداء فريضة الحج وبعض التجارة فيترودون سلعاً يستطيعون بيعها ويحملون جمالهم من دمشق شيئاً وقطناً ومصنوعات اوروبية اخرى مرغوب بها في بلاد العرب ، ويحملون في عودتهم من مكة البن والافاویه ، وعبايات بغدادية وقبعات (طرابیش؟) فارسية ، او سیوفاً وخناجر هندية ، وهذه السلع نادرة نسبياً ويكثر طلبها في غربی شبه الجزيرة .

بالاضافة الى ما تقدم ، يجتمع البدو في هذا الموسم في البلدة آتين اليها من الصحراء القرية ، فتصير القرية الصغيرة والقرى المنتشرة في طريق الحج ، مكتظةً بالناس تمثل اشهر الاسواق الدورية في اوروبا . وجميع السلع التي يستغنى عنها تعرض للبيع او للمقايسة . وينهمك الجميع بالمضاربات في سبيل الکسب ، وهو ما ينشده سكان القرية حتى انهم ليجبنون الضيافة ، وهي خلة

العرب الرئيسية ، فيبيعون الماء العذب المتوافر في العين الوحيدة هناك واسمها «انجازة». ولا بد من الاشارة الى ان اهل معان لا مورد لهم سوى تجارةهم هذه، وان اكثراهم ، في الواقع ، يستحصلون في ايام الموسم الاربعة على كفافهم وكفاف عائلاتهم للسنة كلها.

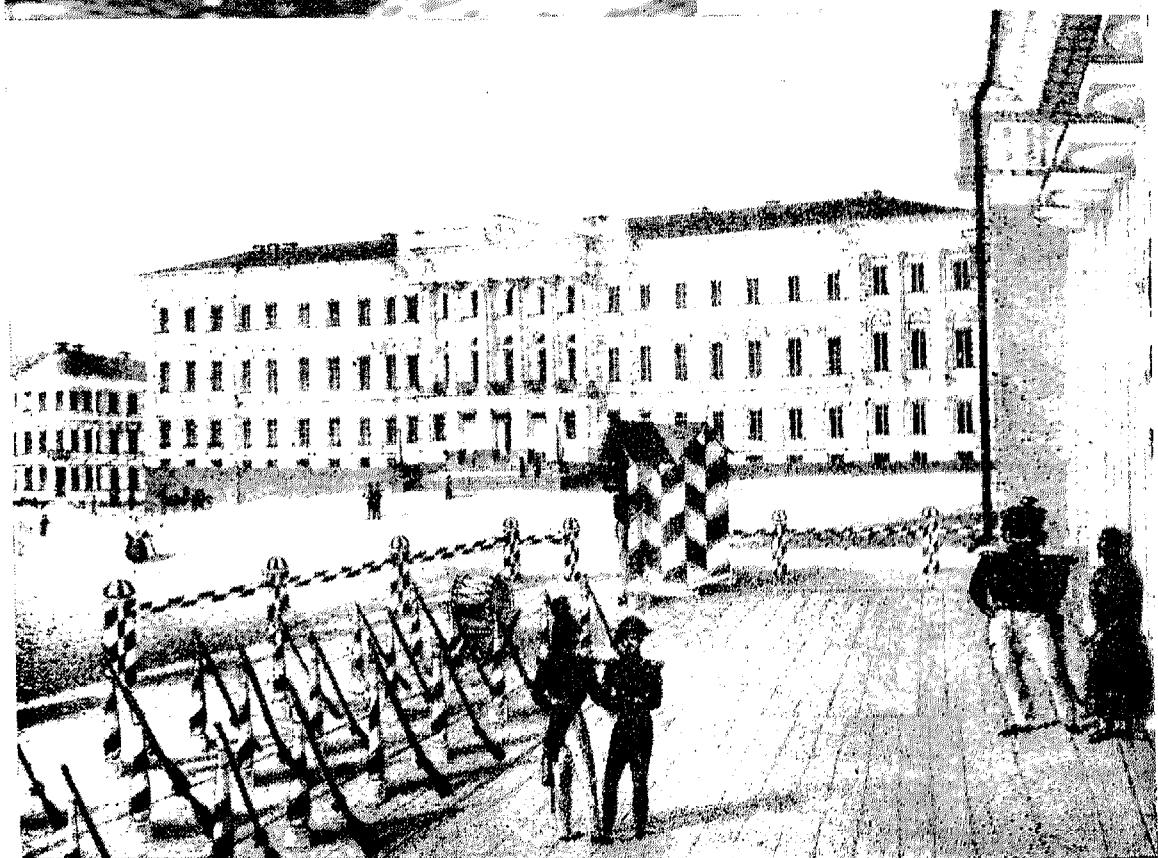
اما مياه «انجازة» فتروي بعض الحدائق . وهذا تزرع اشجار مشمرة ، اهمها الرمان المشهور بانه اطيب ما ينبت في بلاد العرب . والحجاج يحبون ثماره التي تعد في الشرق افعى دواء لامراض الكبد . وهو يجمع في المخازن مؤنة للسنة. اما النخل فلم يفلح السكان بزراعته رغم محاولاتهم العديدة . ويرفع الماء من العين رجل واحد مستخدماً قربة من الجلد مفتوحة تماثل القربة التي تستعمل في اعلى مصر واسمها الشادوف . ويحرّ الماء — مع الماء الذي يأتي به جدول ينساب من محلّة تبعد نصف ساعة الى الشمال — في اقنية صغيرة الى الحدائق والى حوض كبير يتوضأ فيه السكان ، واحياناً يغسلون فيه . وهناك آبار كثيرة اخرى غير هذه العين ويكفي ان تتبش في الارض الى عمق بعض «يارادات» حتى يتفجر الماء . وتزرع النرة في السهل المحيط بالقرية كما تزرع في الحقول بين الشجر والكرمة . وفي السينين الجليدة يكاد المحصول يكفي حاجة السكان ، واما في سني الحفاف فيتمونون النرة من غزة ومن العقبة التي يتمونون منها الارز ايضاً . والارز في المنطقة الغربية من بلاد العرب جنسه هندي يؤتى به من جدة وموانئ الساحل الشرقي للبحر الاحمر ، اما الارز المصري فيؤتى به من دمياط بطريق غزة والموانئ الامريكية على البحر المتوسط الى سوريا . وعلى كونه احسن فان ارتفاع سعره يجعله نادراً داخل بلاد العرب .

وهناك قلعة قديمة واحدة—(وليس قلعتان كما قال ريتز في كتابه Erdekunde فصل ١٣ ، ص ٤٢٠) (*) وخبرني الاهلون ان بانيها هو السلطان

(*) — انظر ملحق الاستدراك والتعليق ، رقم ٣ ، في آخر الكتاب .



Jorge Berg Manlio



١) : المؤلف جورج أوغست فالين في شبابه (قبل رحلته إلى الجزيرة العربية) .

٢) : البيت الذي ولد فيه في بلدة سُنْد بفنلندا . ٣) : جامعة هلسنكي في زمانه .



سليمان التركى (*) وترأها اليوم ، في حالتها الراهنة ، متداعية غير مسكنة بسبب حاجتها الماسة الى الترميم . الا اني التقيت سنة ١٨٤٨ في تبوك (٤) اناساً من معان قالوا لي ان باشا دمشق (أي حاكم دمشق) ارسل مؤخرأ الى معان ضبابطاً تركياً يرافقه امين سر مسيحي وانه جهز قسماً من القلعة لتأمين مقام له فيها . وحتى ذلك الوقت - وخلافاً لما هو الحال في المحطات الأخرى من طريق الحج هذا - لم تكن الحكومة التركية قد عينت قائداً للقلعة والقرية ، فتركت للاهلين امر تصريف شؤونهم وتموين قوافل الحج . ويبدو لي انهم قاموا بذلك على افضل وجه . غير اني لا انفي وجود نزاعات وخلافات بينهم غالباًها الحسد المتبادل والتفاخر التافه بين محبي المشاكسة في القرية من شيوخ البطون . وقد بلغ احد هؤلاء والي دمشق نبأها باسلوب متكبر وسيئ فأرسل الوالي ضبابته الى معان ليجمع ، بحججة النظر في المنازعات ، بين البطون المختلفة تحت إمرة رئيس واحد . وستظهر الايام ما اذا كان هذا التدبير هو في مصلحة القرية التي بسدت لي اعظم واغنى المحلات في هذه المنطقة من الصحراء ، وانها جادة الى تحقيق رفاهية اكبر ورخاء اكثراً .

الصناعيون الرئيسيون في معان هم نحاس^٢ وحداد وصانع سلاح ، وقد نزحوا اليها من الخليل . اما معلمها الوحيد فهو إمام القرية وقد ولد فيها وتلقى علومه في القاهرة . وجميع السكان بلا استثناء حنفيون يدققون في تأدية فرائض الدين ، على جهلهم للشريعة والادب العربي ، مثل سواهم من ابناء الصحراء .

اولى ربع ساعة الى الشمال — الشمال الشرقي من معان قرية صغيرة اسمها « الشامية » او « المغاردة » تعيش فيها عشرون اسرة من سورية . وتقوم القرية

*) - التحفظ مستحسن في تقبل أخبار العامة .

على تلة ، في سفحها بعض الحدائق يرويها ماء ضارب الى الملوحة يجري من عين غزيرة . وباستطاعتك ان تحسب « الشامية » من احياء معان مع ان سكانها من قبائل اخرى ومستقلون عن شيوخها . اما هندسة المنازل ، وشكل قطع الطين المجفف البنية بها ، وعادات السكان واسلوب عيشهم واكلهم وزراعتهم وأثار حدائاتهم فتذكروا بسورية . الا ان فقدان الزيتون والتخليل اللذين يضفيان على قرى سوريا ونجده منظراً بهياً يضع معان في الحد الفاصل بين هاتين المنطقتين .

وتميز معان ايضاً بنبات صحراوي مفید جداً اسمه « السَّمْحُ » يقال انه ينمو في انهطال المطر في زمن الثريا (*) وهو لا ينمو في سوى الصحراء الشمالية من بلاد العرب ، في القسم الممتد بين قرية الشامية والجوف . والسمح نبات يشمر قرونًا كبيرة فيها كثير من البذر ، وتبجمع القرون وتتفق بالماء حتى تتفتح وتصعد الى سطح الماء بينما يغوص البذر في القاع . ويجمع البذر ويحفر في الشمس ثم يطحن دقيقاً ويصنع منه خبز للذين الطعم ولكنه عسير الهضم الى حد ما ، يضرب لونه الى الحمرة . وتصنع منه ايضاً مأكولات اخرى . وأنخبرني سكان المويلاج وبلدو شبه جزيرة سيناء ان السَّمْحُ ينبت ايضاً في جزيرة تيران في البحر الاحمر ، ولكنني لم أره ، ولم اذق طعمه ، الا في معان والجوف حيث يستعمل طعاماً مغذياً جداً فيما اذا عجن ، او سلق ، مع التمر . ودقيق هذا النبات يجلب احياناً من الجوف الى نجد حيث يستلذونه طعاماً . اما الشرارات الذين ينبت السَّمْحُ في ارضهم وغير مولعين به فيقايسرون القردوين به على اطعمة اخرى . وهناك نوع آخر منه ينبت في المويلاج له الصفات عينها

(*) - هو فصل الصيف . وجاء في « كتاب المطر » للناصراني ص ١٠١ : « أول القيظ طلوع الثريا ، وآخره طلوع سهيل » - « البلنة في شذوذ اللغة » - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ١٩١٤ .

ويسمى دُعَاعٌ (*) .

ان القبائل الرئيسية في جوار معان ، التي يعمل الاهلون على حفظ صلات الصداقة بها ، هي اولاً الشارات المعتبرة السيدة الاصلية لمعان والجوف ، ويعيش اكثراها في هذا الجزء من الصحراء وفي وادي سرحان ، وثانياً : الروله والنایف ، بطننا عترة ، ثم بنو صخر قرب شوبك والكرك ، ثم الحويطات وقبائل اخرى تعيش في المنحدرات الشرقية من سلسلة الشراة . ويعمل بعض الاهلين بساتين وكرومًا في وادي موسى ويحصيهم البدو العائشون في ذلك المكان شركاء لل فلاحين .

هـ من نوار (مايو) - غادرت معان يرافقي الشيخ احمد القبة وهو من اجل الشیوخ ومن التجار الذين يتعاطون تجارة الجمال المربيحة ، يشتري بالدين عدداً كبيراً منها من الشارات المشهورين بأنهم يملكون نسلاً جيداً من الابل ، ثم يأخذها الى عاصمة مصر ويبيعها فيها فيجيًّا ربيحاً طائلاً . ولدى وصولي الى معان كان يعدّ لرحلة الى البدو ، ولما كان دربه الى مكان قريب من الجوف فانه وعد برافقي الى هناك قبل ان يباشر صفقاته التجارية . وبما انه لا يملك سوى جمل واحد يمتنعه ، وليس له ، وهو القروي ، الحق في حمايتي من القبائل المتاخمة وقبيلته - مع ثقته بسلامته الشخصية بينهم - فقد اضطررنا للتغتيس عن رفيق ثالث يمدّني بالحمل والحماية . وامتنا بالعثور على هذا الرفيق بين الرجال الذين يعيشون في جبال الشراة . وهكذا بدأنا رحلتنا فتوجها الى هناك .

(*)-الدعاع، بالضم: التخل المتفرق، وهو ايضاً حب شجرة بريّة أسود كالشونيز يختبر منه، الواحدة دعاعة. وجاء في اللسان: «وقال أبو حنيفة: الدعاع بقلة يخرج منها حب يستطيع على الأرض تسطحه لا تذهب صدعاً فإذا بيسّت جمّ الناس يابسها ثم دقّوه ثم ذروه ثم استخراجوا منه حباً سود يملؤون منه الفرائر».

ويحيط بمعان من جوانبها جميعاً سهل صحراوي قاحل ، تربته رملية صلبة ، تغطيه أحجار سود صغيرة ، وقد قطعناه في ساعة واتينا منه إلى بعض أودية نباتها قليل ، ترعى فيها قطعان صغيرة ويفتش الرعاة فيها عن الوقود .

بعد مسيرة خمس ساعات من القرية في اتجاه شمالي — شمالي غربي وصلنا إلى عين اسمها «أذْرُح» ، مياهها الغزيرة تجتمع في حوض بسفح تلة تربتها غنية مخضرة ، وفي قمتها برج قديم مستدير وتحته برج آخر مربع بالحوانب ونصف مهدم . ومقابل التلة ، وعلى الضفة الأخرى من الحوض الذي يحاكي بحيرة صغيرة ، آثار كثيرة لمحلة قديمة محسنة يحيط بها سور رباعي الشكل ، وكل جنب منها يبلغ طوله الواحد حوالي عشر دقائق من السير . والسور معمر بحجارة كبيرة منحوتة قطعت من صخور جيرية من الجبال المحيطة بالمكان ، وعلوه اثنتا عشرة قدمًا بسماكة قدمين ، ولا يزال في حال حسن ، وفي داخله انقضاض تكدرست فوق اقبية معقودة بنيت فوقها المنازل . وتقوس عقود هذه الاقبية يذكرني بالمدن السورية والهندسة الرومانية . غير أنني في خلال نصف الساعة التي تركني مرافقني فيها التجول بين الآثار لم أجد أي نقش أو كتابة . وواكّد لي دليلاً أن هذه الآثار إنما هي بقايا مدينة مسيحية منيعة ، بنيت قبل زمان الرسول (صلعم) ، وإن كنوزاً ثمينة جداً مدفونة تحتها . ثم سأله الدليل عما إذا كنت أعرف تعويذات تساعدني على اكتشافها . وروى لي أيضاً أن البرجين كانوا في الأيام القديمة بحر المياه . ولكنه يخيلي إليَّ إنهما ، بالنسبة لوقعهما في قمة تلة ، كانوا يستعملان لمراقبة السهل الصحراوي ، الفسيح المترامي إلى الشرق (٥) .

حول العين والخوض تتدحرج حقول ذرة كبيرة يفلحها بعض الفلاحين الرحّل الذين يقيمون في أقبية في البلدة الخربة . والخربة فيها نمرة ، ونمو الزرع ممتاز ، وماء العين صافٍ وعذب .

ابو الفداء يشير الى اذْرُح بانها بلدة في جبال الشراة ، ويشير في الوقت عينه الى بلدة « مَأْب » بانها في منطقة الكرك^(٦) . وفي القاموس : انها محله قريبة من قرية سورية اخرى اسمها « جربى » ، ولم تذكر معلومات اخرى عنها^(*) . ولم يلفظ السكان اسمها امامي . ونقل ريت عن السيوطي^(٨) ان اذْرُح مدينة على حدود سورية قريبة من بلقاء وعمان ، ولكنها يكتبها اذْرُح (**)

من اذْرُح سرنا في اتجاهِ شماليّ – شمالي غربي ، ساعة ونصف الساعة ووصلنا الى مضارب الحويطات فحللنا ضيوفاً عليهم تلك الليلة .

٦ من نوار (مايو) – سرنا ثلاث ساعات ونصفاً في اودية تمتد الى الشمال ، وتمتد الى الجنوب ، في ارض تلية . ومررنا بخنيام فلاحين رحل . ثم سرنا نحو الشمال الشرقي في وادٍ اسمه « عَلَيْمَة » يبعد ساعتين الى الشرق من الشوبك^(٩) وسلكنا الوادي ساعة فأتينا الى الصحراء الفسيحة حيث سرنا ثلاث ساعات في اتجاهِ شماليّ – شمالي شرق حتى وصلنا الى اطلال حصن عتيق اسمه « خان الزبيب » ، قال لي دليلي ان السلطان سليمان هو الذي بناه ، وكان محطة في طريق الحجج ، ويستعمله البدو اليوم احياناً استبلا بحماتهم وماشيتهم .

والسهل المنبسط بين شوبك والحصن يقطعه « وادي نَجِيل » من الغرب الى الشرق .

بعد ساعة ونصف الساعة من اطلال الحصن وصلنا الى مضارب احدى

(*) – لم نقع على قرية في ذلك المكان اسمها جربى . وانما هي « جبة ». ونرجح أنها طبعت « جربى » خطأ لتشابه حرفي الياء والراء الكبيرين في اللاتينية . أنظر ما جاء عنها في ملحق الاستدراك والتعليق تحت رقم ٧ .

(**) – ERDEKUNDE ج ١٣ ، ص ٢٨٠

أقوى عشائر الحويطات ، اولاد ابن جاري . وهذه الطريقة في تسمية البطون والعشائر تستعمل كثيراً بين البدو الذين هم اليوم في درب الانحطاط ، ولا تستعمل أبداً في الصحراء . وكذلك لم يذكرها نسّابو العرب .

٧ من نوار (مايو) — مشينا ساعة وثلثي الساعة في اتجاهٍ شماليٌ^{*} شرق في الصحراء فوصلنا الى تلة منخفضة اسمها « شجرة النثار » فيها آثار مساكن عتيقة تدل عليها اطلال اسوار ومنازل صغيرة من آجرٍ ، وفي الارض الالم كأنها من صنع حرات تشير الى ان التلة كانت تزرع ولا تزال ، مع اني لم ار حقولاً مزروعة حديثاً . وتابعنا السير ساعتين وثلاثة اربعاء الساعة وترجلنا في مضارب اولاد « بن ثيّاب » ، وهم عشيرة من الحويطات يحملون اسم شيخهم .

٨ من نوار (مايو) — وصلنا بعد ثلاثة ساعات فقط الى خيمة ابن جاري رئيس شيوخ الحويطات في هذا الجزء من جبال الشراة . وابن جاري هو ابن عم حسين بن جاري الذي يحكم عشائر الحويطات الضاربة في جوار العقبة وحتى الوجه ، وعلى طول شاطئ البحر الاحمر . وعلى نصف ساعة من مضارب ابن جاري يقيم الشيخ مقبول زعيم قبيلة العمران الوثيقة العرى بالحويطات حتى ان البعض يحسبونها منهم .

وعلى نصف ساعة آخر ، الى الشمال ، استضافتنا عشيرة المسعوديين في خيامها ، وهي من قبيلة « الحجّايا » ، وشيخها اسمه سليم بن عاقر . وعلى ثلاثة ساعات من هذا المكان يقيم فرع آخر من الحجّايا هو فخذ المغاري ، وشيخه اسمه عبد الله بن حويشد ، نزلنا عنده يوماً واحداً .

وعلى نصف ساعة من هناك نزلنا في خيمة حسين الصوّى (*) ، وهو

(*) - كتبها ALSAWA

على حداثته (١٨ عاماً) الشیخ الاعلی والرئیس لقبیلة الحجایا العدیدة الفروع . و هذه المحلة تبعد ثلث ساعات الى الشرق الجنوبي عن قرية الطُفْفیلة التي تقول الحجایا انها تملکها و تحمیها لقاء « خوّة » يؤدیها الاهلون لها . و تقيم القبیلة اکثر ایام السنة في هذا الجوار ، و عندما تنتقل في الربيع الى نواحٍ بعيدة عن الصحراء يسمح لمعظم شيوخها ولأقوى رجالها بان يشغلو المخازن فيضعوا فيها خیامهم الكبیرة وامتعتهم ومؤنهم التي يستغنوون عنها .

اسم الشراة يطلق هنا على الجبال التي سرنا في منحدراتها الشرقية بعد انطلاقنا من معان . اما في نجد فيطلق احياناً اسم جبال العوارض على كامل السلسلة . و سكان المنطقة يحصرون اسم الشراة بالسلسلة الرئيسية الممتدة من وادي الیم شمالاً حتى سوريا . و يدعى القسم الجنوبي من السلسلة حتى الحجر والوجه « جبال الشفا » او جبال التهامة . و بدا لي هنا – وقد اشرت اليه غير مرة – ان هذه السلسلة تنحدر انحداراً قوياً ، و غالباً عمودياً ، نحو البحر الاحمر والعقبة ووادي العربة ، بينما هي تنحدر في الشرق تدريجاً وتلاشی في الصحاري الرملية في وسط البلاد .

ان اکثر جبال الشراة غرانیتية قاحلة عارية ، وبعضاها من صخور جیرية فيها ماء وتكسوها طبقة من التراب لو عُنِيَّ بفلاحتها عنابة احسن بلغت خصباً اجزاءها الشمالية التي في فلسطين . وفي الجبال هنا تبدأ المغاور والكهوف التي تکثر في جبال فلسطين . والبدو يستعملون في الغالب هذه الكهوف ، على صغرها ، منازل لهم أو زرائب لقطعنهم ، وهي قليلة بالنسبة للكهوف المنتشرة في المنطقة الشمالية . و يؤکد السکان ان المسيحيين في الماضي كانوا يقطنون هذه الجبال . وكانت وقتنى حقول الذرة وبساتين الفاكهة والكرום تغطي الارض . ولا تزال آثار واضحة في جميع الانحاء تشير الى ازدهار الزراعة القديمة وثبتت رواية السکان . والنباتات البرية كثيفة وعديدة الانواع . وفي

الاودية والتلال تكثر المراعي الجيدة بين شجر الشيح وهو الشجر الذي يحب البدو خشبته وقد تغنى به الشعراء القدماء . وجوّ الجبال الشامخة تعطره رواحة الاعشاب فتجعل هواء الشراة من أفضل ما تنشقته من هواء . وهو صحي جداً يزيد في نشاط السكان ذوي الاجسام القوية والمملوءة عافية .

إلى قبائل الحويطات والعمران والحجّايا — وهي تؤلف اهم قبائل هذه النواحي من جبال الشراة — صادفت عدداً كبيراً من عشائر الشرارات وقد فرّت من موطنها في وادي سرحان لاجئة إلى هذه الجبال خوفاً من الشمر الذين أخذ نفوذهم يمتدّ تدريجياً وكانت غزوتهم في تزايد مستمر . وصادفت أيضاً عائلات من بني صخر تقيم موقتاً في زحاب الحجّايا . وفي أماكن أخرى لقيت عائلات فقيرة من عرب معازه .

ان الحويطات والحجّايا هما بلا شك اكبر واقوى قبيلتين في هذه الانحاء . والقبائل الأخرى المختلطة بهما قليلة الاممية ، نسبياً ، وقد انصرفت كلّياً فيهما . وافخاذ الحويطات التي تضررت في هذه الانحاء تعتبر اقوى واشرف فروع القبيلة اطلاقاً . ويصبح القول ان الحويطات يملكون المنطقة الجبلية المؤلفة من جبال تهامة والشراة ، والاراضي المنخفضة التي على ساحل البحر الاحمر ، ووادي العربة ، من ميناء الوجه حتى الطائفية .

ان تقديرى للحويطات دفعني الى البحث والتحصي بتدقيق لمعرفة منشأهم ، فسألت افرادهم وسألت البدو الآخرين وسكان المدن واتفق الجميع على ان الحويطات تحدرت من الفلاحين والقرويين الحضر . ولم يستطع احد اعلامي متى نزحت هذه القبيلة الى الصحراء وما هو سبب استبدالها بالحياة الحضرية المستقرة حياة البداوة . والكتاب العرب لا يذكرون اسمها . وافرادها يختلفون في عاداتهم ولanguages لهم اختلافاً كثيراً عن عرب الداخل وعن عرب « الطورة » المقيمين في شبه جزيرة سيناء ، كما يختلفون عن افراد القبائل

المجاورة ، واساريرهم – على ما لاحظه برکهاردت ^(١٠) – شبيهة بأسارير المصريين حتى أنها لتنبيء فوراً بأنهم نزحوا من مصر .

ولا مشاحة في انه يندر ان عرباً تحضرروا واقاموا في ارض زراعية خصبة يعودون الى الصحراء والى حياة البداوة . ولكن صدف ان شاهدت بنفسي عودة كهذه : ففي أثناء اقامتي في ربيع ١٨٤٨ عندبني عقبة ، في ضواحي المولىع ، صادفت رجلاً منهم ولد في قرية مصرية في « الشرقية » ، نزح ابواه اليها ، فنشأ الطفل فيها بين الفلاحين وانخذ عنهم طجتهم ومظهرهم حتى لصارت تصعب معرفة أصله البدوي . وحين لقيته كان في سبيله الى انسائه البدو الرحّل لاجراء اللازم كي يرجع بعائلته من القرية المصرية ويعيش في الصحراء . وصادفت حوادث مماثلة في بلاد ما بين النهرين (العراق) : فقد غادرها عديدون من بني شمر بعد ان عاشوا فيها طويلاً وعادوا الى موطنهم الاول في نجد .

ومن المحتمل ان الحويطات هم بقايا قبيلة عربية قديمة نزحت الى مصر وتحول افرادها الى فلاحين ، او انهم ، في الارجح ، من مزارعي وادي النيل الاصيلين ، وقد دفعتهم احداث سياسية الى مغادرة بلادهم واللجوء الى جبال الشراة المنيعة . ان اسمهم ليشير الى اصولهم الفلاحي ، او القروي : فكلمة حويطي تعني « ساكن الحيط » ، اي البيت ، وهي تتوافق وتسمية « اهل الحيط » التي يطلقها البدو على سكان المدن في جميع بلاد العرب ، في حين انهم يسمون أنفسهم بالبدو ، اي الرحّل ، او بأهل الشعر ، اي سكان الحيام . وعلى كلّ فإنّ القسم الاكبر من القبيلة لا يزال يعيش في مصر عيشاً نصف بدوي ونصف زراعي . والبدو الحقيقيون المقيمون الى الشرق من جبال بلاد العرب يذكرون الحويطات بازدراة ، على عادة البدو في كلامهم على الفلاحين . ^(١١)

ان الحويطات ، باستثناء بعض الاسر المقيمة في جوار الطفيلة ، تخضع

لوالي مصر وتحمّل حكمه راضية ودون تذمر . وابن شدید هو كثیر شیوخ الحویطات النازلة في مصر ، وهو يقيم اکثر السنة في العاصمة تحت مراقبة الوالي مباشرة . وقد منحه هذا أملأاً وأاسعة في الشرقية (*) .

والحویطات المصريون وقفوا انفسهم للزراعة . اما الرحال فيعملون فيها دون تردد متى استطاعوا اليها سبلا . وهؤلاء (الرجال) على صداقه بختلف فروع قبيلتهم ، وبالبدو الآخرين المتنقلين في سلسلة جبال الشراة وفي الغرب منها ، كقبائل التياها والطواراء والمعازه التي تقيم عائلات منها في الصحراء بين عربة وغزة .

في اواخر سنة ١٨٤٧ نشب نزاع بين شيخي قبيلة بنی جازی بسبب سرقات ابل صغيرة اقرفها افراد من الحویطات يسكنون العقبة وكادت الحرب تندلع طويلا بين ولدي العم ولكن سرعان ما تصالحا بتدخل قبيلة « العلاؤین » المحايدة بعد ان تناوشوا وتبدلوا غزوات وسرقات طفيفة رمزية .

ان الحجایا عامة على عداء مع التياها . ولهذا لا يجرؤ الادلاء من التياها الذين يعملون مع المسافرين على ان يدخلوا « الخليل » الا خلسة .

وجميع هذه القبائل على عداوة مع عترة ومع العربان الذين في الجانب الشرقي من الجبال . فهي تهاجم عترة حتى في عقر دارها . وفي مقامي بوادي دلاغة عند بنی عمران كنت ارى دائمًا فرساناً من عترة متربصين في الجبال القريبة لينقضوا بين ساعة وآخرى على المقيمين في جوار نبع « بسطة » . وقبل قدومي بقليل نشب معركة بين الحویطات والرولة بسبب المرعى فقدت فيها ارواح وخيل كثيرة .

واذا استثنينا البطنون المقيمة في جوار الطفيلة ، فان القبائل الاخرى لا تنزو

(*) - هؤلاء الفلاحون يقطنون اليوم بالقرب من طنطا .

القبائل المعادية لها لأن ليس فيها صفات البدو الأصليين . أما الفلاحون المساكين الذين يعيشون بين البدو في جبال الشراة وقبيلة هَتِيم الفقيرة المكافحة في صيد السمك على شاطئ البحر الأحمر لاجل لقمة العيش فيشعرون بوطأة تلك القبائل وسلطتها عليهم ويجبنون أمامها مما يتناقض وخيال ابناء الباذية الحقيقيين ومرؤتهم .

ويبدو أن عرب الحجّايا أصفى أصلاً من سواهم ، وملائمهم وآخلاقهم وسلوكهم أقرب إلى ميزات البدو الحقيقيين من آية قبيلة أخرى في هذه المنطقة وذلك على الرغم من أن الكتاب العرب الذين سُنحت لهم الفرصة لمراجعة مؤلفاتهم يجهلون اسمهم . ويبدو أن هذه القبيلة غنية عظيمة لكثره ما تملكه من الخيل ، فانخيل في البداوة مقاييس للقوة والغنى . وتغزو الحجّايا غزوات كثيرة في داخل الصحراء وتبيع الغنائم التي تحصل عليها بسهولة في المدن المجاورة . أما نحيوها فمرغوبه كثيراً في سوريا ومصر .

وبالاضافة إلى الرحل ، يقيم في هذه الجبال عدد كبير من البدو الفلاحين الذين يعنون بزرع النّرة ، ويزرعون أحياناً الكرمة وشجر الفاكهة حيث الماء يكفي لجعل التربة متنجة . وهم يعيشون في خيام ، باستثناء نفر قليل منهم يسكن وادي موسى ، وينقلون مضاربهم من مكان إلى آخر وفقاً لمتطلبات الزراعة والمحاصيل ، أو للحاجة إلى المراعي . وبدوا الجوار يزدرونهم ويسقطون معاملتهم ويرغمونهم على دفع « خوّة » باهظة لا تردّ عنهم تأدبة اتاوى مختلفة أخرى . ومراراً شاهدت البدو يقودون بعطرسة خيلهم وأبلهم في حقول النّرة غير المحصودة ويطلقونها فيها لترعاها دون أي رادع . وعلى رغم من كون هؤلاء الفلاحين مزارعين مسالين فهم يحملون دائماً سلاحاً أسوة بسواهم من العربان ، ويشتركون أحياناً في التزاع والغزو مع أخوانهم البدو . وعددهم القليل ، وعجزهم عن مناهضة مضطهديهم وشهر السلاح

عليهم ، كما يفعل الفلاحون السوريون ، هذا كله يجعلهم يخضعون بصمت لاستبداد البدو المسلطين عليهم .

واثناء وجودهم في الخيام يقوم الفلاحون باعمال يدوية، بعضها ترميم اسلحتهم ، وصنع اواني واثاث ، لذويهم منها اكثر مما يحوزه البدو . وعلى رغم من قلة قطعائهم ، ودخلتهم ، ومن سوء حالمهم الى حد ما ، لقيت في بيوتهم وسائل للراحة ورغداً اكثر مما في بيوت اسيادهم . وعندهم شعور ديني قوي ، ورغبة في تعلم فرائض الدين وتعاليمه اكثر من سكان الخيام . ولما كنت متلبساً بثوب شيخ مسلم عالم (*) فقد كانوا يستعملون مني عن امور الدين باهتمام ، والى كونهم يختلفون عن جيرانهم الرحل في عاداتهم ومشاعرهم فان هيئتهم تدل على اصل مختلف : ذلك ان سخنانهم سوريا تطفى عليها في كثير من الحالات ملامح يهودية بارزة (كذا) وأرى انهم بقية من السكان الاصليين ، من يهود قدماء ، او من انباط . ويوسفني اني لم اقع على معلومات كافية عن هذا الموضوع لدى الكتاب العرب ، وكذلك لم استطع اثناء مقامي القصير بهذه الجبال ان اجمع حقائق تساعدني على البت في الامر . (**)

وهنا (في جبال الشراة) تنتهي حدود الوهابيين ويتهي سلطان زعيمهم ابن سعود (***) الذي يعم نفوذه شمالي بلاد العرب ونجدًا ، ولكنه لا

(*) - قال بالإنكليزية Learned

(**) - يكرر المؤلف في مختلف المناسبات قوله انه لم يوجد ما يطلب عند « الكتاب العرب » . وهو قول ضعيف اذ ان الكتاب التي وصل اليها فالين - او انه استطاع الوصول اليها - ليست هي « جميع » المؤلفات العربية التي تسد حاجته ، ولا هي نصفها .

(***) - كان زعيم الوهابيين وحاكم نجد يوم رحل فالين رحلته هذه الأمير فيصل بن تركي آل سعود ، وهو الاب الثاني بخلافة الملك فيصل بن عبد العزيز (أي جده لأبيه). وقد

يتخطى جبال الشراة ، فسكان هذه الجبال ، رحلاً وفلاحين ، لم يُكْرَهوا على تأدية الزكاة ، ولا ارغموا على اعتناق الوهابية . وببدو المنطقة ، ومنهم الحويطات خاصة ، يجهلون كل الجهل امور الدين كلها ، ولا يكترون لما يوجبه عليهم ، وهم في هذا مثل اكثـر اهل الـبادـة . اما الفلاحـون فـيـأـتونـ الشـعـائـرـ ظـاهـرـاًـ ، كالـوضـوءـ والـصلـواتـ الخـمـسـ وصـيـامـ رـمـضـانـ ، وـيـعـلـونـ انـهـ يـتـبعـونـ مـذـهـبـ اـبـيـ حـنـيفـةـ السـائـدـ فـيـ جـمـيعـ سـوـرـيـةـ ، وـلـكـنـهـ يـجـهـلـونـ التـعـالـيمـ الـاسـاسـيـةـ وـيـقـتـرـونـ إـلـىـ مـعـلـمـيـنـ يـلـقـنـهـمـ اـصـوـلـ دـيـنـهـمـ وـيـشـعـونـ رـغـبـتـهـمـ بـهـاـ .

ان المعلومات التي في المؤلفات العربية عن هذه الارض قليلة . ولكنها على قلتها توکد كلها ما يزعمه السكان الحاليون ان المنطقة في الماضي كانت اكثـرـ اـزـدـهـارـاًـ وـاـخـصـبـ زـرـعاًـ ، فـاـنـهـ يـصـفـونـهاـ باـنـهاـ اـرـضـ غـزـيرـةـ المـيـاهـ ، تـكـثـرـ فـيـهاـ الاـشـجـارـ وـالـفـاكـهـةـ ، وـلـاـ سـيـماـ الـكـرـمـةـ وـقـصـبـ السـكـرـ ، وـزـرـاعـتـهاـ نـاجـحةـ . وـيـؤـكـدـ كـلـ مـنـهـ (منـ الـكـتـابـ الـعـربـ) انـ الـفـلاـحـينـ فـيـ زـمـانـهـ كـانـوـاـ يـسـكـنـونـ الـمـنـطـقـةـ ، مـاـ يـسـتـنـجـعـ مـنـهـ انـ الـبـدـوـ لـمـ يـسـيـطـرـواـ عـلـيـهـاـ الاـ مـدـدـ قـرـيـةـ ، وـذـلـكـ لـانـ الـمـارـاعـ الـمـسـلـمـ لـاـ يـسـتـطـعـ النـجـاحـ فـيـ اـرـضـ يـسـيـطـرـ عـلـيـهـاـ الـبـدـوـ الرـّحـلـ .

وقلت آنفـاًـ انـ السـكـانـ الـحـالـيـنـ يـطـلـقـونـ اـسـمـ «ـ الشـراـةـ »ـ عـلـىـ القـسـمـ الشـمـالـيـ وـحـدـهـ مـنـ سـلـسـلـةـ الجـبـالـ وـلـكـنـ بـعـضـ الـعـغـرـافـيـنـ الـقـدـمـاءـ اـطـلـقـوـهـ عـلـىـ كـامـلـ

= ذـكـرـهـ أـمـيـنـ الـرـيـحـانـيـ بـالـنـيـرـ وـالـتـقـدـيرـ فـيـ كـلـامـهـ عـلـيـهـ فـقـالـ : «ـ ...ـ حـكـمـ فـيـصـلـ حـكـمـاـ عـرـبـاـ سـعـودـيـاـ ، مـهـلـ اـبـيـ عـمـهـ عـبـدـ الـعـزـيزـ وـسـعـودـ ، فـأـقـامـ الـعـدـلـ ، وـعـزـزـ الـأـمـنـ ، وـأـعـادـ إـلـىـ نـجـدـ شـيـناـ مـنـ الـيـسـ وـسـالـفـ الـمـجـدـ ، بـلـ إـلـىـ مـاـ وـرـاءـ نـجـدـ : فـقـدـ بـسـطـ سـيـادـتـهـ عـلـىـ الشـطـرـ الـأـكـبـرـ مـنـ شـبـهـ الـجـزـيرـةـ ، فـدـانـتـ لـهـ الـإـحـسـاءـ وـالـقـطـيـفـ وـوـادـيـ الدـوـاسـرـ وـعـسـيرـ وـالـجـبـلـ وـالـقـصـيمـ . دـانـتـ لـهـ حـبـاـ لـاـ كـرـهـاـ . الـخـ ...ـ »ـ .
«ـ تـارـيـخـ نـجـدـ الـحـدـيثـ وـمـلـحـقـاتـهـ »ـ ، صـ ٨١ـ (ـ طـ ١ـ)ـ .

السلسلة من اليمن الى سوريا، وبالاضافة الى المدن والقرى التي ما تزال موجودة، والتي ذكرها المؤلفون العرب في كتبهم ووصفوها وصفاً مقتضباً ، هنالك كثير من المدن والقرى ذكرها اولئك الكتاب ، لم يبق منها سوى خرائب تحمل في كثير من الاحيان اسماء جديدة تختلف عن القديمة الاصلية . ويذكر المؤلفون العرب فيما يذكرون قرية الحُمَيْمَة^(١٢) ويقولون انها قبلة الشوبك على مسيرة يوم واحد منها ، في الجانب الغربي من وادي موسى ، وربما كان هذا المكان هو قرية « الجي » الحالية التي ليس اسمها شائعاً – اذ يطلق اسم وادي موسى على هذه المنطقة – ومن المحتمل ان اسمها هو اللفظ العربي للكلمة اليونانية (GEA) التي قال عنها استيفانوس بيزنطيوس انها مدينة قرب البطرا (بترا) . وفي « الجي » قيل لي إن الفلاحين يروون حقول النرة والكرمة بعياه فاتورة نتنة ، ما ان تركد في البرك حتى تصاصعد منها ابخرة فاسدة وغير صحيحة ، وكثيراً ما تسبب حميّات للاهليين . وأحياناً يلجم السكان الى هذه المياه ، والى المياه الحارة والكثيرة في الجبال ، للاستشفاء ولمعالجة العلل المختلفة علاجاً يشفي في بعض الأحيان .

١٨ من نوار (مايو) – انطلقنا من آخر مخيم للحجّاجايا ، يرافقنا ثلاثة من الشرارات تركوا عيالهم هنا ، حيث يسكنون منذ عدة سنين ، ليقودوا الى الجوف اربعة جمال محملة صوفاً . فسرنا ساعة في وادٍ ينحدر الى سفح الجبل حتى نقلنا الى بادية الشام المترامية الاطراف . نحن هنا في طرف السهل ، في الحدود التي تفصل بين الجبال والبادية ، على مسافة اربع ساعات الى الجنوب الشرقي من قرية الطُّفَيْلَة . ثم سرنا في الصحراء الى الشرق عبر أشد البقاع التي شاهدتها إيقفاراً وجندباً . ان سطح البادية تغطيه الحصى ، لا النبات ، وهذه الحصى قد تلمع من اشعة الشمس فيبدو لو أنها داكناً احياناً ، ويسقط مبيضاً و يؤذى العينين في حين آخر .

وسرنا بسرعة عظيمة اربع ساعات ونصف الساعة فشاهدنا قلعة الحسا على بعد ساعة الى الشمال منا . والحسا محطة في طريق الحج فيها بشر وحامية لا يتجاوز عددها بضعة رجال . واكدى لي رفقاء ان ماء البئر رديء جداً .

وبعد خمس ساعات أخرى من السير شرقاً ، في أرض مماثلة ، اتينا بركة ضحلة ، ولكنها واسعة ومياهها من الامطار ، يقال لها بركة « باعج » ، وقد تكون هي البركة المدرجة في الخارطة باسم « بائر » ، في وادٍ مسطح تربته رملية تجمع فيه مياه الامطار ، وهذه تعطي الحياة لبعض خضبار وشجيرات . والبركة يبقى ماؤها طوال أيام السنة فيما اذا هطول الامطار كان غزيراً في الشتاء ، وفي غير ذلك يجفمنذ اولى ايام الصيف . ولما اتينا البركة وجدنا الماء فيها كثيراً وموحلاً يصعب شربه .

١٩ من نوار (مايو) - غادرنا البركة بعد ان حسبنا الفسنا مخطوظين بملء قربنا من مائها الذي تعافه النفس . وسرنا قليلاً في الوادي ، ثم في ارض قفراء يمر الوادي عبرها . وبعد اربع ساعات وثلاثة اربع ساعات من مغادرتنا البركة مررنا بسلسل تلال جيرية منخفضة . ولم نتوقف للمبيت الا بعد ساعات متتالية .

٢٠ من نوار (مايو) - سرنا خمس عشرة ساعة متواصلة في الباادية عينها . وهذه الباادية ، على الرغم من قحطها ، تتخللها هنا وهناك اثلام (خطوط) من الرمل اوجدها السيل ، وقد نبتت فوقها اعشاب صحراوية ردية النوع قد جفت ، فاستعملناها وقوداً لاعداد طعامنا القليل .

٢١ من نوار (مايو) - سرنا اربع عشرة ساعة ووصلنا عند المغيث الى آبار صدئع فلقينا ماءها مالحاً مرّاً ما كان ليروينا مع انا في ظمام منذ ثلاثة ايام . وقال البدو ان المياه هنا كانت جيدة عذبة الا ان خلو الجوار من الرحّل فلا يأتي أحد كي يستقي ، والمياه لا منفذ لها ، جعلها تركد وتؤسن .

أضف الى ذلك ما تنقله الرياح من الصحراء المحيطة بالمكان من الغبار المالح .

٢٢ من نوار (مايو) - بعد اربع ساعات من انطلاقنا اتينا بعض الآبار الأخرى وهي آبار «أويسط» التي لا يختلف ماؤها الا قليلاً عن ماء صديع . ولكن للارض هنا مظهراً يختلف اختلافاً كاملاً عن مظهرها هناك . فالتربة الأولى جبلية صلبة تتخللها الحصى الدكاء ، وقمم عارية منعزلة فوق تلالٍ رملية جيرية ، ترتفع في بعض الاماكن ، وفيها نبت ضعيف ، في حين ان الارض تعطيها ، ابتداء من هنا ، رمال ناعمة كثيفة تتماوج في تلالٍ صغيرة يكثر ، نسبياً ، فيها النبت الاخضر .

ان الجغرافيين العرب يطلقون اسم «الصحراء السورية» (بادية الشام) على البقعة المترامية التي عبرناها ، وعلى تكملتها الشمالية الممتدة بين سوريا وبلاد ما بين النهرين (العراق) . اما اسمها الروماني ARABIA PETRAEA (العربيّة الحجرية) الذي ينطبق على ارضها الحجرية فلم اجد كلمة تؤدي معناه في المؤلفات العربية القديمة والحديثة . ويجوز القول عن هذه الصحراء انها شبيهة بواي عظيم يبدأ في سهل دمشق ويتراكم الى تيماء فيندمج في سهل آخر ينبع على السفح الشمالي الغربي لسلسلة أجاً . ان هذا الوادي -الصحراء- تحدده غرباً جبال الشراة حتى حجر ، ويحدده شرقاً وادي السرحان الذي تقع آبار أويسط على جانبه . اما جنوباً فتحده ارض التفود التي تنتصب كاسوار رملية فوقه . ولا تحمل هذه الصحراء في ايامنا اسمَا واحداً بل ان لكل جزء منها اسمَا هو في كثير من الاحيان غامض المعنى . والجزء الذي قطعناه في رحلتنا هذه اسمه «بسطة» وقيل لي ان السَّمْطَن ينمو فيه .

نادرًا ما يجوب البدو صحراء سوريا وذلك بسبب قحطها ويباها الكاملين . وإنْ أتواها فأيامهم فيها قصيرة . ويصادف احياناً بعض من الشرارات الذين يعيشون في وادي السرحان ، وهم في طريقهم الى معان وجبال الشراة . والى

الشمال منهم يتشر بنو صخر حتى الكرك . اما في الاجزاء الجنوبيه حيث تسع الاودية وتزيد خصباً فاخذ من عترة ، كـ «الفُقراء» و«ولد سليمان» ، تضرب خيامها احياناً لبضعة أيام .

ان انحدار هذه البقعة هو الى الجنوب والجنوب الشرقي ، على ما يرى من مخاري الاودية والحداول الشتوية وطريق الحج السوري . وهذه الطريق تنحدر من دمشق الى حِجر دون ان تصادف ، حسب علمي ، ايota شعاب او هضاب . وسرنا من آبار اويسط ، في اتجاهٍ شرقى - جنوبى شرقى ، في وادى سرحان ، سبع ساعات ونصف الساعة قبل ان نتوقف للمبيت .

٢٣ من نوار (مايو) - سرنا طوال اثنى عشرة ساعة في اتجاهٍ شرقى - جنوبى شرقى ، وقبيل انتهاء النهار مررنا بسلسلة منخفضة من الجبال الصخرية الرملية ، وقال لي مرافقى ان في هذه الامكنته آباراً عديدة وبركاً كثيرة ، وانه لو لا شح المطر في هذا الشتاء المنصرم لمررنا في كل نصف ساعة بمضارب للشراارات ، إلا أنها لم تلتقط احداً منهم طوال الرحلة . وقد بتنا تلك الليلة قرب «بئر صبيحة» فوجدنا حولها خضراء نضرة وشجيرات من التخيل واعشاباً صحراوية منوعة . ونمت هناك ايضاً نخلة يقال انها ثمر رغم ان احداً لا يعني بتلقيحها .

٢٤ من نوار (مايو) - تابعنا مسيرنا في الاتجاه السابق على طول سلسلة من الجبال المنخفضة اسمها «العصيري» كانت الى يسارنا . وبعد احدى عشرة ساعة ونصف الساعة دخلنا وادي «الحلاء» في تلك الجبال وسلكنا محراه شرقاً ساعتين اخريين .

٢٥ من نوار (مايو) - تقدنا بعد نصف ساعة الى منبسط قاحل تربته حجرية صلبة تشبه ارض الصحراء السورية وقطعناه متوجهين شرقاً الى جنوب شرقى في ست ساعات ، وأتينا منه الى سلسلة جبال «جال

الجوف» (*) التي تحيط بالوادي الدائري الشكل حيث مدينة الجوف^(١٣). وبعد ساعة ونصف الساعة من السير في أعلى السلسلة نزلنا إلى قاع الوادي المدعو «البَطِين»، وقد بلغ مجموع سيرنا من آخر مضرب للحجاجيا (وهو يبعد أربع ساعات إلى الجنوب الشرقي من الطفيلة) ثلاثة وخمسين ساعة عبر بادية الشام إلى آبار أوبيسط حيث يبدأ وادي السرحان . وبلغ أربعين ساعة ونصف الساعة من هذه الآبار إلى الجوف . ويجب أن أشير إلى أن سيرنا كان سريعاً جداً مع أن جمالنا محملة ، وقد استوى سطح الأرض في أكثر الأحيان وهذا مما سهل سيرنا ، وكانت جمالنا من أبل الشراارات ذات العرق الجيد، وهي قوية وحسنة التغذية .

أخبرني البلو أن وادي السرحان الذي اجترنا قسماً منه يبدأ على ساعتين إلى الجنوب من دمشق ، ويتابع إلى محلة تبعد يوماً واحداً عن الجوف إلى الشمال ، فتعرضه جبال « جال الجوف » ويجوز أن يقال عنها أنها ، على مسمّها ، جروف القسم الشمالي من الجزيرة . ويمتد الوادي على جانبي السلسلة حتى يصل إلى التفود والدهنهاء ، في الجهة الجنوبية من الجوف . ولا يجوز عدّ وادي السرحان وادياً منتظماً على ما رسموه في خرائطنا ، فهو انخفاض في الأرض تعلوه ربيبة رملية ناعمة ، وارضه تشبه أرض التفود ، الا ان تلال التفود تمتاز عنها بأنها أعلى ارتفاعاً وأعظم قاعدة . وينخيل إلى أن تلال السرحان الرملية تكونت من فعل الرياح التي قذفت برملي الصحراء وجمعته في أكوام حول جذور الشجيرات ، فأخذت الأكوام تكبر تدريجياً مع الزمن وصارت تللاً وجبالاً . وإذا هطل المطر بغزارة جعل هذه المحلة أكثر أراضي الصحراء

(*) - لم نشر على هذا الاسم في « معجم البلدان » .

خصباً . وقد رأيت الأعشاب والشجيرات تكسوها . وعبئاً حاولت الحصول على أية معلومات عنها في كتابات الجغرافيين العرب ، بل اني لم أجد اسمها فيها . وأظن أنهم حسبوها في الماضي جزءاً من الدهناء ، وأن اسمها الحالي لم يطلق عليها إلا مؤخراً (*) .

ان وادي الجوف دائرى الشكل تقريباً ، تحيط به سلسلة « جال الجوف » ذات الارتفاع المتساوي . وهذا الارتفاع يقارب خمسماة قدم فيما اذا قيس من السفح . و « جال الجوف » جبال صخرية رملية تنحدر عمودياً الى الوادي وتغطيها الرمال بعض الاحيان في حين انها تلتتصق تدريجياً ، من الجانب الآخر ، بتلال الدهناء الرملية . وفوق قمم السلسلة ، الى الشمال الشرقي ، ترتفع هضبة الحمائميات وتتفتح السلسلة الى الشمال الغربي في شِعب يطلق عليه اسم « الفاو » (**) فيه مر يوصل الى سوريا . وتعرض الشكل الدائري في الغرب قمم معزولة ومتساوية الارتفاع تتفرع من السلسلة وتتصل بجبل كلكسي آخر أقل انخفاضاً ، ثم تنحدر تدريجياً الى مركز الوادي فتنتهي في الرمال . وببلدة الجوف هي في آخر منحدرات الجبل الكلكسي ، في بقعة نصف دائرة الشكل ، يبلغ طول قطرها من الغرب الشمالي الغربي الى الشرق - الجنوبي الشرقي حوالي ٣٥٠ خطوة .

وفي مركز نصف الدائرة هذه تنتصب « قلعة المارد » القديمة مواجهة للشمال فوق حرف من الجبل الكلسي ، وتطل على الجوف والوادي بكامله . وهي خربة خالية من السكان ، تبدو وكأنها مركز البلدة فقد شيدت حولها الأسواق والأحياء .

(*) - حاجي خليفة ذكر الجوف في كتابه « جيهان نامه » .

(**) - كتبها بالانكليزية AL FA'W

ان قطر الوادي ، من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، وهو اطول قليلا من قطره في الاتجاه الآخر ، يبلغ حسب تقديري حوالي ثلاثة أميال انكليزية (*). اما التربة فرملية صلبة ، ومجده في الغالب . وكلما ابتعدنا عن الجبل الكلسي ازدادت التربة مَحْلاً، ذلك لأن الينابيع هي في الجبل ، والآبار تحفر فيه .

ان اكثُر بيوت الجوف مشيدة بالطين المجفف بالشمس (اللِّبْن) ، والمصوب في قوالب مستطيلة الشكل ، طول الواحد منها ثمانية بوصات (**)، وعرضه أربع تقريرياً ، وعلوه بوصتان . وكل حيٌ في الجوف يحيط به سور من اللِّبْن يفصله عن الاحياء المجاورة له . والبيوت داخل السور قائمة من غير ترتيب ، تفصل بينها في الغالب بساتين صغيرة وحفر عميقه نشأت من جراء الحفر في الرمل لاستخراج الطين . والأسواق ضيقة غير متناسقة ولا مرصوفة . وفي كل حي ساحة ينبع فيها الغرباء جمامهم ، وكذلك يحطرون رحالم فيما اذا لم يكن لهم اصدقاء او من يعرفونه من الاهلين . واهل الحي يجتمعون في هذه الساحة ايضاً قبيل الغريب ليبحثوا في امورهم .

واكثُر المنازل فيها غرفة مستقلة عن البناء الرئيسي يسمونها « غرفة القهوة » يستضيفون فيها الغرباء . وفيها يتناول الصيف الطعام والقهوة . والبساتين ومزارع التخييل بعيدة عن البيوت وتمتد في سفح الجبل الكلسي ، وتتتابع الى اعمق الوادي . ولكل بستان سور خاص به يفصله عن البساتين الاخرى . وبين الاسوار ممرات ضيقة يستعملها المالكون للتنقل وتُستعمل ايضاً ليلاً ونهاراً اقنيةً بحرّ المياه من الينابيع الى المزارع . ويخصص بكل بستان عدد من الساعات ،

(*) - الميل الانكليزي يبلغ 1609 أمتار

(**) - البوصة كيل انكليزي يبلغ ستة مترتين ونصف المستيمتر تقريرياً .

بالنسبة الى مساحته ، يمتد فيها الماء اليه ، وهذه الحصة تحددها في النهار مواقيت الصلاة ، وتحدد في الليل بواسطة النجوم . غير ان هذا الري لا يكفي المزارع كلها فحفرت في البساتين آبار لتمدّها بما تحتاج إليه من مياه . اما العثور على الماء في هذا الوادي فسهل ولا يتطلب استخراجه الحفر العميق كما هو الحال في الجوار ، فأعمق الآبار فيه لا يتجاوز عشر قامات . وبالاضافة الى التخل الشمالي الذي يبدؤ متصلًا هنا ، ينمو في الجوف اكبر الاشجار المشمرة المعروفة في البلدان ذات المناخ المماثل ، وإنْ بكميات قليلة ، كالتين والمشمش والاجاص والبرتقال والعنب الخ ... اما الرمان الكثير النمو في القرى القائمة على طول طريق الحج السوري وفي نجد ، فلا تنجح زراعته هنا . وزراعة الخضار قليلة جداً وهي أقل بكثير منها في نجد . وتترعرع الذرة بين الأشجار في البساتين ويکاد مخصوصها يكفي حاجة زارعيها ، وهذا أمر نادر في قرى الصحراة .

وبلدة الجوف يعدّها السوريون اول محطة في نجد ، وهنذا يطلق عليها احياناً اسم «باب نجد». اما التجاريون فيعدّونها في سوريا . ولم اسمع ابداً عرب هذا الجوار يقرنون اسمها بكلمة السرحان (على ما ذكره نيابوهر^(١٤) زيتسن^(١٥)) .

وتتألف البلدة من اثني عشر حيّاً تسمى «أسواقاً» ، وينتسب سكانها الى قرى وقبائل جد مختلفة . وتسودهم العادات والطبع والملامح السورية ، كما تغلب الهندسة السورية على منازلهم . وفي المزارع تستعمل طرق الفلاحة والزراعة السورية . والجزء الأقدم من الاهلين من اصل سوري جلي ، ومن العدنانيين . وفي بعض الاحياء اناس نزحوا الى الجوف متأخرین . ويلاحظ ايضاً ان اتصالهم بسوريا أنشط من اتصالهم بالعراق . وان التجار الذين يؤمون الجوف هم التجار السوريون وحدهم ، والحال في نجد عكس هذا حيث يندر ان تصادف تاجرآ سورياً .

فيما يلي أحياء مدينة الجوف ابتداء من جهة الغرب :

الحي الأول : الغرب ، ويقسم ستة أقسام اسمها : أشوان (عشوان ؟ أصهوان ؟) (*) . ابن حسني . صناع المرعي (**) . الجفرية . عين ام سليم . ابن قعَيد . وهي قرية بعضها من بعض ، وتقع في الطرف الشمالي الغربي من الوادي ، ويقطنها حوالي مئة اسرة تنحدر من شمر وتحمل اسم « حَمُولَة المُنَاصِبَة » ، ويقيم اكثراها في « ابن قعَيد » (اكبر سوق في الحي) وفي « الجفرية » و « ابن حسني » . وسكان « اشوان » اصلهم من الروملة الرحّل من قبيلة عنزة . وسكان « عين ام سليم » من عرب سرحان . وفي « صناع المرعي » يقيم المحرفيون الذين نزحوا من سوريا وبلاد العرب . ويبدو أن حي « الغرب » هو أحد أحياء المدينة الحديثة .

الحي الثاني : الدِّرْع ، أو سوق ابن الدِّيرع . وهو أقدم أجزاء البلدة . فيه بناء عتيق من حجر منحوت يقال ان الخليفة عمر حوله الى مسجد (***) وان ابن سعود رممته في بدء الدعوة الوهابية . وفي قرب المسجد تتصلب مئذنة غير متصلة به ، وهي المئارة الوحيدة في البلدة ، بنيت على قوس باب الحي . وقد تكون « البرج المربع الرائع المبني بحجارة ضخمة وعريبة » ، والذي ظن ريتز (بالاستناد الى يوسف الملكي مرجع زيتزن) انه مسلة ، او قد تكون أيضاً ما ذكره بوركهاردت انها أحد « الاهرامات » التي أخبره عنها في حلب رحالون أتراك وقالوا له إنها موجودة في الدِّرْعية . ولكنني لم أجدها في حلب رحالون أتراك وقلوا لها إنها موجودة في الدِّرْعية . فهو باب مثل سائر الابواب التي تستخدم

(*) - كتبها بالإنكليزية : Ashwan

Sinna' Almar'y - (**)

(***) - نقل فالين هذا القول على سبيل الرواية

في الشرق مدخلان لمدينة او لحي ، يعلوه بناء مربع صغير له نوافذ وکوى كالأبنية المماثلة التي تصادفها في جميع الشوارع تقريباً ، وفي القاهرة خاصة . ولما دخل الدين الاسلامي البلدة وبدا ان أفضل مكان للأذان هو الباب ، شيدت مخرطة برجية (TURRET) فوقه لتكون مئذنة . ولم أر سواها بناء يماثل المسألة او المهم المزعوم .

ويقال إن هذا البناء - ومن الجائز انه استعمل كنيسة مسيحية - كان في الماضي يتصل بقلعة المارد - وهي في الحي عينه - بواسطة نفق ، وهذا النفق مغلق الآن ، تطمره احجار ونفايات . وقد شاهدت في القلعة المكان الذي يقال ان النفق ينتهي فيه . ويقول الاهلون ان ارتفاع اسوار « المارد » كان ضعف ما هو عليه الآن . وهي مبناة بعناية بمحارة كبيرة مربعة منحوتة ، تشابه ب الهندستها اسوار قلاع دمشق القديمة . وعلوها يبلغ ثلثاين الى اربعين قدماً فوق الحرف الذي تطل عليه . ومدخلها الرئيسي في يومنا هو في هذا الحي على منحدر الجبال الجيرية ، ولكن هناك ، في الجانب الغربي ، ممراً خلفياً ضيقاً يقال إن باباً حديدياً قوياً كان في طرفه ، ويروى ان الخليفة علياً شقه بضربة واحدة من سيفه يوم الفتح الاسلامي للجوف (*). ولم أر في الداخل شيئاً يستحق الذكر ، ولم أجده آثار نقوش . ولم يطرق سمعي ان كنوزاً او اشياء ثمينة اكتشفت في الاطلال .

ان الكثير من بيوت هذا الحي مبناه جزئياً بمحارة مربعة ومنحوتة شبيهة بمحارة القلعة والمسجد . وأما البيوت في الأحياء الأخرى ، وفي جميع قرى الصحراء ، فمبناة باللين والصلصال .

(*) - لم يذكر أحد من كتاب السيرة ان علياً (رض) كان في ذلك الفتح . بل قيل انه تخلف في المدينة وصبا على أهل البيت .

وسكن الدُّرُّع متخالطون . يقال ان القسم الكبير منهم نزح إلَيْهِ من الشقراء في نجد العريض . وربما يشير في كتابه (*) الى بني دِرِّي بأنهم يقيمون في وادٍ في جبل أَجَا اسمه وادي حفل (او هفل؟). وقد يُعتبرون اجداداً لسكان الدرع ، اضطروا الى مغادرة مساكنهم ، وربما سلكوا الدرب التي ما تزال مطروفة ، عبر القصيم ، الى جبلي طيء ، ومن هناك الى « جبة » فالجوف . ولا تزال بعض أُسرٍ أقدم سلالةً تدعى نفسها القراريط تزعم انها نزلت في البدء من جبة ، ولعلها بقية الذين أشار إليهم مؤلف « القاموس » باسم « قروط » فقال لهم من « كلام » . والمعروف عن هؤلاء أنهم عاشوا قدماً في هذه التواحي ، وربما في جبة حيث لا يزال حيًّا اسمه « سوق الكلاب ». وما كنت في جبة اخبرني أهلها ان هؤلاء القراريط يملكون كتاباً قديمة جداً مكتوبة بلغة مجهلة وتحوي تاريخهم وانسابهم . ولم أسمع شيئاً من هذا في الجوف مع أني كنت صديقاً حمياً لشيوخها ومحترمها . وفي الدرع ثلاثة ينابيع غزيرة : الكبرى ، وبرد زُبُدِى ، وعين الجمل . ومجموع السكان هنا يبلغ حوالي مئة وثلاثين عائلة .

الحي الثالث : سوق السعیديين ، أو السراح ، تقيم فيه خمس قبائل هي السعیديين ، والسمَّر ، والعباس ، والسلمان ، والمحبوب . ويرجع اصل الأربع الأولى الى قرية السراحية (**) وقرية رخام في سوريا ، والقبيلة الخامسة من « المولى » وجميعهم يبلغون مائة وعشرين عائلة . ويظهر أن هذا الحي يعدّ ، بعد الدرع ، أقدم أحياء البلدة . وفيه قلعة القصیر الجديدة الى حد ما ، والمنارة باللين فوق الصخرة عينها التي بنيت عليها قلعة المارد ، وقد بنيت

قبالتها وعلى قرب منها . ويقال إنها بنيت قبلة قلعة المارد في زمان كان العداء مستحكماً بين الحين المجاورين .

الحي الرابع : سوق الرحبيين ، وفيه حوالي سبعين عائلة ، يقال لهم نزحوا من قرية رحيبة السورية التي ذكرها الرحالة الأميركي الدكتور روبنسون^(١٦) وقال أنها في الأرض « التحتا » بين حوران والنبلك . وفي هذا السوق نبع جاري اسمه العروس .

الحي الخامس : العلاج ، فيه أربعون عائلة نزحت من الطفيلة . ونبع مائه اسمه غَنَرْنَه (*) .

الحي السادس : خدمها ، وسمى هكذا باسم نبع فيه ، وسط الحي ، يعطيماء الري الضروري لبساتين الجوار . ويبلغ عدد سكان الحي ستين عائلة يقولون إن أجدادهم من الطبقة السادسة نزحوا من وادي السرحان إلى الجوف . وبما أنهم حافظوا على لغة بدوية صافية وعلى عادات البدو أكثر من سواهم من أهالي الجوف فهم يدعون أنفسهم بدواً ، أو رحلاً ، ويسمون جيرانهم « فراونة » . وهذه الكلمة كثيرة الاستعمال في سوريا ولها معنى كلمة « المتولدين » في مصر . وبين سكان « خدمها » عشر عائلات زنجية الأصل تعرف باسم « المتولدين »، يمتاز ابناوها عن الآخرين بلون بشرتهم القاتم، وبيقايا ملامح زنجية صارت طفيفة . وفي الأحياء الأخرى يعيش بعض عائلات أخرى من المتولدين من زنوج ، يبعوا عيادةً في سوق مكة وجاء بهم مالكونهم إلى مساكنهم في الجوف وأعتقوهم فيما بعد ، وتزوجوا نساء منهم ، وزوجوهم ، فيما ندر ، نساء عربيات . وهكذا تكاثر المتولدون وانتشروا في الصحراء ، ويصادفون في القرى وفي خيام البدو الرحل .

(*) - كتبها بالإنكليزية : Ghanarna

الحي السابع : الدھمية ، وكان في السابق صغيراً وقريباً من « خدماً » فيه حوالي عشرين عائلة تتحدر وسكان السرّاح الذين هم حلفاؤها من مثبت واحد . وكان بينهم وبين سكان « خلماً » و « الجرعاوي » - المتحالفين - نزاع قديم . ومنذ ثمانى سنوات ، يوم وطد ابن الرشيد زعيم شمر حكمه في أرضه ، انتصر لانسبائه في الجرعاوي فدمّرت عساكره حي الدھمية ونهبوا وخربوا بساتينه وقطعوا نخيله وطمروا آباره ، ولم يتركوا لاصحابه سوى الحياة و « حرية » الملاجئ إلى حلفائهم السرّاح .

وعلاؤة على تلك الأحياء السبعة ، القريب بعضها من بعض ، والكافئة في منحدرات الجبل في شكل نصف دائرة - هنالك في الوادي خمسة أحياء صغيرة أخرى ، هي :

الحي الثامن : القراطين ، في الجزء الغربي من الوادي ، بين جال الحوف والجبل الداخلي ، وفيه أسرتان محالفتان سكان « الغرب » .

الحي التاسع : الوادي ، في سفح جبل منفرد يسمى « سبة » محروطي الشكل ، في الجانب الآخر من الوادي إلى الشمال الغربي من « المارد » قرب جال الحوف ، وفيه ثمانى عائلات من قبيلتي « دربه » و « مناحي » تحالف سكان الدرع .

الحي العاشر : غُطّي (*) ، في شمال شرقى « المارد » في قعر الوادي تسكنه عائلتان تحالفان السرّاح .

الحي الحادى عشر : السعيدان ، وهو مزرعة نخيل يرويها بئر ، وتملكها أسرة زنجية تسكن خدماً .

الحي الثاني عشر : الجرعاوي ، فيه أربع عائلات من أصحاب الحرف ، نزحت

(*) - كتبها : Ghutti

من جُبَّةِ أصلها من «أرمال» أحد بطون شَمَرْ. وفي أثناء التزاع الذي كان بين السراح والدطميمة من جهة، وبين خذما والجرعاوي من الجهة الأخرى، دُمَرَ حي الجرعاوي تدميرًا شاملًا وطُرد أصحابه من أرضهم فذهبوا إلى حلفائهم في خذما . وبعد ان تسلط (ابن الرشيد) شيخ شَمَرْ على الجوف وأتى التزاعات بين أسواقها ، أذن للجرعاوي بالعودة إلى حيهم وبناء بيوتهم وتنظيف آبارهم وإعادة زرع ما قطع لهم من نخيل . ولما غادرت الجوف كانوا يتأهبون للرجوع من خذما إلى بيوتهم الجديدة .

ان سكان الجوف لا يحتفظون إلا بالقليل من تقاليد مدینتهم القديمة ومن تاريخها . ويزعمون أن بلدتهم الأصلية تعود إلى زمان سليمان بن داود ، وأنها أُسست في سنة ٨٠٠ للميلاد (*). وهذا عصر لم يطرق ذكره سمعي ، في أي مكان آخر من العالم الإسلامي .

ان ابناء الشمال العربي وابناء نجد يعتقدون أن الملك الحكيم المذكور «حاكم الانس والجن والحيوان» هو أول من مدن بلادهم وأقام القرى وحضر الآبار التي يفرض أنه بناها بمساعدة الجن . ويبدو ان اعتقادهم هذا يرمي إلى أن المدينة أُتت لهم من سوريا ، على عكس من المدنية المفروض وجودها عند عرب اليمن ، وهي مدينة أخرى مختلفة عن الأولى ، كانت وليدة موقع اليمن الحغرافي ، وثمرة العلائق والمبادلات التي جرت منذ القدم بينها وبين الهند والحبشة . وأبناء الجوف لا يعرفون شيئاً من تاريخ المدة الطويلة التي تفصل بين سليمان الحكيم والنبي محمد سوى أن بلدتهم كان اسمها «دومة الجندل» ، وهو الاسم الذي يطلقه عليها إلى يومنا هذا الحغرافيون العرب .

إن البلدة ، عند ظهور الرسول (صلعم) كان بحكمها مسيحي اسمه

(*) - كما وردت في النص الانكليزي، والأرجح أنها خطأ مطبعي وأنها سنة ٨٠ «قبل» الميلاد

« الا كيدر » يقيم في قلعة المارد . الا ان لفظة « أكيدر » غامضة جداً وتشمل أزماناً غير محددة . والسكان أنفسهم لا يجزمون بما إذا كانت اسمأً لفرد ، أو لقبيلة ، أو لأسرة رئيسية . ولكنني أعتقد أنها اسم أسرة رئيسية للدخول « ال » التعريف عليها . (*)

ويروى أن البلدة في ذلك الزمان كانت أكبر حجماً ، وفيها من بساتين الفاكهة والنخيل ما يغطي مساحة أكبر من الوادي ، فيها آبار وعيون كثيرة . ويحيط بها كلها سور واحد . وهناك حتى الآن آثار عديدة لزراعة الماضي في أرض تفوق مساحتها مساحة الأرض المزروعة حالياً . وبين وقت وآخر تُكتشف أنفاقٌ مبنية بحجارة مربعة دقيقة النحت وممتازة التقطيع ، قد تكون بنيت بحرّ مياه الأمطار ، أو بحر مياه الآبار والعيون التي اختفى أثرها . وفي مقامي هنا اكتشفوا في السعیدان نفقاً للمياه قديماً وكثيراً يكاد يتسع لأن يقف الإنسان فيه متتصباً . والمرجح أنه متصل بالبئر الوحيدة هناك ، وكان الرمل يطمره . وما رفع منه من الرمل حتى الآن لا يفسح لمعرفة طرقه معرفة أكيدة . وكذلك اكتشفت أنفاق أخرى في البلدة تمتد إلى محلات ليس للزراعة فيها من أثر الآن .

وفي قعر الوادي بقايا جدران من طين مجفف في الشمس يقال إنها بقايا السور الذي بناه « الا كيدر » ليحيط بلدته به . وكثيراً ما يكشف عن أوانٍ منوعة مطمورة في الأرض ، منها هواوين حجرية تشبه الهواوين التي تستعمل في جميع بلاد نجد لطحخ البن المحمص ، والتي اشتهر بصنعها سكان الجوف . وتصنع هنا كهيات كبيرة منها تباع في نجد ، وقد يبلغ ثمن الواحد منها جنيهاً . ويكشف الحفر أيضاً عن « محامل منافع » (**) تمايل في شكلها تلك التي

(*) - ليس في العربية ما يمنع في حالات كثيرة من دخول ال التعريف على العلم المفرد .
Bellows - stands - (**)

يستعملها اليوم الحرفيون العرب ، الا أن الأولى منحوتة في الحجر واما الحالية فأكثُرها مصنوع من الطين . وقيل لي انه عثر على نقوش عتيقة وان بعضها يرجع إلى أيام موسى (!) وعلى رغم من التقريب ، ومن البحث بين الأهالي ، لم أقع على سوى قطعة نقد ذهبية واحدة من العهد الفاطمي . ولم أعثر على أية نقوش أو كتابات قديمة .

قُهْر « الأَكِيدَر » وقتلهم المسلمون رجال الدين الجدد الذين دخلوا البلدة بقيادة عمر وعلي – على ما يرويه الأهلون (*) – وفرضوا على المسيحيين اعتناق الاسلام . وما يقصه السكان من حوادث القرون التالية يدور كله على التزاعات والخلافات السائدة بين القبائل وأسواق المدينة . وأبناء الجحوف مشهورون حتى اليوم بالتنازع ، ويقول جيرانهم عنهم : « إن الشيطان لن يموت أبداً في قلوب سكان الجحوف ». ويبدو أن المثل العربي القديم الذي ورد في « القاموس » يشير إليهم بقوله : « تمرد مارد وعزّ الابلق ! » (١٧)

في أول عهد الوهابيين دخل البلدة أحد قادة ابن سعود بجيشه ودمّر في حي الدرع قبراً قديماً تعلوه قبة ، كانت الناس تعتبره مدفناً لمني القرنين . وبعد أن جمع القائد الزكاة – احدى فرائض الاسلام الأساسية الخمس – تابع طريقه وترك في الجحوف مثلاً يحكمها باسم ابن سعود . والأئمة المتعلمون (ويسمونهم « الخطباء » هنا وفي نجد) يتلقون علومهم في المدينة والدرعية بنفقة ابن سعود . ويرسلون أيضاً إلى هنا بمقتضاه ليلعموا الناس الدين الاسلامي تعليماً نقياً ومجدداً (اصلاحياً) حسب تعاليم عبد الوهاب ، وهكذا خمدت

(*) – أحسن فالين في تحفظه بنسبة هذه « الرواية » إلى الأهلين . فالثابت تاريخاً ، بأقوال كتاب السيرة ، ان الرسول الكريم (صلعم) اختار خالد بن الوليد – وكان قريباً للمهد بسلامه – فيبعث إلى اكيدر على رأس جيش المسلمين . ولم يرافقه عمر (رض) ولا علي (رض) في تلك النزوة .

النزاعات والعداوات ، وسادت العدالة والأمن أراضي ابن سعود الواسعة . والناس جميعهم هنا يذكرون تلك الأيام بحماسة . ولما اخسرت سلطة الوهابيين أيام والي مصر (محمد علي باشا) الذي احتلت جيوشه مقاطعات نجد وشمالى الجزيرة العربية كلها ، الا الجوف وحدها ، عادت الفوضى والاضطرابات إلى سابق عهدها في الجوف ، فقام لها عبد الله بن الرشيد ، بعد أن ثبت سلطانه في جبل شمر ، وبعث أخاه عبيد الله إليها فوضع حدًّا للعداء الذي كان بين خدمه والدهممية والذي بسطته سابقاً . وقد جرى ذلك حوالي سنة ١٨٣٨ . ومن ذلك الزمان خضعت الجوف لسلطان رئيس شمر دون أن يكون له مثل يقيم فيها .

ان لكل حيٍ في الجوف شيخه الذي يحكم بخلافاته الصغيرة . اما النزاعات الكبيرة الأهمية فتعرض على رئيس شمر شخصياً ، وهذا الرئيس يدعو المتنازعين الى عاصمه حائل ويناقش بالمسألة علناً في اجتماع عام وبمشورة القاضي .

والزكاة في الجوف يجمعها خمسة يختارهم شيخ شمر من أبناء البلدة . وأما شؤون الدين فيقوم بها « خطباء » تنتخبهم أهاؤهم . ويجري ذلك بأن كل حي ينتخب خطيبه من سكانه على حدة . ولا يزال في خدمه خطيب واحد هو بقية الذين تلقوا علومهم في المدينة ، انه من جبل شمر . اما الآخرون فمن الجوف . ولكل سوق مسجده تقام فيه الصلوات اليومية وتُلقى من على منبره خطبة الجمعة . وجرت العادة ان يفسّر الخطيب بعد صلاة الظهر أحاديث نبوية او آيات من القرآن الكريم ، أو يشرح التعاليم الوهابية في وحدانية الله تعالى وبوحوب عدم عبادة الأولياء . وهذا الامر الاخير مثار للجدل بين الوهابيين وسواهم من المسلمين .

ان الوهابيين متزمتون يسمون انفسهم بالموحدين ويقولون إن الآخرين يشركون بالله تعالى كائنات ادنى منه ويعتبرونها جديرة بأن يعبدها الانسان .

وهم لا يتخذون كلمة « وهابية » اسمأ لهم لأنهم يعدونها اهانة . والذين يطلقون عليهم هذه اللفظة هم أهل البلاد العربية التركية (*). والوهابيون لا يؤلفون مذهبًا خاصاً بهم بل يتبعون مذهب الإمام أحمد الحنفي . وامراء آل سعود لم يسكنوا نقوداً تحمل أسماءهم .

ان الاولاد هنا — كما في جميع القرى الوهابية — يلقون (منذ الصغر) اصول الدين وشعائره . والكتابة القراءة منتشرتان بينهم أكثر مما هي عليه في المدن العربية التركية (**). ومع ان المعروف عن أهل الجوف ان طباعهم قاسية وانهم يميلون للتاشكس فالجميع يشهدون لهم بأنهم مضاييف كرماء ، ومهذبون مع الغريب . وأعلن ، فيما يتعلق بي شخصياً ، اني لم ألق ، حتى بين أكرم عرب الصحراء ، قبيلة تفوق أهل الجوف في أفضالهم . ولم يستقبلني أحد أحسن من استقبالهم إياي . وهم مشهورون أيضاً بمواهبهم الشعرية . ومع أن الوهابية صارمة تشجب الغناء والضرب بالرباب (الآلة الموسيقية الوحيدة في الصحراء) وتراهما غير لائقين بالمؤمن الحقيقي ، اعتقاداً منها بأن من استمتع بالشعر والغناء في هذه الحياة الدنيا لا يستمتع بهما في الآخرة ، فإنه لم تمض ليلة لم أسمع فيها أغنية تصاحبها آلة البدو الموسيقية الساحرة ، على رتابتها . ولا أقول إن أهل الجوف يفوقون البدو الآخرين بموهبيهم الشعرية والموسيقية ، فهذه المواهب تعمّ البدو أجمعين . واما ما ذكره بركمهاردت عن أن رجال الجوف يجولون أحياناً في الأرض المجاورة مغتدين فلم أقع على

(*) - يزيد : البلدان العربية الخاضعة في ذلك الزمان للحكم العثماني، وهي التي تضم أكثر العرب الخضر.

(**) - هذا أعطى ثناء على الحركة الاصلاحية (الوهابية) ومتى ذكرنا ان الجهل كان يسود بلاد العرب جميعاً ، بل يسود شعوب السلطة العثمانية كلها ، عرفنا وزن هذه الشهادة بالوهابية .

دليل يثبت صحته . بل لم التق في بلاد العرب ، ولا في المناطق المجاورة ، مهاجرين او رحالة من الجوف . ويندر أن يغادر الجوفيون أسواقهم الا فيما اذا طلّبوا الى حائل ، او فيما إذا قصدوا مكة المكرمة لاتمام فريضة الحج .

ان أبناء الجوف لا يغزوون لحسابهم الخاص ، وقد يشتراك بعض منهم في غزوات عرب شَمَرْ . وليس من عادتهم ان يقصدوا البلدان المجاورة كما يفعل سكان شَمَرْ والقصيْم ليتمونوا القمح والأرز والضروريات الأخرى ، ولكن حلفاءهم من عترة والشراطيات يأتونهم بهذه الأصناف من سوريا والعراق . ولما كانت بساتين الفاكهة والنخيل تُسقى ، الى حد بعيد ، من مياه الينابيع والآبار القليلة العمق التي يسهل استخراج الماء منها فليس للناس من حاجة إلى الابل . ولهذا قل " عدد الذين يملكون جملًا ، وهو الحيوان الذي لا غنى عنه في البلاد العربية . وتستخدم الثيران والبقر ، بدلاً من الجمال ، في استخراج الماء من الآبار العميقة . والماء يسحب منها في قِرَبٍ من جلوذ الابل والثيران والبقر .

والماشي هنا ، وفي جميع بلاد العرب ، من نسل صغير وهزيل . والعربي يتلّكاً كثيراً عن ذبح ماشية لطعامه . وجميع الحيوانات التي تستخدم للري ، بما فيها الابل ، تسمى بالصواني . وبما ان أهل الجوف لا جمال عندهم - وهذه وحدها وسيلة النقل والاتصال في الصحراء - فهم يعتمدون على البدو اعتماداً كلياً في قضاء حاجاتهم التجارية . وحالهم في هذا عكس الحال في بلاد العرب . وعلاوة على ذلك فالنزاعات والحروب الداخلية المزمنة بين سكان الجوف كانت دائماً تكبح النشاط التجاري . والموقع الذي اختاره أولوهم لبلدتهم كي يدرأوا عنهم الغزارة ، لا يشجع على المواصلات والتجارة .

ونستطيع أن نخلص إلى القول إن تأثير الجوف في التاريخ العربي بقي دائماً ضئيلاً . ذلك لأن المدينة تحيط بها رمال شاسعة لا مياه فيها ، فلا تمر بها طريق

الحج من سوريا ، ولا من العراق ، إلى مكة التي اعتبرت مركز تجمع العرب في جميع الأزمنة وكانت مهد المدنية العربية والاسلامية .

وبسبب هذه العزلة عن البلاد الحضرية المجاورة ، اضطر إبناء الجوف للاعتماد على مواردهم القليلة من محصول أرضهم الفقيرة . وهذا المحصول أكثره من التمر ، ليتبادلوه باصناف أخرى .

يقول بعض (؟) الكتاب العرب إن الزيتون كان نامياً هنا . واما في الوقت الحالي فليس اية شجرة . وأشك بكون التربة صالحة لزرعه . ومن المحتمل أن القليل الذي كانوا يحتاجون إليه مما لا تنتجه بساتينهم ، كانوا يأتون به ، كما هو الحال ، من المقايضة بالتمر ، فيشترونه بأنفسهم من السوق السنوية ، وهي التي قال القلقشندي^(١٨) عنها أنها كانت تقام عندهم في الأزمنة القديمة . وقصوّ الجوف عن الدروب المطروقة وصعوبة الوصول إليها كانا السبب الرئيسي لإقامة سوق فيها .

ان تمر الجوف من أطيب أصناف التمر . ونكهته تفضل على نكهة تمر البصرة وبغداد . ومع أنه كاد يظل طعامي الوحيد طوال أربعة أشهر فلم أملّ تذوقه أبداً . وبه وبتمر تيماء يضرب المثل . ولكن في تيماء صنفاً واحداً جيداً واما تمر الجوف فجميع أصنافه جيدة وتعدّ من أطيب الأصناف . وقد أكلت منها خمسة عشر صنفاً ، على الأقل ، وكلها من ذات النكهة الفائقة . والأهلون يقولون إن السبب في جودتها يرجع إلى أن التخيل في الجوف لا يروى بكثرة كما هو الحال في المناطق الأخرى . وفيما يعمل أهل نجد بالمبدا القائل : « كلما رويت الاشجار بكثرة زاد السكر في أثمارها » يعاكسهم ملاكو الجوف فلا يررون أشجارهم إلا مرة كل ثلاثة أيام ، أو أربعة .

ويؤدي سكان الجوف الزكاة لزعيم شمر فيتصرف بها على مشيئته . غير ان هذه التأدية لا تدرأ عنهم هجمات رحل الجوار . وكل حي (سوق)

يدفع «خوّة» لشيخ، او لعدة شيوخ من البدو. و «الخوّة» في الغالب كمية معينة من التمر . والقبائل الرئيسية التي تستوفيها هي الشرارات والروّلة من عترة - وتسمى أيضاً كلاس - والتايف والشعلان ، وهما بطنان من الروّلة عظيمان ، يعيشان أكثر أيام السنة في حوران . والبدو يعرفون حوران باسم «نقرة الشام» . وينتشرون صيفاً في التفود سعياً إلى مراعي أبلهم العديدة ، ذات اللون الرمادي الفاتح ، في جوار الجوف وجوار بئر الشقيق ، ويلهبون أحياناً جنوباً حتى القصيم ، وشرقاً وشمالاً شرقاً حتى الحزيرة وتحوم العراق حيث يتلقون فيها بعض أنسابهم . ويعيش عدد كبير من أثرياء البدو أكثر الوقت في المدن . كلّ بفقته الخاصة ، ويرسل قطيعه مع راعٍ خاصٍ إلى الصحراء المجاورة ولا يلبث أن يرجع هنا بالقطيع بعد بضعة أيام في طلب الماء.

ولما ينضج التمر يجمع شيوخ البدو ما استطاعوا منه لقاء «الخوّة» التي فرضوها على الأهلين ، ويضعونه في جلود ويقايضون به وببعض الحمل المسنة التي صارت للنحر كي يحصلوا على ملابس مختلفة ثم يعودون إلى منازلهم في حوران .

ويعيش أكثر الشرارات - على ما قلناه سابقاً - في وادي السرحان ، ومنه ينتقلون إلى التفود ، وقد ينتقلون إلى جبال الشراة . والبطون الرئيسية في القبيلة هي :

أ - الفُلَيْحان ، وشيخهم يدعى «الحاوي» وهو سيد القبيلة بأسرها .

ب - الضَّبَاعِين ، والعشيرة الرئيسية في هذا البطن اسمها شوشان .

ج - الْحُلَسَاء ، او : الْحِلْسَة وشيخهم ابن دعيعة .

د - العَزَّام ، وشيخهم شلي

ه - السليم ، وشيخهم الدويري

والشرارات يعترون الجوف بلدتهم ، ويلزمون جوارها ما استطاعوا .

وفي موسم الحصاد يأتونها زرافاتٍ للمقايضة بقطعاً لهم وبالاصوات والارز والزبد والاجبان التي استطاعوا جلبها من اماكن أخرى . والأصناف الرئيسية التي يعرضونها هي التمر والحضر المتنوعة وأقمصة الحيام والاكياس المصنوعة جميعها من الصوف ، ومنها أردية كثيفة مدفأة يدعى واحدها « عباءة » – وفي الغالب يدعى « مسلح » – اشتهر سكان الجوف بجياكتها . وهذه العباءات – على خشونة نسجها – متينة ومدفأة ، وتحمل للبيع بعيداً حتى مكة عبر جبل شمر . وهذا الاتّجار يتم بالمقايضة بسبب ندور النقد هنا ، وهو حال أكثر الصحراة .

يعتقد سكان الجوف أن مدینتهم في وسط الدنيا ، ولذا يطلقون عليها اسم « جوف الدنيا » . الواقع ان المسافات التي تفصلها عن عبر الصحراء ، المحطة بها ، الى اقرب الاراضي المزروعة تكاد تماثل . فيمكن الوصول من الجوف الى دمشق في سوريا ، والى النجف او مشهد علي في العراق ، والى المدينة في الحجاز ، والى الكرك في فلسطين ، في حوالي سبعة أيام . والعرب الحاليون يسمون دمشق باسم « الشام الكبيرة » حاكاة لتسميتهم القاهرة بمصر الكبيرة ، واسمها القديم (دمشق) يقتصر استعماله على المتعلمين الذين يلفظونه كما ضبطه الكتاب العرب ، اما العامة في الجوف ونجد ، وحتى في سوريا ، فيلفظونه دَمْشَقَ ، واحياناً : دِمْشَقَ . ويضرب السوريون مثل بقولهم « الشام دمشق » (*) أي ان دمشق نظيفة وجميلة وان شعبها أنيق لبق . و اذا استحقت مدينة شرقية مثل هذا المديح فدمشق به أجر .

والاهلون يعدون مواضع الماء في الطريق من الجوف الى دمشق في الاماكن الآتية : النبات (في وادي السرحان ، وعلى يوم من الجوف) ، ومريرة ، وغُرَاب ، وقرقر ، والخازم ، وأزرق ، وبصري (في نقرة الشام) ،

(*) - كذا كتبها . ولا ريب بأنها لفظة : « دمشقة »

وحريره ، ورُزْدلي في طريق الحج ، والورج ، ودمشق . ومواضع الماء من الجوف الى الكرك هي هذه : مبوع ، العيون البيض ، العمري ، الحفائر ، اللجوون .

والطريق من الجوف الى الرياض ، وهي المطروقة في الاكثر ، تمر عبر جبل شَمَرْ والقصيم ، ويحتاج قطعها الى حوالي اثني عشر يوماً أو ثلاثة عشر . ومن المحتمل ان لا تزيد المسافة من الجوف الى الرياض على سبعة أيام فيما اذا كان السير عبر الصحراء ، بينما يصعب الوصول الى المدينة (المتورة) في طريق تيماء والحجر بأقل من تسعه أيام . والطريق من الجوف الى العراق تمر بأرض النفوذ ، الى الشمال الشرقي من الجوف ، وتتصل بالدرب الذي يطرقه أهل جبل شَمَرْ في زيارتهم المتعددة للعراق . اما الجوفيون فلا يزورون العراق الا نادراً .

والكتاب العرب لا يذكرون مدينة الجوف باسمها هذا مطلقاً ويبدو ان هذا الاسم مرجعه شكل الوادي الواقع فيه البلدة ، والذي وصفناه بأنه فجوة غائصة في سلسلة الجبال المحيطة بها . وأما الصحراء المحيطة بالجوف والتي قد يقال انها تابعة لها فليست أرضاً منخفضة تحدّر تدريجياً من نجد الى سوريا كما وهم فون هامر^(١٩) الذي استشهد به ريتز في مؤلفه «ارضكوندي» (١٣ : ٣٧٧) (*) فقد فسر كلمة الجوف العربية بمعنى السهول الفسيحة والارض المنخفضة بالنسبة للجبال العالية التي تحيط بها . وأنما رأيت العكس . ولا أجد مفرّاً من عذر أرض الجوف أعلى ، نسبياً ، من أرض نجد وجبال «جال الجوف» ، ومن الاراضي الجبلية والحجرية المحيطة

(*) - Erdekuende او علم الأرض (البلغرافية) وكان هذا الكتاب من أرقى المؤلفات التي بحثت في القرن الماضي بهذا العلم ، ولا يزال مرجعاً لكثير من البلغرافيين .

بها من الغرب ومن الشمال ، وهي تشكلّ ما يقرب من قمة المضبة الشماليّة من جزيرة العرب . وعلى " أيضًا " ان افند ما ذهب اليه هذا الجغرافي العالم الذي قال إن القسم الجنوبي من منطقة الجوف جبلي ، معتقداً أن القسم الشمالي منخفض نسبياً ومسطح . الواقع هو العكس : فقد رأينا سابقًا ان القسم الشمالي من سلسلة الجبال يرتفع عالياً ويمتدّ الى الغرب ، او الى الشمال الغربي ، مع سلسلة العُضيري التي هي أدنى منه . ومنحدرات السلسلة الشماليّة تتّألف من بقاع جبليّة تمتد على مسافة يوم حتى وادي السرحان . واما الاجزاء الجنوبيّة والشّرقيّة من السلسلة فهي ، على العكس ، منخفضة ولا تمتد الى ارض نجد بل تنتهي في طرف الوادي . ولذا أقول إنه ليس هناك من صلة بين هذه الجبال وجبلَي طيء اللذين ظن ريتور انهما ينحدران تدريجيًّا حتى أرض الجوف المزعوم انخفاضها .

والى الشمال الشرقي من الجوف ، على احدى عشرة ساعة منها ، بلدة أخرى اسمها « سُكاكاً » (وهذا يسكنون سينها ويلفظونها : سُكاكاً) وفيها حصن خرب يعرف بزَعْبِل ، وفيها أيضًا أربعة أحيا ، او اسواق ، هي : العمran و السُّحْيَان و الحرقان و الفياد . وياقوت الحموي يحسب سُكاكاً في عداد القرى التي منها دومة الجندي ، ويروي انها مسورة غير محصنة تحصين دومة الجندي ، ويقول أيضًا ان سكانها أقلّ بأساً من سكان دومة الجندي (*) . وأظن أن قوله هذا ينطبق على أصحابها الحاليين أيضًا ، رغم اني لم استطع خلال إقامتي في الجوف أن أزورها ، ولكن كان يأتيني منها في الغالب رجال

(*) - اليك ما قاله ياقوت : « سُكاكاً ، بضم أوله ، قال أبو منصور : السُّكاك و السُّكاكه الهواء بين السماء والأرض . والسُّكاكه احدى القرىات التي منها دومة الجندي وعليها ايضا سور ، لكن دومة أحسن وأهلها اجلد »

ليستشرونني في أمراضهم فبدوا لي خشين ذوي ملامح بشعة . ويقال إن الحالات الصحية في بلدتهم سيئة جداً . وأكثر الامراض التي وجدتها فيهم هو الزُّهري ، في الدرجتين الثانية والثالثة . والعائلات التي تعيش في تلك البلدة يقدر عددها باربعين عائلة .

والى الشمال الشرقي من الجوف ، وعلى ثمانى ساعات منها ، محللة صغيرة تدعى قصر الطوير ، تسكنها حوالي عشر عائلات . وبين المحلتين موضع ثالث يقال له « قارة » تقضنه ما يقرب من عشرين عائلة أصلها من الدغمي من عنزة ، وفيها حصن قديم يعرف بالمشعرفة . وقيل لي إن القرى الثلاث تقع في أرض منبسطة ذات تربة قاسية فيها مياه وآبار عميقه ، مما جعلني أعتقد أن الصحراء في هذه المنطقة تحاكي الصحراء الممتدة الى الشمال الغربي ولمسافة يوم تقريباً ، في ميزات أرضها الجبلية ، تنبثق من جبال الجوف وتترسّها سلاسل ، وهذه المنطقة كلها تخضع لشيخ شَمَرْ وتدّي له الزكاة التي يحبها جباه الجوف أنفسهم .

ولا يزال الاهلون يذكرون اسم الجوف القديم – دومة الجندي – والجوف لم يعرف عند جغرافيي العرب الا بالاسم القديم . ويقول أبناءه ان هذا الاسم يعني كومة من حجارة كبيرة . وإذا صدق قولهم جاز اعتبار هذا الاسم انه قد يرمي الى الجبل الكلسي الذي أشرت إليه والذي يرتفع فوق منبسط الوادي في شكل الكومة . ان بعض السكان يؤكّدون ان كلمة جندل تعني الصخور التي يتّألف منها الجبل المذكور . غير أن المؤلفين العرب لا يتمقّدون على أصل الكلمة ، فالبعض يرجّونها الى دوم ، ودومان ، ودومة ، ودوماء بن اسماعيل بن ابراهيم ، ويقول سواهم انها دومة انوش بن شيت بن آدم . وكما اختلف المؤلفون في ضبط اسم مؤسّسها كذلك اختلفوا في لفظها ، فمنهم من يرفع الدال ومنهم من يفتحها :

وأورد ياقوت في معجمه الحغرافي العظيم زعم ابن الكلبي (*) انه :

« لما كثُر ولد اسماعيل عليه السلام بتهامة ، خرج ابنته دوماء حتى نزل موضع دومة وبني به حصنًا فقتل : دوماء ، ونسب الحصن إليه . وهي على سبع مراحل من دمشق . »

وقال أبو سعد :

« دومة الجندي في غائط (حفرة) من الأرض خمسة فراسخ ، ومن قبل (جهة) مغربه عين تنج (تسيل) فتسقى ما به من النخل والزرع . »

وربما استطعنا القول ان هذه العين هي عين ام سليم . ويتابع ابو سعد قوله ان في البلدة حصنان اطلق عليه اسم المارد نسبة لامحجارة الضخمة والتقليلة التي بني بها .

وقال أبو عبد السكوني :

« دومة الجندي حصن ... قرب جبل طيء ، كانت فيه بنو كنانة من كلب . ودومة من القرىات ، من وادي القرى إلى تماء أربع ليال . والقرىات (هي) دومة وسكة وذو القراءة . فاما دومة فعليها سور يتحصن به ، وفي داخل السور حصن متبع يقال له مارد ، وهو حصن أكيدر الملك ، ابن عبد الملك بن عبد الجبي بن أعيya بن الحارث بن معاوية ابن حلاوة بن أبيامة بن سلمة بن شحادة بن شبيب بن السكون بن أشرس (**) بن عفیر وهو كندة السكوني الكندي . وكان النبي (ص) وجاه إلیه خالد بن الولید من تبوك وقال له : « ستلقاه يصيید الوحوش » . وجاءت بقرة وحشية فحاکكت قرونها بحصنه فنزل (اكيدر) إليها ليلا ليصيیدها فهجم عليه خالد فأسره ، وقتل أخاه حسان بن عبد الملك وافتتحها خالد عنوة ، وذلك في سنة تسع للهجرة (٦٣١ م) . ثم ان

(*) - هنا يتصرف الرحالة فالين بنقل ما قاله ياقوت في مجم البلدان في تعريف دومة الجندي ، فرأينا أن نرجع إلى الأصل العربي ونشتبه بنصه .

(**) هنا ذكر فالين ، بعد كلمة اشرس « بن شوير وهو كندة ». وقد يرجح الاختلاف في التصين إلى المخطوط الذي كان يتمده .

النبي (ص) صالح أكيدر على دومة ، وأمه وقرر عليه وعلى أهله الجزية ، وكان نصراً ، فأسلم أخوه حرث فأقره النبي (ص) على ما في يده . ونقض أكيدر الصلح بعد النبي (ص) فأجلاه عمر رضي الله عنه من دومة في من أجل من مخالفي دين الإسلام إلى الحيرة ، فنزل في موضع منها ، قرب عين التمر ، وبني فيه منازل وسماها دومة ، وقيل دوماء ، باسم حصن بوادي القرى ، فهو قائم يعرف إلا أنه خراب . قال : وفي إجلاه عمر رضي الله عنه لا كيدر يقول الشاعر :

يا مَنْ رَأَى ظَعَنًا تَحْمِلَّ غَدْوَةً
مِنْ آلِ أَكْدَرَ، شَجَوْهُ يُعْنِي
قَدْ بُدَّلَتْ ظَعَنًا بِدارِ اقْسَامَةٍ وَالسِّيرَ مِنْ حَصْنٍ أَشْمَ حَصَبِينَ.

« وأهل كتب الفتوح مجتمعون على أن خالد بن الوليد رضي الله عنه غزا دومة أيام بكر رضي الله عنه عند كونه بالعراق سنة ١٢ ، وقتل أكيدر لأنك كان نقض وارته ، وعلى هذا لا يصح أن عمر رضي الله عنه أجلاه . وقد غزي وقتل في أيام أبي بكر رضي الله عنه .

« وأحسن ما ورد في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر في الفتوح له ، وأنا حاتك جميع ما قاله على الوجه ، قال :

« بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة تسعة إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل فأخذنه أسريراً ، وقتل آخاه .

« وقدم بأكيدر على النبي (صلعم) على أرضه وكتب له وأهل دومة كتاباً وهو :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لَا كَيْدَرْ حِينَ أَجَابَ لِلْإِسْلَامِ وَخْلَعَ الْأَنْدَادَ وَالْأَصْنَامَ ، وَلِأَهْلِ دُومَةِ :

« إِنَّ لَنَا الصَّاحِيَةَ مِنَ الضَّحَلِ وَالْبَسُورِ وَالْمَعَامِيِّ وَأَغْفَالِ الْأَرْضِ وَالْحَلْقَةِ
وَالسَّلَاحِ وَالْحَافِرِ وَالْحَصْنِ ، وَلَكُمُ الصَّاصَمَةُ مِنَ النَّخْلِ وَالْمَعَنِينَ مِنَ الْمَعْمُورِ .
لَا تُعْدِلُ سَارِحَتُكُمْ وَلَا تُعْدِلُ فَارِدَتُكُمْ وَلَا يَحْظُرُ النَّبَاتُ . تَقْيِيمُونَ الصَّلَاةَ
لَوْقَتِهَا وَتَؤْتُونَ الزَّكَاةَ لِحَقِّهَا . عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَالْمِيثَاقِ ، وَلَكُمْ بِهِ الصَّادَقَةُ
وَالْوَفَاءُ . شَهَدَ اللَّهُ وَمِنْ حَضْرِ الْمُسْلِمِينَ . »

قيل : الصاحي هو البارز . الضحل الماء القليل . البور الأرض التي لم تستخرج . المعامي الأرض المجهولة . الأغفال التي لا آثار فيها . الحلقة الدروع . الحافر الحيل والبراذين والبغال والحمير . الحصن دومة الجندل .

الضامنة النخل الذي معهم في الحصن . المعين : الظاهر من الماء الدائم . لا تعدل سارحتكم : اي لا يصدقها المصدق الا في مراعيها ومواضعها ولا يمحى عنها . قوله : لا تعد فارتكم اي لا تضم الغاردة الى غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة .(*) ويتابع احمد بن جابر كلامه قائلا : « فلما مات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، منع أكيدر الصدقة وخرج من دومة الجندل ولحق بناوحي الحيرة وابتلى قرب عين التمر بناء وسماه دومة . وأسلم أخوه حرث بن عبد الملك على ما في يده فسلم له ذلك ، فقال سعيد ابن الكلبي : « فلا يأمننْ قوم زوال جدودهم كما زال عن خبستٍ ظعائِنُ أكدرَا »

وقال ياقوت :

« وتزوج يزيد بن معاوية ابنة حرث . وقيل إن خالدًا لما انصرف من العراق الى الشام مرّ بدومة الجندل التي غزاها « اولاً وفتحها وقتل أكيدر ... وروى ايضاً ان اكيدر « كان متزلاً اولاً بدومة الحيرة ، وكان يزور أخواه من « بني كلب ، وإنه لمعهم وقد خرجوا للصيد اذ (ظهرت) « لم مدينة متهدمة لم يبق الا حيطانها ، وهي مبنية بالجندل « فاعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها « دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة ، وكان « اكيدر يتربدد بينها وبين دومة الحيرة » .

انتهى ما نقله ياقوت عن دومة ، وهي بلدة الجوف الحالية . وهناك – الى هذه الرواية – اشارات عديدة من الشعراء إليها . وفي مخطوط « معجم البلدان »

(*) - « معجم البلدان » : ٨ ، ص ٤٨٨ ، مطبعة دار صادر ودار بيروت . ورواوه البلاذري بما لا يختلف عن هذا في « فتوح البلدان » ج ١ ، ص ٨٢ وما بعدها (طبعة بيروت : تحقيق الاخوين عبد الله وعمر ابيس الطباع) .

لياقوت ، وهو مخطوط ثمين يملكه المتحف الآسيوي في سانت بطرسبورغ ، وعنه نقلت هذه المقتطفات ، اخطاء كثيرة فلم أستطع وضع ترجمة حرفية لنصها (*).

ومن الواضح ان دومة الحيرة التي قال ياقوت عنها أنها أخت لدومة الجندي هي المحلة التي أطلق عليها بوركهاردت (١٠) اسم « دومة حير » او « دومة حور » — ومثله فعل ريتز (٢٠) — وهذه الدومة تقع في أرض العراق المنبسطة والمنخفضة ، وهي على بعد ستة أيام ، في الأقل ، في الحق بان يسمىها دومة دمشق . ولصاحب « جيوجرافيا ساكرا » (***) كل الحق بان يسمىها بالأرض المنبسطة . ولكن لا سبيل للجغرافي الألماني الشهير (****) لأن يستنتج ان نيابوبور (١٤) لم يعرف الجحوف من طرفها الجنوبي ، على اساس انه الجانب الجنوبي الوحيد ، بينما هو يشير ، ومثله زيتسن (١٥) الى ان الجانب الشمالي منها هو أرض منبسطة .

وفي تاريخ رشيد الدين (مخطوط الجمعية الآسيوية الملكية في لندن) وصف آخر لغزوة الرسول (مطالعه) لدومة الجندي ، جاء فيه : « عندما جاء الرسول (مطالعه) نباً تجمع العرب في دومة الجندي — وهي مدينة سورية على خمسة أيام من دمشق ، وخمسة عشر يوماً من المدينة المنورة — وكان ذلك في شهر ربيع الاول ، وهو الشهر الخامسون للهجرة ، وَكَيْلَ (مطالعه) الى سبع ادارة المدينة وسار يرافقه ألف رجل ومعه دليل منبني عذرَة اسمه « مذكور »

(*) — انا اثبتنا النص العربي الاصل نقلا عن « معجم البلدان » وهكذا فعلنا في الصفحات السابقة . اما مدينة سانت بطرسبورغ التي اشار المؤلف الى متحفها ، فهي عاصمة القياصرة الروس في الماضي وصار اسمها لينينغراد .

(**) — يشير الى بوركهاردت صاحب كتاب « رحلة في سورية والاراضي المقدسة » .

(***) — قد يكون هذا التعميم اشارة الى الجغرافي ريتز . واما بوركهاردت فهو سويسري ، لا الماني .

فيسري في الليل ويستريح في النهار . ولما وصل الى البلدة وجدها خالية فقد فرّ سكانها مختلفين ماشيتهم وأمتعتهم غنيمة هينة لل المسلمين . وأرسل (ﷺ) رجالاً في طلب الفارين استطاعوا ، بعد جهد ، ان يقعوا على أحدهم فرجعوا به إليه وعرف (ﷺ) منه ان جميع الاهلين قد فروا اذ بلغهم اقتراب جنود المسلمين من البلدة . وبعد مساعٍ كثيرة استطاع المسلمين اقتحامهم بترك مخابئهم والعودة إلى بلدتهم واعتناق الاسلام على يد النبي (ﷺ) . وعاد الرسول (ﷺ) إلى المدينة في العاشر من شهر ربيع الثاني . »

أما آخر مؤرخي العرب القدماء ، وأكثراهم دقة ، كوسان دي برسقال (٢١) فقال في مؤلفه «بحث في تاريخ العرب قبل الاسلام» (ج ٣ ، ص ٤١٤) ، نقالا عن الطبرى وعن سواه من كتاب العرب :

« في السنة الثانية عشرة الهجرة ، عندما أرسل أبو بكر قائدية خالد بن الوليد وعياض بن غنم في طريقين مختلفين لفتح العراق لحق (أبو بكر) بعياض الذي سلك الطريق الرئيسي عبر الصحراء لاخضاع دومة الجندل الثالثة . وحاصر عياض البلدة ولكنه لم ينل منها فكتب إلى خالد في عين التمر - وكان قد احتل الحيرة والأنبار - ان يأتي إلى نصرته فترك خالد حامية في البلدان المحتلة وأسرع إلى نجدة زميله في دومة الجندل ، فأخضع البلدة وثار فيها ، وأعدم أكيدر الذي رفض محاربته وطلب إلى السكان أن يسلمو المدينة و يصلحوا المسلمين . وأعدم أيضاً حاكماً آخر هناك هو جودي الذي هاجم خالداً على رأس مقاتلين من دومة من بدوي الجوار ، وأخذ أسيراً في القتال . ويضيف برسفال : أن مؤرخين آخرين يرون أن أكيدر وحده أسر وجيء به إلى المدينة أيام النبي (صلعم) وأطلق عمر (رض) سراحه فيما بعد ونفاه إلى العراق حيث ابتنى دومة الحيرة . »

وقد نستخلص مما تقدم ان اكيدر اضطر الى الفرار من المسلمين ، او انه ما كان أسره ليطول أمده فيما لو وقع أسيراً ، ولكن أذن له بالعود الى بلدته ، او انه نفى الى العراق ، وربما عاد من الدوامة التي أنسسها هناك الى

دومة الجندل التي كان له فيها نفوذ ، وذلك الى الوقت الذي قرر فيه عمر (رض) في بدء خلافته ، تنفيذ امر النبي (صلوات الله عليه) بعدم السماح لغير معتنقين الاسلام بالاقامة في بلاد العرب (*) فاضطر عندها اكيدر الى مغادرة موطنها واللجوء الى دومة الجديدة .

ويبدو أن التقاليد المعهول بها اليوم ما تزال تروي نبأ احتلال المسلمين دومة الجندل وطرد هم المسيحيين منها ، كما تنسب الى عمر (رض) احتلال البلدة . وفيما تذكر هذه التقاليد ان علياً (رض) ساعد في الغزو ، وانه شق بضربة من سيفه الباب الحديدي لقلعة المارد ، فأنا لا أعرف مؤلفاً ذكر ان علياً (رض) شارك في قهر دومة الجندل . والتقاليد تخلط آخر احتلال للدومة في خلافة عمر او ابي بكر بغزو الرسول (صلوات الله عليه) لها عندما كان في تبوك وأرسل جنوده بقيادة خالد لاحتلالها .

وسكان تبوك والجوف الحاليون يرون ان تلك الحملة كانت الوحيدة التي قام بها المسلمون على مدinetهم . ومن المحتمل جداً ان الاحتلال المذكور تم في ذلك الوقت اذ ان النبي (صلوات الله عليه) تلقى وهو في تبوك رسائل من مدینتي آيلة وأذرح يعرض فيها أصحابهما تأدية الجزية شرط ان تبقى لهم حرية الاحتفاظ بدينهم . اما الغزو الذي تمت في السنة الخامسة للهجرة وذكرها رشيد الدين في تاريخه ، ووردت في « تاريخ الحميسي » وفقاً لكتوسان دي پرسقال (ج ٣، ص ١٢٩) فكانت لغاية بعض قبائل كلب وسكان الذين هاجموا قواقل آمنة في طريقها من سوريا الى المدينة المنورة ، ولم يكن لها من تأثير في الوضع السياسي للمنطقة الا ما سلبه المهاجمون من السكان .

والقلقشندي ، في « الانساب » ، يعد دومة الجندل سوقاً من أسواق

(*) - لا نعرف من اين اتى الرحالة ثالين بهذا الخبر غير الصحيح . والارجح انه اراد : الاقامة في مكة المكرمة والمدينة ، لا في جميع بلاد العرب .

العرب كانوا يأتونها من قريب وبعيد ، في أول يوم من شهر ربيع الأول ويتجرون فيها بالمقايضة حتى آخر الشهر ، فيستضيفهم أكيدر حاكم البلدة ، ويقول القلقندي أيضاً ان بني كلب كانوا يهتمون أحياناً بتلك السوق ويرعونها ويقوم شيوخهم باستضافة العرب .

« ... فكانوا ينزلون دومة الجندي في أول يوم من ربيع الأول ، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء والأخذ والعطاء ، فيعيشهم رؤساء آل بدر في دومة الجندي ، وربما غلب على السوق بنو كلب فيعيشهم بعض رؤساء كلب فتة وساق لهم إلى آخر الشهر ». - « أنساب العرب » (ط . بغداد) : ص ٤٣٥ .

ان السكان الحاليين مجمعون على أن المسيحية كانت الديانة الرئيسية في الجوف . ولكنهم يبدو ان الاحاديث الشريفة التي اوردها ياقوت في مؤلفه الجغرافي (*) تلمح الى ان الدين اليهودي وجد ، هو أيضاً ، ذات يوم فيها . وبالنسبة لوقع الجوف وعلاقتها الدائمة بسوريا نستطيع القول انها كانت تتأثر داءماً بالدين والمدنية السائدين في سوريا في كل عصر . ونستطيع القول ، اذن ، ان اليهودية واليسوعية ، كلاً بدورها ، قد سادتا الجوف . وفي ظهور الاسلام كان مسموماً بهما معاً كما هو الحال حتى اليوم في المدن الشرقية .

ويضيف كتاب العرب الى ما تقدم ان سكان دومة الجندي كانوا يعبدون صنماً اسمه « ود » (٢٢) . ورأيي ان الصحراء لم تكن أبداً موطن عبدة أصنام ، فهذا ليس من طبيعة البدوي الفح ، كما ان طبيعة الارض لا تتفق وعبادة كهذه . وأعتقد ان الذين أدخلوا في القديم عبادة الأصنام الى بعض مناطق من بلاد العرب هم قبائل يمانية أخذت تترح اليها بين وقت وآخر واحتلت نجداً وشمالاً بلاد العرب . ومن المحتمل ان عبادة الأصنام أتت اليمن من الهند . وكان - ولا يزال - بين الهند واجزاء الجنوب العربي بعض اتصال ،

(*) - لم نقع في « معجم البلدان » لياقوت على احاديث شريفة تحت كلمة الجوف .

ولكنه اتصال نشيط جداً . والنازحون من اليمن كانوا يطربون دربآ تقودهم الى مكة التي تبدو لي أقرب الى المدن الهندية بميزاتها منها الى العربية . ومن هناك انتشروا في الحجاز وتهامة وفي سفوح الجبال المتلاصقة والممتدة من السلسلة الرئيسية في اتجاه شمالي شرقى ، والقائمة حدوداً لنجد في الشمال ، ومن هناك اتوا تدريجياً الى جبال طيء . وكان عليهم ، وهم في تلك الحالة ، اختيار واحد من الطريقين يؤدي اوهما شمالاً شرقاً الى العراق وفارس ، والآخر يؤدى شمالاً غرباً بطريق الجوف ، او تبوك ، الى سوريا ومصر وشمال افريقيا . وربما كان اوئلئك النازحون يحملون « معبدتهم » في اسفارهم وينصبونه حيث أقاموا ليسجدوا له ويعبدوه . الا أنهم لم يحاولوا أن يدخلوا في أديانهم سكان الارض التي يتزلفونها ، فقد كان التسامح في الامور الدينية يسود بالحالية . و « بالحالية » عند كتاب العرب اسم العصر الذي سبق الاسلام (*) حتى انه ليجوز القول ان اوئلئك اليمانيين النازحين كانوا في نزولهم أرضاً ، يفوقهم أهلها ثقافة ومدنية ، كانوا يعملون تدريجياً بعادات هؤلاء الاهلين ويتكلمون لغتهم ويأخذون ديانتهم . وهذا حال قبيلي كلب وسكنون اللتين سيطرتا على الجوف في زمن الفتح الاسلامي : فبعد عبادتهم « ودّ » اعتنقوا النصرانية وبقوا عليها حتى اضطروا لاعتناق الاسلام فرضاً .

وعلى هذا يجوز لنا القول ، وفقاً للتقالييد المعمول بها حتى اليوم ، وطبقاً لكلام المؤرخ العربي الكبير ابن خلدون الذي نقله كوسان دي پرسفال ، ان المسيحية كانت الديانة السائدة في الجوف ، وذلك على عكس ما رواه ريتير (١٣ ، ٣٧٩) ، من أنبني كلب كانوا إبان الفتح الاسلامي ما يزالون يعبدون صنمهم « ودّ » الذي له شكل الرجل .

٣٠ من آب (اغوستوس) — غادرت الجوف ترافقني عائلة بدوية

(*) — ليس هذا الاسم من الكتاب العرب فقد اخلدوه من القرآن الكريم .

من قبيلة صغيرة اسمها هوازن (*) تعيش مع الشرارات في جوار سُكاكه . اظن أن هوازن هذه من بقايا قبيلة « العدوان » القديمة ذات التفود الكبير ، وقد انتشرت باسم هوازن في قسم واسع من نجد ، وكان لها تأثير شديد في الماضي البعيد . وهذه البقية تعيش عيش قلة اذ يغزوها دائمًا جيرانها الاشداء من شمر ، بل ينهبها صغارهم أيضًا ويسوق الغزاوة مواشيها الى مضاربهم . فحافظاً على نفسه وعلى ما تبقى له من ابل قليلة قرر مرافقني ان يتزوج مع عائلته الى ارض اعدائه ، ثقة منه بأنه يعيش آمناً في طاعته شيخ شمر وتأداته الركاكا له . ولما كان رفيقي في حاجة الى من يحميه في طريقه فقد طلب الى امرأة متزوجة أصلها من جهة شمر ومقيمة في الجوف ان ترافقتنا مع زوجها فكانت مرافقتها لنا كافية لرد الغزاوة من قومها الذين التقيناهم في طريقنا (**) .

قطعنا وادي الجوف باتجاهِ جنوبِي شرقِي في ثلاثة اربع الساعة . ثم تسللنا جبال « جال الجوف » ، وهي في هذه الناحية منخفضة تغطي الرمال الناعمة جوانبها . وتابعنا السير فوصلنا الى رمال سهل التفود دون ان ننزل من القمة ، وذلك لأن السهل وآخر القمم متساويان في ارتفاع واحد . وهذا الرمل يمتد الى قرب سلسلة أجا في جبل شمر . وبعد خمس ساعات من السير في هذه البقعة الرملية توافقنا للمبيت .

٣١ من آب — سرنا ثلاثة عشرة ساعة وثلاثة أربع الساعة في اتجاهِ جنوبِي — جنوبِي شرقِي حتى أتينا الى آبار الشقيق الست ، وهي في سهلٍ تربته مالحة صلبة على عكس الرمل الناعم الذي تتكون منه الاراضي المحيطة بهذا السهل . وعمق الآبار من عشرين الى خمس وعشرين قامة ، وقعرها أحواض واسعة تنتهي عند السطح بفتحات . قطر الواحدة منها حوالي اليلاردة

(*) — لعلها هوازن ، وهو الصواب .

(**) — ليس من عادة العرب ان يطلب غريب الى عربية حمايته في وجود زوجها .

— وهي مبنية بمحاجرة كبيرة ومهارة وعناية فائقة ، وعلى الفوهة لاحظت رسوماً مختلفة لصلبان ولاشكال قد تكون حروفأ . والرسوم ممحااة غير واضحة . والماء عذب جيد ومتواافق طوال السنة . وهذه هي الآبار الوحيدة بين الجوف ونجد ، تقع في أرض غنية بمراعيها ، حتى في أواخر فصل الصيف . ولها أهمية كبيرة لأنها صلة الوصل بين سوريا ونجد ، ولأن العرب الرحل يقعنون فيها على المرعى في جميع الفصول . وطوال الشهرين الأخيرين من هذا الصيف نزلت على الآبار مئات من عائلات الرولة والشمر والشرارات اذ وجدت مراعي تكفي ابلها العديدة . ولما بدأت الآبار تشحّ اضطررت هذه العائلات إلى مغادرة المكان فرحلت قبل يومين من وصولنا .

والمسافة بين الجوف والشقيق اثنتا عشرة الى اربع عشرة ساعة ، قطعناها في ما يقرب من عشرين ساعة على جمالنا المهزيلة . وقد تكون الآبار الست هي التي ذكرها ياقوت وقال انها « ماء لمبي أسد بن عمرو بن تميم . وشقيق الشيء » أحد جزأيه . وقيل : الشقيق جمع شقيقة ، وهو كل غلظ بين رملين . (*) وهذا الوصف ينطبق على طبيعة الارض التي حفرت فيها الآبار الست المذكورة . وقد لاحظت ان جميع الآبار التي مررت بها في ارض التفود هي في تربة شبيهة كل الشبه بهذه التربة .

أول أيلول (سبتمبر) — لم نسر سوى ست ساعات فقط ، فقد قضينا أكثر النهار عند الآبار نمائياً قربنا ونسقي جمالنا . ثم سرنا ، كأمس ، في اتجاه جنوبـي — جنوبـي شرقـي ، ورأينا الى يميننا طوال الوقت سلسلة منخفضة من الجبال اسمها « الطوال » ، تتدلى من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، ما لبثت ان اختفت عن انتظارنا في اليوم الثاني قبيل الظهر .

٢ من ايلول — سرنا أربع عشرة ساعة ونصف الساعة في الاتجاه

(*) — لم نترجم ، بل نقلنا هذا النص عن « معجم البلدان » .

عينه ، في درب واضح المعالم اسمه « الخل » ، على طول الطريق من الجوف الى جبّة ، تغطيه الرمال التي تذرّها الرياح في بعض الاماكن . وهذه الرمال حيّرت دلينا ولم يعد متّكلاً من أننا على الطريق الصواب ، ولكن في الصباح بدت أمامنا في الأفق – اي إلى الجنوب – الجنوب الشرقي – قمنا منع لثان ترتفعان فوق هذا المحيط من الرمال كأنهما منارة مُهدي إلى منتصف الطريق بين الجوف وجبة .

٣ من ايلول – وصلنا بعد ثلات ساعات إلى الجبلين ، وهما متلاصقان تقريباً . وتبدو قاعدتاهم كأنهما واحدة ترتفع منها القمتان في شكل مخروطي . والقمة الشمالية اسمها « العليم » ، واسم الثانية : « التركى » . وقد تكونان القمتين اللتين اسماهما ياقوت باسمي : « السعد » و « دجوج » وقال إيهما على يوم من دوّنة الجندي وترتفعان عالياً وتکادان تتلاصقان . ويقول ياقوت أيضاً أن دجوج رمال تندّ على مسيرة يومين لتكون على يوم واحد من تيماء التي تبتدىء بعدها الصحراء (الصحراء السورية على الارجح) .

« دجوج : رمل متصل بعلم السعد : جبلان ، من دوّنة على يومين . ودجوج : رمل مسيرة يومين إلى دون تيماء بيوم ، يخرج إلى الصحراء بيته وبين تيماء » . - ٨ : ٤٤٢ - ط . داري صادر وبيروت .

وعلى يوم من تيماء تبدأ أرض التفود . والمسافة من القمتين إلى تيماء تقدر بمسيرة ثلاثة أيام على الارجح . ومسافة اليوم الواحد – التي قال ياقوت أنها تفصل بين الجبلين والجوف – لا تتوافق وبعد القمتين عن الجوف .

وللجبلين أهمية العلامة ، وهي أهمية كبيرة في صحراء يسهل فيها ان يتباهي المسافر بسبب رتابة مناظرها . ومن الجبلين سرنا في ذلك اليوم اثنى عشرة ساعة ونصف الساعة .

٤ من أيلول — مشينا ثمانى عشرة ساعة وثلاثة أربعاء الساعة . وفي الصباح الباكر شاهدنا امامنا في الافق — الى الجنوب الجنوب الشرقي — جبل آخر اسمه جبل ام سلمان وهي سفحه مدينة جبّة التي نقصدها . فتابعنا السير في اليوم الثاني ثلاثة عشرة ساعة حتى وصلنا الى جبّة .

طالت الرحلة من الجhof الى جبّة سبعاً وثمانين ساعة . وكانت جمالنا ضعيفة جداً وهزيلة ، ولا سيما في خلال الايام الاربعة الاخيرة إذ لم تدق فيها الماء . وكثيراً ما بركت تعباً في اليومين الاخرين بالغم من الضربات والرفسات التي انهالت عليها لثتها على القيام . واضطربنا لان ترك جملاً ملقىً في ظل شجيرة . وكانت الجمال ترعى في الطريق ما تلقاه من عشب يابس . وصار بعضها الذي لا ينتظيه احد يبعد أحياناً عن الدرب (طلباً للمراعي) فضطرر ، انا ودليلي وزوجته الحاملة طفلها على صدرها ومعها ولدهما الصغيران ، ان نترجل لنعيده الى الدرب مما سبب لنا تأخيراً كبيراً . واذا نظرنا ، بالإضافة الى ما تقدم ، الى طبيعة الارض المتوجه ذات التلال والابودية المتالية ، والتي تغطيها رمال ناعمة كانت حوارف الجمال تغوص فيها أحياناً ، واذا نظرنا أيضاً الى انعطافات الدرب والحناءاتها لتفادي الارض الونعرة ، قد رأينا ان جميع تلك العوائق زادت ما يقرب ثلث المدة من الوقت عما كان يحتاج اليه لقطع المسافة عينها في ارض متساوية سهلة . واتجاه طريقنا كان نحو الجنوب — الجنوب الشرقي ، وفاقاً للقاعدة التي ينصح بها سكان المنطقة للمسافر الذي ينوي قطع هذه الصحراء ، وهي : « اتجه بحيث يكون النجم القطبي على عظم لوح الكتف اليسرى . »

تقع جبّة في سهل فسيح اهليجي ، تربته حجرية صلبة تميز مواضع المياه في هذه المنطقة ، ويحيط بالسهل تلال متصلة منخفضة جداً ومكونة من صخور رملية ، يرتفع فوقها الى الغرب — الشمال الغربي جبل « ام سلمان » العالى ، والى الشرق — الجنوب الشرقي قمة أخرى أقل علوّاً اسمها « الغوطة » .

والمسافة بينهما عشرة أميال انكليزية تقريباً . والسهل في الاتجاه الآخر من الشمال الى الجنوب اطول قليلاً من هذه المسافة . وتلالات التي تحدّ السهل في الطرف الجنوبي منخفضة جداً ، تغطيها الرمال جزئياً ، حتى، ليصعب تمييزها عن تلال النفوذ الرملية المتاخمة لها . اما تلك التي في الشمال فأكثر ارتفاعاً . والى الشمال قرب « ام سلمان » قمة صغيرة اسمها عنيزة تقع في الجزء الشمالي من السهل على مسافة ميل واحد من « ام سلمان » - وتنتألف من خمس أسواق هي : الطريق والسلال والحملة والكلاب والمعجلات . والمعجلات منفصلة عن الاسواق الاولى وتمتد في السهل نحو الجنوب ، بينما الاسواق الأربع الاخري تتلاصق في صفت واحد من الشرق الى الغرب .

وتبني منازل جهة من الرين - والرين مادة البناء الاولى في الصحراء ، وتکاد تكون الوحيدة - وهذه المنازل فسيحة ورحبة أكثر من منازل الحوف ، وتصميمها الهندسي مختلف . ولواجهات البيوت الكبيرة شكل يحكي مداخل المعابد المصرية القديمة (PROPYLAEUM) وكل منزل له بستان يلاصقه ، وفي الغالب يحيط به ، في حين ان جميع بساتين الحوف بعيدة عن البلدة . وفي كل بستان هنا يشر للري يستقى منها بواسطة الجمال . ويعنى بالبساتين عنابة فائقة ، وتنسق تنسيقاً حسناً . وفوق الآبار عرائش ، وكذلك فوق المرمرات التي تمشي عليها الحيوانات وهي تسحب الماء من البئر . والماء يسحب بدلوا من الجلد . اما التخييل في جهة فاقل جودة من بلح الحوف وتيماء . والى التمر الفاكهة الاخرى التي تنتجها هذه البلاد هناك شجرة من فصيلة الصنوبر اسمها « الاَثْلُ » (*) تنبت قليلاً جداً في المناطق الشمالية من بلاد العرب ، وهي برية ، واما في نجد فيزرعها الاهلون كثيراً لاجل خشبها الذي يستعملونه دون سواه في البناء .

(*) - الاَثْلُ : شجر عظيم يشبه الطرفاء إلا انه اعظم منها وخشبها صلب جيد تصنع منه القصاع والحفان ويعرف حبه عند العطارين بالعنبة . واحدهاته : أَلْلَة (المنجد وحيط المحيط) .

وليس في جهة ينبع ماء جار ، بل فيها آبار كثيرة جميعها عميقة ،
ومياها نقيلة مع بعض ملوحة .

عدد العائلات في جهة يقرب من مئة وسبعين بينما جميعهم من قبيلة أرمال التي تعتبر من أشرف بطون شمر واعظمها شأناً . وهؤلاء الجبّيون مختلفون عن سكان المناطق التي مررت بها . وكذلك تختلف ملامحهم عن ملامح السوريين . فبشرتهم تبدو سقية ، وأجسامهم ضعيفة ، وفي بلدتهم أمراض عديدة تتفشى ، وقد يكون هذا سببه ملوحة الماء والتمر غير الحميد الذي هو الغذاء الرئيسي للسكان ، هنا وفي أنحاء نجد جميعاً . وعيش الجبّيين هو عينه عيش البدو الرحّل ، فيما عدا أنهم يقيمون في مضارب ومنازل ثابتة . وأكثرهم يملكون قطعاً كبيرة من الأبل يُوكلون العناية بها إلى إخوانهم البدو أو يرسلونها مع رعاة منهم إلى الرعي في الجوار . ويساعدهم موقع البلدة وعدد رجالهم على درء هجمات الأعداء ، وعلى عدم وقوع أي نزاع بينهم وبين شيوخ البدو والرحّل ، بل أنهم يغزون بدون انقطاع الشوارات والقبائل الأخرى في الأجزاء الشمالية من أرض التفود .

وبمحجة الحرب المقدسة (*) ضد الكفار (كذا ...) الذين لا يؤدون الزكاة ولا يعملون بال تعاليم الآخرى من القرآن الكريم يوالي الجبّيون الاغارة – ويعدّون هذا من واجبهم بوصفهم موحدين حقيقين – على جميع القبائل التي لا تذهب مذهب الوهابيين ، ويصطهدونها وينهكونها حتى يرغمواها على محالفة شمر بتاديتها الزكاة لشيخهم وبموالاتها أيامه . وفي هذا الصيف غزت جماعات منهم – واحدتها من مئة مقاتل – الشواراتخمس غزوات وأخذوا منهم ما يفوق ألفي جمل .

قلَّ أن يأتي جهة باعة جرّالون أو تجار عابرون ، كالذين نلقاهم في

(*) يريد : الجهد في سبيل الله

القرى على درب الحج و في بلدان الصحراء الكبيرة . غير أنني لقيت أثناء اقامتي في البلدة تاجراً من المدينة المنورة كان يتذمّر من قلة العمل . والسكان يشترون ملابسهم ولوازفهم من حائل . ويشردون مؤنthem ، القليلة ، من الارز من العراق بواسطة حلفائهم من البدو . وهم يزرعون بأنفسهم القمح والذرة والشوفان و غالباً ما يفوق المحصول حاجتهم .

ويأتي الى هنا كثيرون من قبائل مختلفة ، ولا سيما في موسم التمر . وفي أثناء اقامتي في جبة بلغ عدد خيام البدو الرحّل في السهل ، وبين المنازل ، أكثر من مئة وخمسين خيمة جلّتهم من الرولة وشمر ، وكان في العداد ايضاً افراد من عترة ، وبشر ، وتقراء ، ومن الشرارات وهوازم (*) الذين حالفوا شمر . وحشود الرحّل لا تفارق جبة في جميع الفصول لأن في جوارها أخصب مراعي منطقة التفود ، ولأنها المحلة الوحيدة التي فيها ماء بين هذه المراعي والشقيق .

ان التقاليد القليلة التي ورثها اهل جبة عن اجدادهم وعن اصحاب ارضهم القدماء ، هي التقاليد التي يعمل بها الشمريون . ولا اشير هنا إلا الى ما يتعلق منها بجبهة وحدتها لأنني سأذكرها فيما بعد .

يرتفع جبل ام سلمان حوالي خمسينية قدم عن السهل ، ويشكّل علامه بارزة في المنطقة . ويقال انه في الا زمان السالفة كان اسمه القطيفة . وسُنحت لي الفرصة مراراً في رحلي ان اعرف كيف تستبدل باسماء حديثة اسماء المواقع القديمة التي نقلتها اليهاينا التقاليد او الحغرافيون . وهذا التغيير أمرٌ طبيعي جداً في بلاد العرب حيث تتعاقب الكثيرون على حكم منطقة ما ، او على الاقامة فيها . ومن المحتمل كثيراً ان يكون هذا التغيير قد حصل بجبل ام سلمان . فالكلمة تبدو حديثة . ومثله حصل لقمة التركى التي سبق ذكرها .

(*) - هكذا كتبها . وصوّبها في الارجح : هوازن

والسكنان الحاليون يروون ان سلفاءهم في هذه الارض كانوا يقيمون منازلهم وقصورهم في الجبل حيث تشاهد آثارها حتى اليوم . وقد دلّوني الى موضع اسوق البلدة القديمة والى طرقها المتداة بين الجروف (*) وهم يزعمون ان جوانب الجبل العمودية المرتفعة اما هي بقايا جدران القصر الذي بناه الحين لا يواد الحدود . واكذّوا لي انه يعثر احيانا على قطع ادوات في بعض شقوق الجبل .

اما انا فلم لاحظ في بقايا منازل اجدادهم المزعومة سوى كهوف خربة وشقوق في جبل من صخور رملية لينة . وبفعل الا زمان فُتّحت تلك الصخور وصارت مغاور وشقوقا كبيرة فجعلتها مخيلاً لهم الواسعة منازل وقصوراً سكنها جدودهم . وربما كان هؤلاء من ساكني الكهوف . ومن المحتمل ايضا ان تكون تلك الكهوف من صنع زلزال شديد مفاجيء ، فهناك حجارة ضخمة جداً وصخور كبيرة قد تأثرت في السفح مما يحمل على الظن انها انسلخت من القمة وتدرجت الى اسفل . وهكذا يبدو السهل من داخله وكأنه وادٌ صغير او قاعة كبيرة بلاطها الجبال وجدرانها الجبال . ويقول السكان ان السهل بكماله — لا جزءاً منه — كان يزرع في القديم وتغطيه حقول النردة والبساتين ، ويرويها كلها نبع في ام سلمان لا يزالون يشيرون الى رأسه في احد الشقوق . وكان الماء ينبع في اقبية الى السهل المجاور . ويقال ان بعض الاثلام التي نراها في اجزاء من السهل تشير الى مجاري الاقبية . ويقال ايضا ان الآبار في ذلك الزمان كانت غزيرة وعديدة اكثر منها اليوم ، حتى لتسع فوهة الواحدة منها لستين دولاباً تسحب بها جميع الدلاء الجلدية الثقيلة في آن واحد . اما اليوم فالنبع جاف . وجميع محاولات السكان للعثور على طرفه قد ذهبت سدى . وكذلك فشلت التعاوين والرق التي يرغمون كل غريب يأتיהם على التلفظ بها لعل الماء يفور من جديد .

(*) — جمع جرف ، بضم الجيم ، وهو المنحدر الصخري الشاهق .

وصاحب «القاموس» هو الكاتب العربي الوحيد الذي ذكر هذا المكان وقال : ان جُبَّة لبني طيء . وياقوت يذكر «قطيفة» على أنها جبل في أعلى طرف وادي مُبْهِل كان لعبد الله بن غطفان . وينقل عن أبي زيد(*) «ان قطيفة ماء لعمرو بن كلاب». ولأبيات هذين القولين روى شرعاً لامرئ القيس في الأول ، وشرعاً لأبي جابر الكلابي في القول الثاني (**). ويجوز عد القولين صحيحين فيما اذا ذهبنا الى ان امراً القيس يعني الجبل وان الشاعر الآخر يعني النبع الحاف . ولعل النبع كان ذا مياه في زمانه . وإذا كان مُبْهِل اسم السهل الذي فيه البلدة — ولم يطرق هذا الاسم سمعي أبدا — كان جبل ام سلمان في طرف السهل الاعلى ، وذلك لأن السهل ينحدر نحو الجنوب — الجنوب الشرقي باتجاه قمة الغوطة المقابلة .

وعلى جوانب ام سلمان ، وعلى الصخور الضخمة الكثيرة في سفحه ، نقوش عديدة مختلفة ، بعضها نقش بأداة حديدية حادة ونقش البعض الآخر باللواح حجرية لونها ضارب للحمرة ، وأكثرها من صنع الصغار الذين يمضون الوقت في نقشها وهم يرعون الماشي . ولكن هناك ، ولا ريب ، نقوشاً تعود إلى الماضي البعيد ، وأكثر أشكالها تتمثل جمالاً ، وخيلاء ، وخيلاً آخرى يمكن تطيئها فرسان حاملين رماحاً ، وتمثل كلاباً ، وخرفاناً وحيوانات برية من الصحراء . ولفت نظري رسم قديم يمثل عجلة صغيرة ذات أربعة دوالib منخفضة جداً يجرها جملان . ومن المشهور ان العجلات ، اليوم ، نادرة جداً في الشرق ، ولا سيما في بلاد العرب حيث لم أر سوى في تيماء انساً يستعملون

(*) هو احمد بن سهل البلخي ، وحاله وفيلسوف عربي من علماء القرن العاشر (**) - في ما نقله ، هنا ، الرحالة ثالين عن ياقوت تشوش . فمعجم البلدان لم يشر الى «قطيفة» ، بل ذكر «القطيفة» (بتشديد الياء) على أنها تصغير لتصغير ، وأنها قرية « دون ثنية العتاب المقادس الى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص .

وقال عن مبهل (وقد ضم اليم وكسر الماء) انه « ماء في ديار بني تميم . » ثم ذكره الاصبعي انه « واد » لبني عبد الله بن غطفان . وفوقه معدة البتر .

احياناً عجلة صغيرة لها دواليب منخفضة بحر الحجارة وهي تشبه بمنظرها وتركيبيها العجلة المرسومة على صخرة في سفح ام سلمان .

ان جميع هذه النقوش والرسوم غير متقنة ، صنعتها يد غير مدربة ، وتحاكي تلك التي رأيتها في اماكن اخرى من شمالي بلاد العرب ، في جوار تبوك . ووجدت أطواها واوضحتها في الجانب الشمالي الشرقي من ام سلمان ، على سطح يخيل الى الناظر ان قسما منه سوّي لهذه الغاية . والحرروف مطموسة في الصخر الرملي المش وتصعب قراءتها . ولعل هذه الحروف ، او العلام ، نقشت في الاصل على كامل جزء مسطح في جانب جبل له شكل القطع الناقص (*). وقد قدرت طول اكبر قطرية بحوالي الياード . وتُرى نقوش اخرى على بعض الصخور الضخمة المنقورة في السهل بسفح الجبل .

وفي اسفل النقوش رسم جمل . وقيل لي ان جوانب السلسلة مغطاة جميعها برسوم ونقوش كهذه ، فنزلت الى السفح متفرّحةً جوانب الجبل والصخور وتبين لي ان النقوش تكاد لا تذكر كلما ابتعدت عن القمة الرئيسية ام سلمان . وعلى الجانب الشمالي الغربي من ام سلمان وجدت نقشاً بالحرف الكوفي يحتوي على البسمة فقط ، ولم أجده نقوشاً بالحرف العربي الحديث .

١٨ من ايلول (سبتمبر) — غادرت جبّة يرافقي دليل من شمر وسرنا عبر السهل باتجاه قمة الغوطة ووصلنا اليها بعد ساعات ثلاث . وفي الجانب الآخر من القمة ، ومبشرة ، تبدأ ارض التفود مرة اخرى وقد اعترضها سهل جبّة المتوج بالتلل والاوادي الرملية .

ومن هنا تُشاهد قممًّ معزولة كثيرة ترتفع فوق المتموجات ويحدّها كلها سلسلة جبال أجيال العظيمة التي بدت لنا من بعيد الى الشرق — الجنوب الشرقي .

(*) — اهليجي Elliptique

سرنا اليوم ست ساعات اخرى فقط .

١٩ من ايلول (سبتمبر) - وصلنا بعد تسع ساعات في سيرنا نحو الشرق - الجنوب الشرقي الى قرية صغيرة اسمها قَنَا ، في سهل ارضه « طباشيرية » شديدة البياض ، وتحيط بالسهل سلسلة من تلال صخور رملية . وسكان القرية خمسون عائلة من قبيلة ارمال ، وفيها ست آبار عميقه ، مياهها غزيرة وعذبة ، وبين الواحدة والاخري مسافة قصيرة ، وقامت حول كل بئر في السهل قرية صغيرة من ستة منازل الى عشرة ، وتنصل بها بساتينها . وسكان قَنَا ييزمون ، مثل سكان نجد ، بان بلدتهم مسقط راس اي زيد بطلبني هلال الشهير في حكايات العرب . وان « السلطان » حسناً ، زعيمبني هلال اقام هنا .

وينقل ياقوت عن اي زياد (٢٣) ان قَنَا ماء لبني قُشَّير ، ونقل ايضا عن رجل من طيءٍ : أن « قَنَا جبل في شرق الحاجر ، وفي شماليه جبلان صغير ان يقال لهما صابرنا قَنَا ». (انظر ملحق التعليب والاستدراك ، رقم (٢٤) .

وعلى ساعة الى الجنوب من قَنَا تنتهي فجأة ارض التفود وتحول الى ارض مستوية ، صلبة ، تغطيها طبقة رقيقة من الحصى الغرانيتية (*) الخشنة . وهذه الارض الجديدة يتالف منها اكثُر نجد ويسميها العرب « قاعاً » لاستواها ، ويسمونها « جَلَدةً » لصلابتها تربتها . اما الارض المتموجة وذات الجبال او التلال الرملية فيسمونها « وَعْراً » (**).

واسم « التفود » يكاد يكون الاسم الوحيد الذي يطلق اليوم على البقعة الرملية الفسيحة التي جعلناها سبيلا من الجحوف . وكلمة التفود - مثل اليوم كلمة

(*) - الغرانيتية هي الحجر المانع المحبب .

(**) - جاء في « محيط المحيط » : الجلدة الارض الصلبة المستوية . والقاع الارض السهلة المطمئنة التي انفرجت عنها الجبال والاكام . والوعر ضد السهل .

«البطحاء» - تستعمل لعني الرمل الناعم المفكك ، وتطلق على كل منطقة او سهل او وادٍ تربته من هذا الرمل . وفي اللغة القديمة كانت تعني القحط وعدم وجود المؤنة والماء . ومن المحتمل انها اطلقت في البدء على كل بقعة صحراوية فسيحة يتعرض فيها المسافرون وجماعهم للهلاك بسبب طول الدرب ونقص المؤنة والماء . وهكذا استعملت الكلمة «مهلكة» وكلمة «بيداء» للمعنى عينه . والاراضي التي تنطبق عليها هذه التسمية قليلة ، ولعل اجرها بها هي هذه البقعة المعروفة اليوم باسم النفوذ . وقليلًا ما يسمىها السكان الحاليون باسمها القديم «الدهناء» الذي عرفها به كتاب العرب . واذا ما استعملوا الكلمة «الدهناء» فللدلالة على رمل ناعم وكثير . وهم يقولون الدَّهْنَاء (فتح الماء وليس بتسكنها). ولم تطرق سمعي لفظة «ضحي» سوى مرة او مرتين . ويستعملون الكلمة «طاووس» لتسمية التلال الرملية التي تكثر في النفوذ .

ان النفوذ من اعظم بقاع بلاد العرب ومن اوسعها . تغطي نصف الجزء الشمالي بكامله من البلاد العربية . واذا عدنا وادي السرحان جزءاً منها كان بدء حدودها الغربية من جبل حلوان المنعزل ، وهو على مسيرة ثمان ساعات الى الشرق من تيماء ، الى وادي اويسط ومنه الى محللة تبعد يومين الى الجنوب او الجنوب الشرقي من دمشق . والحدود الجنوبية تمتد من حلوان بشكلٍ نصف دائري ، وعلى طول الطريق الذي اتبعه من تيماء الى جبل شمر ، وتقرب هذه الحدود كثيراً من جبل أجا ، حتى تكون منه احياناً على ساعات قليلة .

والحدود الشرقية غير (منتظمة) بسبب التلال الرملية التي تمتد بغير تساوي فمنها ما يصل تقريرياً الى الخليج الفارسي (٢٥) ومنها ما ينتهي بسرعة في السهل الحجري بين النفوذ وساحل البحر . واعظم هذه التلال واطولها سلسلة اسمها الدهناء ، وقال لي بدو شمر ان اوطاها قرب الجوف وتتابع نحو الجنوب الشرقي محاذية مقاطعة الاحساء التي تشكل حدودها ، حتى تنتهي في راس الخيمة . ومن المحتمل كثيراً انها تتصل برمال يَبَرِين (٢٦) الفسيحة .

أما الحدود الشمالية والشمالية الشرقية لأرض النفوذ فلم استطع معرفتها معرفة أكيدة ، وقد تكون من تكميلة سلسلة الدهناء الشمالية التي تعطف إلى الشمال الغربي حول أرض الجوف وتتصل بوادي السرحان . والجزاء الغربية من النفوذ مرتفعة وغير سوية . وهي سلاسل تلال وأودية رملية تتالت في جميع الاتجاهات .

اما الاجزاء التي بين الجوف وجوبه وبين حلوان واويسط فهي متوسط النفوذ . والحدود الغربية تمثل جليّاً بسلسلة النفوذ التي بدلت لي ، من المكان الذي شاهدتها فيه ، أنها ترتفع ما يقرب من مائة او مائتين قدم عن سطح الصحراء السورية المتاخمة ، وتتلاصق تللاً رملية وكأنها أسناد جبال تحد ذلك السهل الحجري الماحل . وفي ناحية الحدود الجنوبية ، في الأرض المنحدرة نحو أجاً ، تنسع الأودية لتصير سهولاً مجوفة ويقل ارتفاعها ، وتعترضها هنا وهناك تلالٌ من صخور رملية . وإلى الشرق ، والجنوب الشرقي ، تنحدر الأرض في تلال رملية منخفضة تتفرع من الاجزاء الغربية المرتفعة . ويحيط كلّ تلّين منها بوادي مسطّح وطويل ينحدر على مسافة قد تطول او تقصر نحو الخليج الفارسي (٢٥) .

وما رأيته من وادي السرحان له الميزات عينها . على ان تموجات السطح فيه أقلّ بروزاً منها في هذه البقاع . وبين وادي السرحان والنفوذ – وهو الجزآن الرئيسيان من هذه الصحراء الرملية الفسيحة – ترتفع عالية سلسلة «جبال الجوف» والارض الجبلية المتاخمة لها ، وتطلّ على هذين الجزعين ، وتمتدّ على جانبيها تلالٌ من الرمال .

ان أرض النفوذ من اغنى مراعي بلاد العرب ، لكن العرب لا يرونها إلاّ في فصل الريّح فقط ، طلباً لمياه الامطار التي تجتمع في برك واحواض . والماء قليل جداً في اجزائها الوسطى ، لذا يندر ان تشاهد مضارب للبدو بين

الشقيق وجبة . اما الاجزاء الشمالية من وادي السرحان ومنحدرات النفوذ الجنوبية المتاخمة بجبل شمر فيزورها العديد من البدو طوال السنة .

وينزل الشارات والرولة في الاجزاء الشمالية من وادي السرحان ، ويضرب بشر والشمر في المنحدرات . وفي المنحدرات الشرقية يتنقل الشمر والصفير والمنتفق في الشتاء والربيع . اما في الصيف فيتجه البدو جمِيعاً الى الارضي المزروعة : فالشمر الى اراضيهم والآخرون نحو الفرات ودجلة . وفي هذه الآونة يصادف القليل من البدو في الدهماء إلا عائلات من سلابة ، اوضع عشائر هَتَّيم .

وقرب آبار «لينة» الغزيرة تنزل احياناً احدى القبائل الكبيرة وترعى قطعانها في الارض المجاورة . واقامتهم هناك خطرة لأنهم يتعرّضون لجماعات البدو الغازية التي تمر بالمكان كثيراً لتؤمن الماء . وفي هذه التواحي من المنطقة تكثر الآبار والصهاريج ، غير ان كمية المياه ومدة وجودها ترتبطان بطول المطر . وقال لي البدو ان الماء العذب متواوفر طوال ايام السنة في طريق الحج العراقي ، عبر منحدرات صحراء الدهماء الشرقية المعروفة الى يومنا باسم « درب زبيدة » . وقالوا لي ايضاً ان الآبار هنا عميقة ولكنها لا يفوق عمقها عمق الآبار المحفورة داخل المنطقة .

وفي مؤلف ياقوت الحغرافي (معجم البلدان) مقال طويل عن هذه البقعة ساحاول ان اقتطف بعضه على رغم من ان في المخطوطة التي استطعت مراجعتها اخطاء كثيرة ، واعترف باني لم افهم المعنى في كثير من الموضع . وبعد ان ذكر ياقوت اشتقاق الكلمة قال (*): «... ولعل الدهماء سميت بذلك لاختلاف

(*) - رجعنا الى ياقوت فوجئنا ان الرحالة فالين قد استطاع فهم نص المخطوطة ، وانه ترجمه ترجمة تكاد تكون صحيحة . فاخذنا النص العربي الاصليل ، دون الترجمة ، كما جاء في طبعة دار صادر ودار بيروت .

النبت والازهار في عراضها (....) قال ابو منصور : الدهناء من دياربني تميم معروفة . تقصـر وتمدّ ، والنسبة اليها دهناوي (...) وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها ، بين كل جبلين شقيقة . وطوطها من حزن ينسـوعة الى رمل يـبرـين ، وهي من اكـثر بلاد الله كـلاً مع قلة أعدـاء (*) وـمـاهـا . واذا أخصـبت الـدهـنـاء ربـعـت العـربـ جـمـعا لـسـعـتها وـكـثـرة شـجـرـها ، وهي عـذـاء مـكـرـمة نـزـهـة ، من سـكـنـها لا يـعـرـفـ الحـمـى لـطـيـبـ تـرـبـتها وـهـوـاـهـا . (**)

ويتابع ياقوت : وقال غيره : اذا كان المصعد بالـيـنـسـوعـة – وهو متـزلـ بـطـرـيقـ مـكـةـ منـ الـبـصـرـةـ – صـبـحـتـ بـهـ اـقـمـاعـ الـدـهـنـاءـ منـ جـانـبـهـ الـأـيـسـرـ وـاتـصلـ اـقـمـاعـهاـ بـعـجـمـتـهاـ وـتـفـرـعـتـ جـبـلـهاـ منـ عـجـمـتـهاـ . وقد جـعـلـوا رـمـلـ الـدـهـنـاءـ بـمـنـزـلـةـ بـعـيرـ وـجـعـلـوا اـقـمـاعـهاـ الـيـ شـخـصـتـ منـ عـجـمـتـهاـ نـحـوـ الـيـنـسـوعـةـ ثـنـانـ كـثـفـنـ الـبـعـيرـ . وهي خـمـسـةـ اـجـبـلـ عـلـىـ عـدـدـ الـثـفـنـاتـ ، فـالـجـبـلـ الـاـعـلـىـ مـنـهـ الـادـنـىـ الـىـ حـفـرـ بـنـيـ سـعـدـ وـاسـمـهـ خـشـاخـشـ لـكـثـرـ ماـ يـسـمعـ مـنـ خـشـخـشـةـ اـمـوـلـهـمـ فـيـهـ ، وـالـجـبـلـ الـثـانـيـ يـسـمـيـ حـمـاطـانـ ، وـالـثـالـثـ جـبـلـ الـرـوـثـ ، وـالـرـابـعـ مـعـبـرـ ، وـالـخـامـسـ جـبـلـ حـزـوـيـ . قال المـهـيمـ بـنـ عـدـيـ (٢٩) : الـوـادـيـ الـذـيـ فـيـهـ بـلـادـ بـنـيـ تـمـيمـ بـيـادـيـهـ الـبـصـرـةـ فـيـ اـرـضـ بـنـيـ سـعـدـ يـسـمـونـهـ الـدـهـنـاءـ ، يـمـرـ فـيـ بـلـادـ بـنـيـ أـسـدـ فـيـسـمـونـهـ مـنـعـ ثمـ فـيـ غـطـفـانـ فـيـسـمـونـهـ الرـمـةـ – وـهـوـ بـطـنـ الرـمـةـ الـذـيـ فـيـ طـرـيقـ فـيـيـدـ الـمـدـيـنـةـ – وـهـوـ وـادـيـ الـحـاجـرـ (**) ، ثمـ يـمـرـ فـيـ بـلـادـ طـيـءـ فـيـسـمـونـهـ حـائـلـ ، ثمـ يـمـرـ فـيـ بـلـادـ كـلـبـ فـيـسـمـونـهـ قـرـاقـرـ ، ثمـ يـمـرـ فـيـ بـلـادـ تـغـلـبـ فـيـسـمـونـهـ سـوـيـ ، وـاـذـاـ اـنـتـهـيـ الـيـهـمـ

(*) - الحزن ما غلط من الارض ، خلاف السهل . وأعداء : جمع عندي (كسر العين) وسكنون الذال) : الزرع لا يـسـقيـهـ المـطـرـ . وكلـ مـكـانـ لاـ حـمـضـ فـيـهـ . والعـذـاءـ الـأـرـضـ الطـيـةـ البعـيدـةـ مـنـ المـاءـ وـالـوـحـمـ (محـيطـ المـحـيـطـ) .

(**) - الحمى منتشرة كثـيرـاـ فـيـ سـاحـلـ الـخـلـيجـ الـفـارـسيـ - قـالـينـ

(***) - كـتبـهـ قـالـينـ بـالـزـايـ فـقـالـ : الـحـاجـرـ .

عطف الى بلاد كلب فيصير الى النيل (*). ولا يمر في بلاد قوم الا انصب
اليهم كلها »

ويورد ياقوت ايضا ، على عادته ، شعرا في وصف المنطقة ، ولن اقله لانه
لا يهم الجغرافية .

وذكر ريتز على لسان HAMAKER الفقرة التي تضم كلمة (المهيّم) ويبدو ان
هاماكر استعمل مخطوطة فيها من الانخطاء اكثر مما في مخطوطة المتحف الاسيوى
في سان برسبورغ . (**)

وزرى في ما تقدم ان بالخواصيين العرب لا يتفقون على عدد الجبال التي تتفرع
من الدهناء ، فالبعض يقولون أنها سبعة ، وسواهم يجعلونها خمسة . واعتقد ان
العدد الاخير (الخمسة) هو الاصح ، ذلك لأن حائل وبطن الرُّمة اللتين ذكرهما
المهيّم يحب عدّهما في المنطقة التي الى الجنوب من أجأ حيث تخفي ميزات ارض
النفوذ . وحائل هي الشقيقة (***) المسمى «البَطِين» والمتداة بين جبلي طيءِ ،
أجا وسلمي . اما الحاجز فيجوز القول انه الارض التي الى الجنوب من سلمي .

وإذا صرحت ان الجزء من صحراء الدهناء الذي قال المهيّم بن عدي فيه «انه يمر
في بلاد كلب فيسمونه قُرَاقِر» وهو البقعة من خرائطنا التي تظهر فيها آبار قُرَاقِر
القريبة من الجوف الى الشمال منه ، فمن الواضح ان اسم البقعة القديم الذي
اطلقه الخواصيون العرب كان يشمل وادي سرحان ، وان جميع المؤلفين ، وحتى
ياقوت نفسه ، تجاهلوا اسم الوادي الخاص الذي يعرف به في يومنا هذا . وإذا
حسبنا ان حَمَاطَان هو الاجبل التي تحد من الشمال الشرقي الوادي المسمى حالياً

(*) - النيل في جوار الكوفة (فالين) .

(**) - فالين يشير هنا إلى المخطوطة التي استعملها هو .

(***) - الشقيقة هي الأرض الصلبة بين رياض . وهي ، هنا ، بمعنى الأرض - الوادي .

بوادي الحَمَاطِيَّة ، استطعنا ان نحدد بالضبط الاجبل الاربعة الاخرى . هذا واقول : اني لم اسمع السكان هنا يلفظون اي اسم من تلك الاسماء القديمة .

راجعت وصف رحلتي من جبل شمر في صيف ١٨٤٨ الى مشهد علي فتبين لي ان الحَمَاطِيَّة وادِ ارضه مسطحة (شقيقة) وترته اقسى من تربة التفود المتاخمة ، وتحده من الشمال الشَّرْقِي الاجبل الرملية المسمّاة اليوم بالدهناء ، ومن الجنوب الغربي تلالٌ اخرى رملية متواصلة هي طرف منطقة التفود على ما قاله لي رفقاء من البدو . وينحيل اليّ ان هذه التلال التي لا اذكر ان احداً من هؤلاء الرفقاء اطلق عليها اسمآ خاصاً إنما هي اجبل الرمث التي ذكرها الجغرافيون العرب . وجبال صَيْلَة المنخفضة هي من الصخر الرملي ، والارجح انها جزء من اجبل الرمث . اما «الشقيقة» التي بين اجبل التفودين فتُعتبر في ثلاث عشرة ساعة ونصف الساعة ، وفيها ماء بئر اسمه حَرَل .

وكذلك عبرنا في ثلاث عشرة ساعة ونصف الساعة واديًّا مماثلاً الى الجنوب الغربي من صَيْلَة تتبع على طوله تلال رملية من التفود اظن انها جبل مُعَبَّر القديم . وفي هذه البقعة آبار عميقه اسمها «الاطواء».

والى الجنوب الغربي من الجبل يترامى سهل الخطي الذي تحدّه من الجانب الآخر سلسلة تلال رملية من التفود تمر بمنحدرات سلسلة أجا الشماليّة الشرقيّة وجبال قيسى المنخفضة .

وفي هذا السهل بئر التيم . وقطعنا السهل عرضاً في سبع ساعات . والتفود الذي تحدّه من الجنوب الغربي هي على الارجع جبل حُزوَى واوه خشاخش . ويقول الجغرافيون العرب انه الى الشمال ، بالقرب من الارض المنخفضة حيث دياربني سعد ، ويحجب ان يكون في شمالي الدهناء او جبل حَمَاطَان في المنطقة التي نسميها اليوم «الحجارة» . واذكر اني في عبوري الماضي هذه الارض مررت بتلال من التفود لم استطع يومها تحديد اتجاهها على الرغم من ان ارض التفود تنتهي في

الشمال الشرقي ، بعد جبل حَمَاطان ، وتحول التربة هناك من رملية الى حصوية وجلبية ، وربما جاز لنا القول ان سلسلة من التلال الرملية المنخفضة توازي تلال الدهناء عبر ارض الحجارة التي يظن أنها خساخش القديمة ، وتؤلف الحدود الشمالية الشرقية للمنطقة المسماة «المُشيقق». والمشيخق والشقيق مسميان من اصل واحد يدلان لهما ميزات وادٍ بين نفوذين . واذا حسبنا ان هذه السلسلة تتدلى بعيداً فامتدادها يكون نحو الجنوب الشرقي ، عبر الصحراء التي هي الى الجنوب الغربي من البصرة وعلى مسافة بضعة ايام منها .

لا مشاحة في أن اليَّنسُوْعَةِ القديمة كانت في هذا المكان . وقيل ان في جوارها يبدأ اخر تلال دهناء النفوذ . قال ياقوت على لسان أبي منصور :

« يَسْوَعَةُ الْقَفِ (بضم القاف) مُنْهَلَةٌ مِنْ مَنَاهِلِ طَرِيقِ مَكَةِ عَلَى
جَادَةِ الْبَصَرَةِ ، بِهَا رَكَيَا عَذْبَةُ الْمَاءِ عِنْدَ مَنْقُطَعِ رِيَالِ الْدَهْنَاءِ بَيْنَ مَاوِيَةِ
وَالرِّيَاحِ ، وَقَدْ شَرِبَتْ مِنْ مَاءِهَا ».

ونقلًا عن أبي عبد الله السكوني يقول ياقوت ايضاً :

« اليَّنسُوْعَةِ مَوْضِعٌ فِي طَرِيقِ الْبَصَرَةِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّبَاجِ مَرْحَلَتَانِ نَحْوِ
الْبَصَرَةِ ، بَيْنَهُمَا الْخَبَرَاءُ . وَيُصَيَّحُ الْقَاصِدُ مِنْهَا إِلَى مَكَةِ الْأَقْمَاعِ أَقْمَاعَ
الْدَهْنَاءِ مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ ».

ويقال ان احدى النَّبَاجِ (*) العديدة التي ذكرها ياقوت محلّة في البصرة .
فاذا حسبنا الموضع الذي يجتمع فيه الحجاج قرب البصرة نَبَاجًا جاز لنا القول ان
آخر مرتفعات الدهناء الشرقية هي على ثلاثة ايام الى الجنوب الغربي من البصرة .
وفي هذا الاتجاه درب الحجاج من البصرة الى مكة .

ان كلامي «القف» و «حزن» اضيفتا الى الكلمة يَّنسُوْعَةِ للدلالة ، في

(*) - جمع نَبَاجَة ، وهي الاكلة وقد تكون عالية .

الارجح ، على الارض الجبلية والمحجرية التي تحيط بها ، والتي يشير الى طبيعتها اسم «ارض الحجارة» ، وهو الاسم الذي يطلقه عليها السكان الحاليون .

واللغرافيون العرب يميزون بين **الأَجْبُلُ والأَقْمَاعُ** (*) التي تتألف منها منحدرات صحراء الدهناء الشرقية . ويقولون ان الأقماع على يسار درب الحج من البصرة الى مكة . ولما كانت رحلاتي مخصوصة في القسم الغربي من الدهناء فلم يتع لي ان اعرف ميزات آخر منحدرات الدهناء نحو الخليج الفارسي (٢٥) .

ولكني استدل من اقوال المؤلفين العرب الى ان الجزء الشرقي من هذه الارض الرملية الفسيحة — من اليَسْنُوْسَعَةِ الی يَسْبَرِيْنِ (٢٦) — تعرضا بقعة ضيقة تربتها اکثر صلابة ، تفصل بين الاجبل والأقماع ، واکثر مياه المنطقة هي في هذه البقعة التي من نوع الشقيقة بسبب موقعها ، وهذا تمر فيها درب الحج من البصرة الى مكة (المكرمة) ، وتمر فيها ايضا جزء من درب زبيدة .

وباستطاعتنا القول ان الاراضي التي الى الشرق من هذه البقعة تتألف من نلال رملية لها ميزات تلال وادي السرحان في الطرف الآخر من النفوذ . والبدو الذين رافقوني الى بلاد ما بين النهرين (العراق) لم يذكروا امامي اية مرة ارض تلال النفوذ هذه ، وكذلك لم أجد عند المؤلفين العرب اي دليل لتحديد مدى امتداد هذه التلال الى الخليج الفارسي .

وفي رأيي الشخصي ان نفوذ الدهناء قد تشبه بعض الشبه ارض الرمال اليمانية الفسيحة المسماة بالاحقاف ، وبهذا يكون ما في داخل بلاد العرب مؤلفا من هضبتين واسعتين من الرمال تفصل بينهما ارض نجد التي في وسط شبه الجزيرة .

وسلسلة أجيأ ترد عن نجد رمال الدهناء في الشمال ، وجبل العارض ترد عنه رمال الاحقاف في الجنوب . اما في الغرب فتقف رمال الهضبتين المذكورتين

(*) - أورد فالين كلمي الاجبل والا قماع بالعربية وبالحرف اللاتيني مما :

امام جبال الحجاز المنيعة الممتدة على طول ساحل البحر الاحمر ، وتقف ايضا عند الاراضي الجبلية العالية (السروات) المتفرعة من جبال الحجاز ، في حين ان المضبتيين تنتهيان في الشرق ، نحو الخليج الفارسي في ارض ساحلية منخفضة : الدهناء في وادي الأحسا والاحقاف في وادي مَهْرَة ، وتصل بينهما من هذه الناحية تلال الدهناء الممتدة بين اليَسْوَعَة وَيَسْرَين .

ولن استطع تأكيد ما اذا كانت المضبة الجنوبية ارضاً فسيحة من الرمال تملاً البقعة كلها ، من جبال العارض الى جبال اليمن ، وتشمل الاحقاف والربع الحالي الذي يشار اليه في خرائطنا بأنه قفر بلاد العرب الحالي من السكان ، ام هي مقسمة قسمين بواسطة أجبيل تمتد من جبال عُمان الى ارض نجران في اليمن . وهناك بقاعاً لم يطأها سوى قليل من شجعان البدو ، ولم يذكر المؤلفون اية معلومات عنها .

وبعد ، فيستنتج من وصفي للدهناء وللتلال الرملية الممتدة من اجزائها الغربية المرتفعة نحو الخليج الفارسي ان الارض تنحدر في اتجاهٍ جنوبـيـ شرقـيـ . ورأيـيـ ان شبه جزيرة العرب بكاملها ينحدر نحو الجنوب او الجنوب الشرقي ، خلافاً لما قاله ريتـيـ وبعض المؤلفـيـن العرب عن ان هذه البلاد تزداد ارتفاعاً كلما سرتـاـ نحو الجنوب . واني أعدـّـ سورـيـةـ والصحرـاءـ المتاخـمةـ ومـهـرـةـ اوـطاـهاـ ، رغمـ انـ جـبـالـ الـيـمـنـ قدـ تـلـوـ اـكـثـرـ منـ اـرـفـاعـ اـجـبـلـ بـحـدـ . وـأـنـىـ ذـهـبـتـ فـيـ الدـاخـلـ ، الىـ الشـرـقـ منـ حـاجـزـ الجـبـالـ ، وـجـدـتـ الـاوـدـيـةـ وـالـسـيـوـلـ تـنـحدـرـ كـلـهاـ الىـ الجنـوبـ اوـ الىـ الشـرـقـ .

ويظهر ان المناخ ايضاً يثبت انحدار بلاد العرب نحو الجنوب الشرقي ، فالاجزاء الغربية من شبه الجزيرة منها جيد صحي ، وجميع السكان يقولون ان المدينة (المورة) وجبل شـمـرـ والجـوـفـ منـاطـقـ صـحـيـةـ جداًـ فيـ حينـ يـشـكـيـ منـ سـوـءـ المـنـاخـ فيـ الـرـيـاضـ وـالـمـحـلـاتـ الشـرـقـيـةـ بنـجـدـ . وـتـفـشـيـ الـحـمـيـاتـ اـكـثـرـ ايـامـ

السنة في ساحل الخليج الفارسي . ويدرك المؤلفون العرب ان جو يَبْرِين مرض . والناس لا تقرب المستنقعات في البصرة والاهوار في العراق لشدة الحرارة والرطوبة فيما . ويصبح قول هذا ، الى حدّ ، في سواحل البحر الاحمر : فمناخ جُدّة مثلاً ، وحتى مكة ، يعدّ غير صحي بالنسبة لمناخ المناطق المرتفعة في داخل البلاد ، الا انه في السواحل المذكورة وفي الاجزاء الشمالية خاصة احسن كثيرا منه في سواحل الخليج الفارسي (٢٥) فهو صحي والاامراض فيها قليلة نسبيا . وهذا رأي المؤلفين العرب ايضا .

ويعبر السكان عن انحدار بلادهم نحو الجنوب او الجنوب الغربي بقولهم انهم «ينزلون» اليها من سوريا ، او «يصعدون» منها الى سوريا ومصر . والمقيمون في جبل شَمَر «يصعدون» الى المدينة و «ينزلون» الى ديار ابن سعود والى البصرة والعراق . ومن المحتمل ان يكون العراق أوطى بلاد آسية . وينحيل الى ان تسمية نجد باسمه هذا نتاج عن مقابلة ارضه المرتفعة بأراضي اليمن وجنوبي الحجاز التي انطلقت منها المجرات الكبيرة منذ الأيام الأولى الى اجزاء شبه الجزيرة الداخلية والشمالية . واما من الشمال الى الجنوب فالمجرات كانت قليلة جدا .

ويعتقد النجديون اعتقادا قدیما ان الرياح من القوى الطبيعية التي ساهمت ، في طور من الاطوار المختلفة ، بإحداث بعض التبدل والتتعديل . ويقولون ان الله تعالى أمر باعصار شمالي قوي طال مدة بعيدة وعصف بالأرض وبما فيها من رمال كثيرة فأماها الى الجنوب .

ويختلف المؤلفون العرب في الرأي حول اتجاه ميل شبه الجزيرة ، فيقول بعضهم ان اليمن وتهامة هما من نجد العالى ، وان سوريا والعراق من نجد السفلي . ويقول سواهم ، ومنهم صاحب «الصحاح» (*) - وانا معهم - ان نجدا هو الارض

(*) - هو ابو نصر اسماعيل الجوهري . أنظر رقم (٢٧) في ملحق الاستدراك والتعليق .

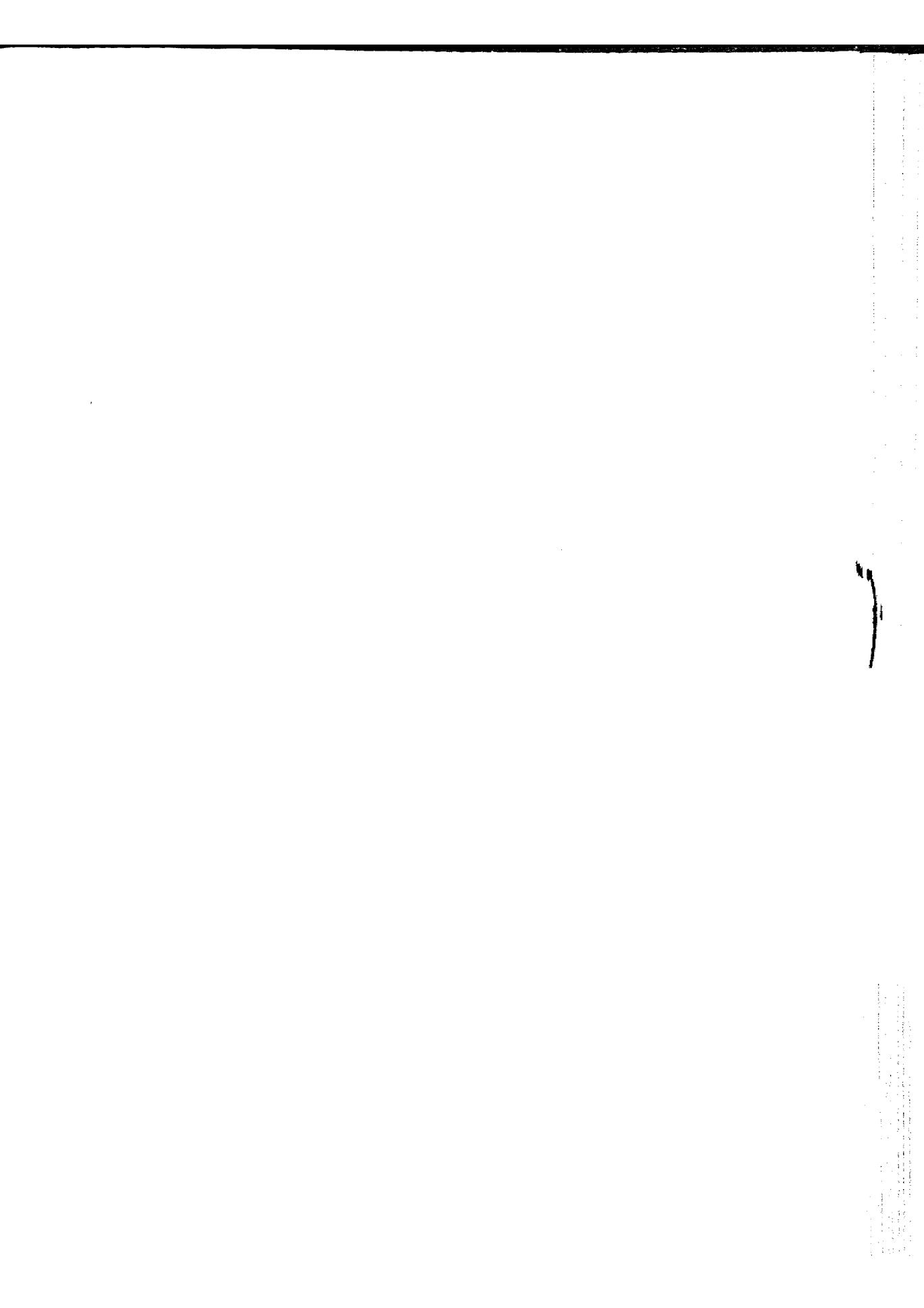
الى ترتفع من هامة الى العراق .

لندن الى رحلتنا :

بعد ساعتين وثلاثة اربعاء الساعة من مغادرتنا قرية «قَنَّا» دخلنا سلسلة أجا المعروف ايضا بجبال حائل . وطال سيرنا خمس ساعات في منبسط بين الجبال حتى وصلنا الى قرية لقيطة وهي في المنبسط عينه وتقطنها ماية وعشرون عائلة تقريبا اصلها جمیعا من الشمر . ويدرك ياقوت هذه القرية بأنها ماء في طرف أجا تعرف ايضا بالبئر الصغيرة (*). وعلى ساعة من لقيطة مررنا بالوقيد وهي قرية صغيرة تقطنها ثلاثون عائلة . وعلى ساعتين منها نفذنا من الجبال الى سهل مفتوح يمتد على طول سفح أجا الجنوبي الشرقي . ووصلنا بعد ساعة اخرى الى حائل حاضرة جبل شمر ومقر زعيمها وشيخ شيوخها .

(*) - قرأنا في « معجم البلدان » كلاما آخر فقلناه في ملحق الاستدراك والتعليق تحت رقم (٢٨)

فِي جَبَلِ شَهْرٍ



أجاً وسلمي او جَبَلا طيء

ان ابرز معلم هذه الارض سلطنة من الجبال الغرانيتية ، تحملان الى اليوم اسميهما القديعين «أجاً وسلمي». اما تسميتهمما الحالية بجبل شمر فتعود الى اسم القبيلة التي تملکها منذ عدة قرون . وفي السالف كان اسمها جَبَلَي طيء باسم القبيلة التي عاشت آنئذ هنا .

- وأجاً اكبر الجبلين ، يمتد من الشمال - الشمال الشرقي الى الجنوب - الجنوب الشرقي ويبلغ طوله خمسة ايام وعرضه من ثمان الى عشر ساعات ، على ما قدّرتُه اثناء عبورِي في اودية مختلفة من السلسلة التي قطعها في مكانيين مختلفين . وقدّرتُ ارتفاع السلسلة بحوالي الف قدم عن سطح السهل المجاور . وارتفاعها هذا ثابت على طولها .

وسلمي ، الجبل الآخر ، يوازي أجاً ويفصله عنه سهل البطين ويبلغ عرضه مسيرة اثني عشرة ساعة . وهو مماثل أجاً وله الارتفاع عينه وان اختلف عنه حجماً . واعتقد ان محيط هذا الجبل لا يتجاوز رحلة ثلاثة ايام . وبالجلان من صخور «غرانيتية» رمادية اللون ، وتغطيهما - على عكس الجبال الجرد الاخرى في داخل الصحراء - شجيرات برية لا تختلف كثيراً عن شجيرات الجبال السورية ، وتقطع بينهما اودية وسهول ، ولا سيما في الجزء الشمالي - الشمالي الشرقي من أجاً .

ووجل سلمى يمتدّ نحو الجنوب - الجنوب الغربي حيث تليه جبال الحجاز ، مكتوًناً الحدود الطبيعية لنجد من الشمال الغربي وينتهي فجأة في الشمال - الشمال الشرقي ، قرب قمة قيسى على يوم من حائل .

والبقعة الفسيحة الممتدة على ثمانية أيام شرقاً إلى الخليج الفارسي (٢٥) ، وعشرة أيام إلى العراق ، ليس فيها جبال بلا تلال من الصخور الرملية تبرز هنا وهناك فوق الرمال .

اما في الجانب الشمالي الغربي فلا يتصل أجاً بأي جبل بل يرتفع وحيداً وينتهي بانحدار شديد على عكس ما ذكره ريتز من انه ينحدر تدريجياً من جهة الجوف .

ونفصل الجبال عن التفود ارض حجرية يبلغ عرضها ساعتين . ولم أَرْ أبداً رمال التفود تصل إلى الجبلين في أحد المواقع .

ويمتد في الناحية الأخرى سهل البطين . وارضه من حجارة غرانيتية كاكلُر ارض نجد . غير انني لم اشاهد في شقوق الحجارة والصخور رمالاً ناعمة على ما هو الحال في الجبال الأخرى التي هي داخل بلاد العرب . ولا استطيع الجزم بما اذا كان الجبالان عاليين في اطرافهما .

اما الاودية العديدة فتنحدر ناحية الجنوب الشرقي رغم ان أسناد الجبال في هذه الناحية لا يزيد ارتفاع جوانبها عند الشمال الغربي . وكذلك يرتفع جبل سلمى وحيداً ولا يتصل على حد معرفتي بـ اي جبل آخر .

وهنالك بالإضافة إلى أجاً وسلمي ، اجلب "اكثر انخفاضاً في هذه الديار ، وأكمات معزولة من الصخور الرملية ، اتجاهها معاكس اتجاه الجبال الغرانيتية . وأهم هذه الاجبل جبل مخروطي الشكل ، داكن اللون اسمه «سمراء حائل» ، يرتفع قرب البلدة من الشرق ويقاد علوه يستوي وارتفاع الجبال المانعة . وقد يكون «سمراء حائل» قمة العوجاء ، التي قال ياقوت انها «حدُّة» بين أجاً وسلامى .

ويروي ياقوت اسطورة ، عن «العلماء بأخبار العرب» ، ان رجلاً من العمالق اسمه أجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قبيلته اسمها سلمى ، صار يلتقيها في منزل حاصلتها واسدها العوجاء ، وعرف اقرباؤهما خبرهما وقرروا الانتقام منها فافق زوجها — واسمها غير مذكور — وartnerها الحمسة ، وهم : الغيم ، والمُصلّ ، وقدَّك ، وفاید ، والحدثان ، على الترخيص بالمحبين ، فعرفت العوجاء واندرت أجأ وسلمى وفرّ الثلاثة فلحق بهم ستة وقتلوهم ، كلاً على جبل سُمي باسمه . وانف المتقمون ان يرجعوا الى قومهم فسار كل واحد الى مكان وأقام به فسمى ذلك المكان باسمه ...

في جبَّي أجأ وسلمى آبار وينابيع عديدة تنمو حولها مزارع نخيل وذرة ويعتنى بها البدو . اما في الانحاء الأخرى من المنطقة فالحداول نادرة ومياها فاترة تشوّها ملوحة . وعلى عكسها مياه الآبار فهي عذبة وخفيفة تسهل المضام . وسكان حائل يقولون : يستطيع الرجل ان يأكل خروفًا مشوياً كاملاً فيما اذا شرب فصعة من ماءهم مع الاكل . وينخرج الماء من الآبار العميقه فاتراً وبيِّد في جلود . وهذه الحلوى يستعملها العرب للتبريد بدلاً من الجوار الفخارية التي يستعملها المصريون وسواهم من سكان الشرق .

والآبار المحفورة دائيرية الشكل تحاط فوهاتها بمحاط من الحجارة ويبلغ متوسط عمقها عشرين الى خمس وعشرين قامة . والعنور على الجدول الجوفي — وهو البحر عند العرب — الذي تجري فيه المياه المتجمعة في الجبال يتطلب مهارة فائقة . وشاهدت آثاراً عميقه جداً حفرت في هذه المنطقة ، وفي مناطق أخرى ، ولم يخرج منها ماء . والقاعدة الاساسية المتبرعة هي انه كلما اقترب من الجبال الغرانيتية ازداد الامل بالعنور على جدول الماء الجوفي .

يُستخرج الماء بالآلة خاصة لا تستعمل إلا في نجد وبلاد ما بين النهرين(العراق) وهي دولابان نُصبا عموديّاً : دولاب كبير فوق وسط البُر ، اسمه المَحَالَة ،

يحيط به حبل غليظ اسمه الرشاء (*)، مربوط بدلٰو كبير من جلد الجمال ،
 والدولاب الآخر صغير اسطواني الشكل عند فوهه البئر بالضبط ، اسمه الدراج ،
 يحيط به حبل مربوط بفوهة الدلو المصنوعة من بلعوم طويل . وطرفها هذين الحبلين -
 أغلاظهما مجدهل من جلد جمل صغير ، والآخر مجدهل من ورق النخل -
 مربوطان بسرج صغير مصنوع لهذه الغاية ، يثبت على سمام جمل ويُساق الجمل
 نزولاً في منحدر فيرتفع الدلو الثقيل ، وما ان يعلو بواسطة الحبل الملتَّف حول
 المحالة حتى ينصب الماء من البلعوم الضيق المنحني فوق الاسطوانة ، في حوض
 مسطح ومنخفض متبنٍ بحجارة قرب البئر . وبواسطة جذوع نخل مجوفة تجري
 المياه من هذا الحوض الى بركة تشكّل خزانًا كبيراً في وسط الحديقة ، توزع
 المياه منه في اقنية على اشجار البستان ومزروعاته وفقاً لرغبة المالك . وهذا الخزان
 يملاً دائماً وتستخدم النساء ماءه للغسل ، ويستخدمه الرجال للوضوء الذي فرضه
 الاسلام . وتحيط به الكروم والأشجار المشمرة على اختلاف أنواعها فتجعل منه مكاناً
 رطباً منعشًا يزيد في جمال البستان وراحتها . والبساتين تكاد تكون المصدر الوحيد
 لعيش الاهلين فيعنون بها كثيراً .

وبالاضافة الى التخيل الذي يتواافق وتربة الصحراء يزرع السكان الاشجار
 المشمرة التي تنبت في المناطق ذات المناخ المشابه ، ولكنها تزرع بكميات قليلة
 بسبب قلة المياه وصعوبة استخراجها من الآبار العميقه وكثرة تكاليفها . وهذه
 الشمار لا تنضج عادة بل توكل فجّة لان العرب مولعون بالفاكهه الفجة وقليلو
 الصبر على انتظار نضجها (!)

وزراعة الحضار هنا تتفوق كثيراً على زراعتها التي شاهدتها في القرى الأخرى
 من الصحراوة ، وانه بالذكـر منها اليقطين الكبير الحجم ، والقرع والبطيخ
 بمختلف انواعه . وهم يحتفظون بكميات كبيرة ل أيام الشتاء . وكذلك يزرع في

(*) - الرشاء : جمعها أرشية ، هي حبل الدلو ويقال أيضاً الترشاء .

هذه البساتين القمح والذرة . والاغنياء يزرون ا ايضا البرسيم علماً لخليهم . وتزرع الذرة في السهول المفتوحة خارج البلدة وتسقي بمياه الري ، وبالمطر احياناً .

وفي السنين الجيدة يكاد المحصول يسد حاجة المقيمين في البلدة وحاجة بد واحوار . واذا قحط الموسم جلبوا مؤنهم من العراق ، من مشهد علي وكربالاء والأنبار ، ومنها تستورد نجد اكثرا حاجتها من الارز . والذرة المزروعة هنا تُفضل على المجلوبة من العراق بسبب جودتها وامتلائها . واسعارها تفوق اسعار الذرة المستوردة . والشاعر هنا صنفه ممتاز يستعمل غالباً ، كما في نجد ، لصنع الخبز .

ان بني تميم المقيمين في هذه الديار معروفون بنشاطهم ومهاراتهم في الزراعة . ولا يتعاطون سواها إلا ما ندر . والشمر قوم نشيطون جداً يملكون للتجارة والغزو ، وينظر اليهم يعكس ما يُنظر الى سواهم من الحاضر ، اي انهم يفوقون اخوانهم البدو شجاعةً ومهارة في فن استعمال السلاح . ولا ريب في ان ابن الرشيد يدين لهم بجمع انتصاراته على جيرانهم اكثر مما يدين بها للبدو .

عندما يقرر الشيخ غزوَ قبيلةٍ ما يدعوه اليه اولاً ابناء القرى فرداً فرداً ، وهؤلاء مضطرون في غالب الاحيان للانضمام اليه . وهم يستخدمون خيولهم ، او جمالهم الخاصة ، وطوال مدة الحملة يقدمون المؤن والذخائر بما يملكون (*). وهم يؤلفون القوة الاساسية في الجيش . وبعدهم يدعو الشيخُ البدَّ للتجمُّع في زمان ومكان يحددهما لهم كي يشتراكوا في الغزوة . ويلبي هؤلاء عديدين ، لعدم انشغالهم في اكثرا الالوانات بامور اخرى . ويكونون احتياطيين لا يعتمد عليهم في المعارك إلا قليلاً .

وبعد انتهاء الغزوة ينال كل من اشترك فيها ما يقرره الشيخ له من مال او

(*) - هذه العادة كانت سارية في كثير من البلدان ، نذكر منها لبنان في المهددين المعنوي والشهابي ، لقاء حماية الأمير للناس .

غنائم . الا انهم يتذمرون من ان شيوخهم يهملون في هذه الحالات العمل بتعاليم القرآن (الكريم) والعادات والتقاليد .

ان ابناء المدن يُفضّلُون على البدو حتى في المشاريع السلمية : فقوافل الحجاج العراقيين والفرس التي تسير من مشهد علي الى مكة وتعود منها بعد اداء فريضة الحج يرئسها احد ابناء عائلة الشيخ ، ويقودها ابناء مدن شمر ، في حين ان البدو الذين يلتحقون بها عددهم قليل جدا .

غير أن سكان المدن يرون من مصلحتهم الحفاظ على علاقتهم طيبة بجيابهم البدو لأن بعضهم يحتاج إلى عدد كبير من الأبل في أعمالهم ، ولكنهم لا يستطيعون البقاء على هذا العدد الكبير من الماشية في قراهم الصحراوية الفقيرة فيكافرون البدو بها في المدة التي لا يستخدمونها فيها . ولا كان الجمل الحيوان الوحيد الذي يستخدمونه في ري مزارعهم وجب عليهم الاحتفاظ دائمًا بجمل أو أكثر بحسب مساحة البساتين ، ويبدلون به جملًا آخر بعد انتهاء ثلاثة أشهر على استخدامه لانه لا يقوى على العمل المتعب الذي يقوم به في الري أكثر من هذه المدة .

والقرويون الذين لا طاقة لهم بشراء جمل للري يستأجرونه من البدو لثلاثة أشهر ، والبدو يقبضون بدل إيجار الجمال مقابل عنايتهم بها ورعايتها مع قطعائهم مبلغًا من المال . وفي كثير من الأحيان يأخذون كمية من الذرة والتمر . وبهذا يدوم الاتصال والعلاقة الوثيقة القائمة على النفع المتتبادل بين فتى ابناء جبل شمر ، مما ساعد كثيراً على تنمية قوة هذه القبيلة .

ولا ريب عندي في ان شمر من اعظم وأشد القبائل في بلاد العرب . ونفوذه يزداد سنة بعد سنة ، فمن القصيم الى حوران ، ومن ديار ابن سعود في الشرق من نجد ، الى جبال الحجاز ، خضع العرب الرجل لابن الرشيد وأطاعوه ، وأدوا له ، لا لسواه ، الزكاة . ومن بعيد وقرب يأتي البدو وشيوخهم الى محكمته

متقاضين اليه في نزاعاتهم فيفضلها لهم هو وقضيه ، وأثناء اقامي هنا كان عبد الله (ابن الرشيد) الامير الاربجي يستضيف مائتي شخص تقربيا جاؤه من جميع الانحاء محتكمين اليه وهم يتظرون صدور الحكم في قضاياهم ، او لقضاء حاجات اخرى .

وحاشية ابن الرشيد مايتها شخص اكثربن من الزوج المُعْتَقِين ومن المصرىين الذين تختلفوا من جيش ابراهيم باشا (٣٠) ، وهم ذوو اجساد قوية يتقنون استخدام السلاح ، وهم خبرة بالحرب ، ويطعون سيدهم طاعة عبياء . وبهذه الحاشية التي هي حرس عبد الله بن الرشيد ، وبنفوذه الشخصي ، صارت لهذا الزعيم قوته الالزية لتنفيذ اوامره واحكامه ، ولعاقبة من لا يتمثل نواهيه . ولقد رأيت بعض شيوخ البدو مسجونين في قصره لرفضهم تأدية الزكاة . ورأيت واحدا من حائل قطعت يداه اذ شُلِّك فيه بأنه يتامر على آل الرشيد . وكذلك شاهدت مراراً الشيخ القاضي يعاقب رعاياه بضرب العصا على اخطاء ارتكبوها . وأروي هذا لاظهر الفارق الكبير بين سلطة شيخ شمر على قومه وسلطة شيخ القبائل الاخرى على رعاياهم . فهؤلاء الشيوخ لا سلطان لهم على اوضاع من في القبيلة ، ولا يستطيعون تنفيذ ما يقررونه بسوى فضاحتهم وقوة إقناعهم وبما اوجده لهم صفاتهم الشخصية وأفضالهم من نفوذ .

قال لي ابناء حائل إن عبد الله بن الرشيد حكم قبيلة الشمر عشر سنوات تقريبا وكان صالح بن علي ، سلفه وابن عمه ، قد نفاه خوفا من نفوذه واعتبار الناس له ، فلجأ عبد الله الى الرياض ، التي صارت عاصمة نجد بعد تدمير الدرعية (٣١) وأقام فيها الامراء الوهابيون من آل سعود ، وحاكمهم آنذاك الامير العاشر الحظ تركي بن سعود والد فيصل حاكم نجد الحالى ، فانضم عبد الله الى حملة قام بها فيصل على ضواحي الأحساء ، وفيما هم في الغزو جاءهم نبا بمقتل الامير تركي ، قتله ابن عمه مشاري وأعلن نفسه حاكماً بعده على نجد ، واحتل قصره وطرد زوجاته ونساءه وجميع من فيه . فكتم الرجالان (فيصل السعود وعبد الله

الرشيد) النبأ وأسرعا في العودة الى الرياض فاحتلاها بعد معركة قصيرة بمنطقة استنبطها عبد الله ، وأخذ مشاري اسيرا وأعلم ، ونودي من على مئذنة الجامع بفيصل آل سعود حاكما على نجد ، وبايده السكان .

وبعد استيلائه على الحكم خلع فيصل "صالحاً بن علي وأرجع عبد الله شيخاً على شمر ، تقديرا منه لبراعته وحكمته في إنجاح العملية كلها . ولا لم يكن لدى فيصل قوى كافية لدعم هذا التعيين فان عبد الله رجع الى بلده وحيدا ، متوكلا على مؤهلاته الشخصية وعلى تقدير مواطنه له ، ليتأزل صالحاً ابن عمه ويتصر عليه . ولقد عانى عبد الله مصاعب جمة في ذلك ووصف بعضها في شعر جميل نظمه فيها ، فإنه اختباً نهارا في سلسلة أجاً ونزل ليلا الى بلدي حائل وقفار ، الى منازل اصدقائه وانصاره الذين كانوا قد أعدوا جماعاتهم للثورة . وما أن تجمعت معه عدد كاف من الرجال حتى جاءه خصميه وقهريه ، فانقضت القبيلة عن صالح وفر هذا مع اخوته الثلاثة الى المدينة (المورة) لعله يلقى مساعدة واليها التركي ، غير ان عبيداً اخا عبد الله ، لحق بهم الى قرية صغيرة تدعى قصر السليمي وقتها ولم ينج منه الا احدهم عيسى فتابع هربه الى المدينة حيث استقبله واليها التركي ولا طفه ووعده بجنود اترالك لاستعادة ارضه .

وفي تلك الاثناء عينها اوفرد عبد الله بن الرشيد اخاه عبيداً لفاوضة الوالي ومعه عرض يفوق عرض مناؤه فأقره الوالي شيخاً على جبل شمر . وقيل لي ان العرض يومها كان ألفين من الابل ومبليغاً من المال وهدايا اخرى . واحتفظ الاتراك بعيسى «ضيفا» رهينة حتى ينجز عبد الله وعده . ومنذ ذلك اليوم استقر عبد الله حاكما على بلاده دون منازع حتى وفاته اجله في صيف ١٨٤٧ (*)

وخلف عبد الله في الحكم ولداته طلال ومتعب . وهمما اليوم (***) الحاكمان معا .

(*) توفي عبد الله آل الرشيد في شهر جمادي الاولى ١٢٦٣ هـ اي نوار (مايو) ١٨٤٧ .

(***) - كتب فالين وصف رحلته هذه التي قام بها سنة ١٨٤٥ ، بعد أن رحل رحلته الأخرى سنة

ويعرفان ، وإن اسميا ، بزعامة آل سعود المقيمين في الرياض ، ويقولان أسماء يوالياً لهم ، ولكنهما لا يقيمان أي دليل على ذلك إلا بارسلهما أحياناً متطوعين لمساعدتهم في حروبهم ، وبعض الجزية التي يجزيها الشمر من الحجاج الفرس البائسين الطارقين ديارهم وهم في سبيلهم إلى مكة . وفي أوقات أخرى يرسل الشمر إلى آل سعود جزءاً من غنائم غزواهم المتتابعة لقبائل والقرى التي لم تدخل اتحادهم (٣٢)

وقد فقد آخر الأمراء السعوديين كثيراً من الهمة واللحم اللذين تميز بهما أمراؤهم الأولون . ففيصل ، شيخ نجد الحالي وإمام الوهابيين جميماً ، يحترمه الجميع لتقييده الوثيق بدينه ، ويجربونه لطبعه السمح الرحيم . إلا أن الكثرين يعدون عبد الله الحاكم الفعلي لنجد .

ووأقع ان فطانة عبد الله ونشاطه ، وبسالة أخيه وقادمه ، أعطت الشمر المكانة التي لهم الآن حتى استطاعوا ، على قلة عاددهم نسبياً ، أن يتغلبوا على البدو والقرى في الجوار . وبالاسلاط التي غنموها من غزواهم ، مضافة إلى أملاك صالح بن علي وأعوانه التي صادروها ، صارت قبيلتهم من أعظم القبائل ونأشدّها نفوذاً .

لكن القوة والغنى لم يكونا ، وحدهما ، سبباً في نفوذ عبد الله بين العرب ، بل كان ذلك لصفاته الشخصية الفريدة وشجاعته ورجلولته وعدله ، وعلى قساوته أحياناً ، ولحفظته على وعده وعهده — لم يعرف عنه أنه نكث وعداً اعطاه — ولحسن ضيافته وكرمه على الفقير حتى صار معروفاً عنه أنه لا يطرق سائل بابه إلا ساعده . وهذه الفضائل — وهي رأس فضائل البدو — كان عبد الله يتحلى بها . وعلى الرغم من هذا كله كان له خصوم كثيرون من الذين نجوا من عائلة سلفه صالح ابن علي ، ومن الحعاشرة . وقد سمعتهم يشكرون من حكمه المستبد ومن قساوته أخيه عبيدين وظلمه .

١٨٤٨ ، فقوله « وَهُمَا الْيَوْمُ » يعني يوم كتابته وصف الرحلة لا يوم قيامه بها .

ويمدح العرب الحاكمين الحالين (*)، طللاًً ومتعباً، بأنهما يتحليان بصفات والدهما وشمائله ، على ان طباعهما انعم والطف . واني لاخشى ان يعجزا بعد وفاة عمهمما عبيد عن وقف حركة عدم الرضى الآخنة بالغليان ضدّهما .

ومهما تكن النتيجة فمن المؤكد انه قبل عهد عبد الله لم يستتب أمر للأفراد ولا للاملاك ، ولا يزال بعض المعمرين يذكرون اياماً لم يكن احد يجرؤ فيها على السفر من حائل الى قفار ان لم يرافقه عشرة او عشرة مسلحا . ومقار على ثلاثة ساعات فقط من حائل مشيت اليها وحيدا . والسائل بين السكان الان ان اي فرد يستطيع السفر في هذه الارض من طرف الى آخر حاملا ذهبه فوق رأسه دون ان يعترضه معترض . وقيل لي ايضا ان القرويين كانوا منشقين في السابق جماعات متنازعة يسلب بعضها بعضا وينهبون في اية مناسبة .

ومنذ بدء الدعوة الوهابية والشمر ابطالها وأتباعها المخلصون الغيارى ، عملوا الكثير لنشرها في شبه الجزيرة ، وعملوا لدعمها ايام خفت حمية المتمميين اليها . عملوا مقاتلين اشداء في جيوش السعوديين ، ومحاربين لحسابهم الخاص . ومع ان الحماسة الصابحة ، الى الصرامة القاسية التي اعتمدتها اوائل المبشرین بالدعوه ، وحملاتها في نشر تعاليمها الدقيقة ، تراخت بعض الشيء ، وازال مرور الزمان الاندفاع والتطرف اللذين يرافقان نشر مذهب جديد ، فالسكان هنا – في المنطقة التي ظهرت الوهابية فيها – لا يزالون يتمسكون بالدعوة بدقة ، ولا سيما في الشرق من نجد حيث ديار آل سعود .

وقيل لي ان الشعب مخلص لعقائد الدين وتعاليمه ، يتقييد بها ويؤمن بصحتها ايماناً لا نكوص عنه ، وان الاشخاص يمثلون لفريائضه الصارمة المتعلقة بالطقوس الظاهرة ، وبالحياة والعادات البسيطة التي نصت عليها هذه الفريائض .

في ايام الوهابيين الاولين كان تدخين التبغ ، مثلاً، ممنوعا منعا باتا بحججه انه

(*) - انظر الماشية الثانية في الصفحة ١٠٢ .

نبت ينمو ببول ابليس (كذا!) ، وكان لبس الحرير محرّما على الرجال ولا يسمح للنساء بارتدائه إلا في حالات قليلة . وكان الشعر والموسيقى واللهو من المحرّمات . وكانوا يقولون ببعض مواقع في أكل الارز بحججة انه لم يكن من طعام العرب في ايام الرسول (صلعم) وان الرسول لم يأكله . وهم ينصحون باكل الشعير تفضيلا على القمح ، وبانه افضل غذاء للوهابي الصادق . وكانت اتصالات الصداقة بال المسلمين الآخرين تعد غير مشروعة . وكان واجباً دينياً على الوهابيين ان يحاربوا كل من يرفض جحود عبادة الأولياء الخ ... واحبرني اهل حائل وهم يتهمون بان اتباع ابن سعود لا يزالون يخضعون لهذه القيود ، ولوانع اخرى ، في حين أنها زالت او عدلت عند عرب شمر الذين عادت عليهم علاقتهم المتواصلة بالعراق والنجاشي ومصر والغرباء ومن زاروا ارضهم بحرية أكثر ، فصار احدهم يؤدي العبادة بثوب نصف حريري ، او يرتدي في ساعات اخرى ثوباً حريريَا ، إلا ان صلواته وهو يرتدي الحرير غير مقبولة . وصار ايضاً يغض النظر عن تدخين التبغ ، وقد اخذ هذا التدخين بالشروع تدريجياً ، إلا أن مدخنه مكرور ولا يسمح له بان يقوم بدور الإمام في المصلين . و اكثر الاهلين يحرّمون تدخين التبغ . واذكر ان شمرّياً قال لي انه لا يحمل جمله نبتة من التبغ الكريه وإنْ أُعطي حِملاً من الذهب .

ان العقيدتين الرئيسيتين في المذهب الوهابي ، اللتين يعمل بهما عرب الشمر ، هما عدم الاعتراف بوساطة (يريد شفاعة) الأولياء ، وحتى بوساطة الرسول ، بين الله والانسان ، ووجوب الصلاة علينا في المسجد مع الجماعة ، لا بمعزل عن الناس في المنزل كما هي العادة عند المسلمين الآخرين . وهذه تجده في كل حي من الاحياء مسجداً صغيراً يجتمع فيه الناس للعبادة الجماعية في الصلوات الخمس . وان في حائل - بالإضافة الى تلك المساجد - جاماً كبيراً في قصر ابن الرشيد يلتقي فيه المصلون كلهم لتأدية صلاة الجمعة ولسماع خطبتها .

والنساء يؤدين صلاة الجمعة مصطفات خلف المصلين . ومن اللائق ان

يؤدين صلاة الجمعة وحدهن في المنازل . والمرأة الوهابية دقيقة في تأدبة فرائض الدين . وعرفتُ ان اكثرا النساء في جبل شمر والجوف يصلين الصلوات الخمس في مواقفها بانصباط شديد ، ولكنني لم أر في المناطق العربية الأخرى امرأة تصلي في البيت او المسجد .

والامراء الوهابيون شديدو العناية بجمع الناس لصلاة الجمعة . وحدث مرارا في حائل ان عبد الله بن الرشيد عاقب كثيرين تحالفوا عن هذه الصلاة عقاباً أليما .

وفي الجامع الكبير بحائل يتلو الصلاة إمامٌ يعينه الامير ويؤدي له مرتبًا . وهو في الغالب رجل تلقى ثقافته في المدينة (المورة) أو في القاهرة أو في الرياض - وتشمل هذه الثقافة حفظ القرآن (ال الكريم) بكامله ، او حفظ جزء منه ، ومعرفة شعائر الاسلام وطرق القيام بها وهي قليلة . هذا بالإضافة الى بعض المواضيع الدينية في الشرع والاحاديث النبوية التي وضعها احمد الحنفي في قوانين ، وهو المؤسس الاول للوهابية . وينجح على الامام ايضا ان يكون متعمقاً حذقاً في المواضيع الدينية التي تثير الجدل بين الوهابيين وسوائهم من المسلمين ، وقد رأينا ان عددها اخذ يقل . وما ذكرته هو ثقافة الامام كلها . وعبئاً حاولت البحث معه في مواضيع اخرى تتعلق بالادب العربي والصرف والنحو وتفسير بعض التغيرات الغامضة التي يستعملها البدو فلم ازل منه جواباً .

ان القاضي في هذه الديار هو المثل الآخر للثقافة الاسلامية ، ويعينه الامير ايضا في منصبه . ويتلقي علومه في احدى المدن الكبيرة المجاورة ، على علماء يدرّسونه فقه المذهب الحنفي ، الا انه كرميه الإمام يجهل المواضيع الخارجية عن مهماته .

وذكرت في موضع آخر ان الواقع يسمى خطيباً . اما الامامة فوقف على آل سعود ، بوصفهم امراء الوهابيين روحياً و زمنياً . ولقب «الشيخ» الذي يطلق في جميع الاراضي العربية على علماء الدين ورجاله لا يستعمل بمعناه بين الوهابيين والعرب

هنا . فهؤلاء يُسمون بـ «المعبدين» . (ناصري الدين) .

وندر ان ترى غير الخطيب والقاضي رجال علم في جبل شمر . والاهاون في الغالب اقل علما بالدين واصوله من ابناء البلاد التركية – العربية والفارسية ، ولكن كثيرين منهم يعرفون القراءة والكتابة .

وليس في البلاد مدارس عامة او خاصة . ولا تلقى في المساجد اية خطبة ذات اهمية . والابناء يأخذون عن آبائهم مبادئ اصول الدين . ويتعلمون في السنوات الاولى قراءة القرآن (الكريم) وقراءة الصلوات . واكثر معلوماتهم الاخرى يحصلون عليها شفويًا من المعمّرين الذين لا يُبعد الصغار عنهم .

وفي بدء عيشي بين العرب الرحّل دهشت كثيرا لرؤيتي الصغار الذين تراوح اعمارهم بين ثلات واثنتي عشرة سنة يرافقون المسنين ، ويسمح لهم بمبادلةتهم الحديث ، ويستشارون احيانا في مواضيع تفرق مستواهم فيُصغى الى اقوالهم . ويعيش الصغار مع اهلهم في محبة ولفة . ولم ار في الصحراء تلك المشاهد الكريمة المألوفة بمصر ، مشهد والد حائق يضرب ابنه ، ولا رأيت الاستعباد الذي يلقاه صغار الاتراك اذ لا يسمح لهم بالجلوس او الكلام في حضرة آبائهم المتعرجفين . ولم ار في العالم كله اولادا اكثرا تعقلوا واحسن خلقا واكثر طاعة لآبائهم من ابناء البدوي .

وعلى تحامل المسلمين ، والوهابيين خاصة ، على الشعر ، فالشعر في جبل شمر هو في بيته . والناس رجالا ونساء ترجله ، ويحفظ الصغير والكبير قصائد كثيرة . وامراء آل الرشيد شعراء كامرىء القيس ، الشاعر الشهير الذي كان ملكا على هذه الارض في القديم .

والكتب – باستثناء القرآن (الكريم) – قليلة جدا هنا ، مثل قلتها في الصحراء ، ولا يملكون سوى القاضي وعدد ضئيل من الناس . وكتب القاضي تتعلق كلها بالفقه ، وهو حريص عليها . وقد أكّد لي انه اشتراها من مشهد علي . ولم اقع

بينها على اي كتاب في التاريخ . وبالاضافة الى القرآن (الكريم) صادفت احيانا في بلاد الوهابيين مؤلفات وضعها علماء من سلالة مؤسس الوهابية في مواضيع دينية عن مذهبهم . و هو لاء الرجال يعرفهم اتباعهم باسم « اولاد الشيخ » و يعيش اكثراهم في الرياض حيث يلقون الخطب في المساجد بمختلف المواضيع الدينية .

ورُوي لي ان مُحَمَّداً بن عبد الوهاب وضع كثيرا من المؤلفات . من اهمها : « كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد» و « كتاب الكبائر» « كتاب كشف الشبهات» و « كتاب بسانين الاتقيناء» و « كتاب مجموع الحديث على ابواب الفقه» (٣٣) ولكنني لم استطع الحصول على سوى « كتاب كشف الشبهات» و ظهر لي منه ان ليس في كتب العلماء الوهابيين آراء جديدة (؟) او أن فيها افكارا قليلة . والكتاب المذكور الذي اطلعت عليه وردت فيه آيات من القرآن الكريم - في عشرين الى اربعين صفحة - للاثبات ان شفاعة الاولياء التي ادخلت مع الزمان في الاسلام - والاسلام في اصله توحيدى - انما هي مخالفة للشرع الشريف ومكر و牠 .

ولمَّا حَمِدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَابِ (رَحْمَهُ اللَّهُ) أَرْبَعَةَ ابْنَاءَهُمْ : حَسِينَ وَعَلِيًّا وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ . وَقَدْ أُرْسِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي صُغْرَتِهِ مَعَ عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ أَخْيَهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ لِتَلَقَّى الْعِلْمَ فِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ . وَكَانَ لَا يَزَالُ فِيهَا سَنَةَ ١٨٤٩ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ فِي الْفَقْهِ عَلَى الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ . وَفِي تَالِكَ السَّنَةِ أُذْنَ لِعَبْدِ اللَّطِيفِ بِالْمُوْدَعَةِ إِلَى وَطَنِهِ ثُمَّ عَيْنَ قَاضِيَا عَلَى مَنْطَقَةِ الْأَحْسَاءِ . وَقَيْلَ لِي أَنَّ وَاحِدًا مِنْ أَهْفَادِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ حَسِينٍ هُوَ الْيَوْمُ قَاضِيُّ الْرِّيَاضِ .

ان اهم قبائل شمر ، وأشدتها بأسا ، الثالثان : العبدة والجعفر . وشيوخ آل الرشيد من الاولى . وقيل لي ان اكثرا هذه القبائل يقطنون في مقاطعة عسير واسمهم هناك عبيدة . ومنهم «السويد» يقطنون المنطقة الجبلية ومشهورون بسمائهم . ومنهم «ستجارة» و «أسلم» و «تومان» و «ارمال» الذين قلنا ان اكثرا سكان

جَبَّةَهُمْ . وهنالك ايضاً كثيرون من «مُطَّير» و«سُبَّيع» وقبائل اخرى في نجد الشرقي يعيشون مختلطين بالشمر . ويؤكد بعضهم ان الشمر الذين يسكنون منطقة الجبلين هم من سلالة القبيلة وان «الصفوق» الضاربين في العراق هم اشرف افخاذها وأشدتهم بأساً . والى «الصفوق» يتعمى أشهر ابطال الازمنة الحديثة ، وهم «الجرباء» تتفنّى بوقعهم الحرية وفرسيتهم الشعراً، والقصائد فيهم حية في ذاكرة الناس . وروي لي ان «الصفوق» هاجروا في اول ايام الوهابية الى العراق وألّفوا قبيلة شديدة البأس يخشاها والي بغداد التركى خشية كبرى .

والزكاريط عشيرة اخرى من الشمر قوية وعظيمة ، هاجرت هي ايضاً ديارها الى جوار كربلاء . ولا اعرف غير هاتين العشيرتين غادرتا بكاملهما ارض نجد .

اما الافراد والاسر فيها جرون يومياً من هنا الى العراق ويلتحقون بانساقهم ويشاركونهم عيش البداوة على دجلة والفرات ، وقد يستوطنون القرى . ومن الغريب ان هؤلاء الذين يهاجرون لا يذهبون الى سوريا او مصر . ولم يطرق سمعي ان عرباً من شمر نزحوا اليهما .

ان ما بين النهرين (العراق) له موقع جغرافي يميزه عن الاراضي الزراعية المحيطة ببلاد العرب ، ويجعل التبادل التجاري والاتصال بينه وبين سكان الجبلين (أجاً وسلمى) امراً طبيعياً . فالبدو مضطرون لرعى قطعانهم الكثيرة في الدهماء ، ولا غنى لهم عن انتجاعها ، ويسيرون شمالاً في مراعيها الحصبة متقللين من مكان الى آخر حتى يصلوا تدريجاً الى ما بين النهرين ، البلاد الكثيرة الكلأ والتي تستهويهم ، فيضربون خيامهم ولا يعودون يفكرون بالعود الى اراضيهم الفقيرة في نجد .

ان العراق اقرب سوق لشمر للغذاء والمؤن ، وارخص الاسواق في سعي البخلاف . وفيه يستطيع البدو بيع جمالهم التي يستغنون عنها والاستبدال بها سلعاً

وكاليات قد يحتاجون إليها . والعادة أن تسير إلى ما بين النهرين قوافل كبيرة من الشمر أربع مرات في السنة ولكن جماعات صغيرة منهم تsofar كل يوم تقريباً .

وفي وصفي الرحلة التي قمت بها من جبل شمر إلى مشهد على اشرت إلى الدربين المطروقين ، وهما على صعوبتهما وقلة الأمان فيها اقصر وأسلك من الطرق المؤدية إلى سوريا ومصر .

اما الحجاز والنواحي الشرقية من نجد - وهي أقرب وأسهل سفراً - ففقيرة جداً ولا تستهوي المهاجرين على الرغم من ان الاماكن المقدسة في الحجاز كانت ، ولا تزال ، تستدرج الناس لزيارتها سنوياً . ولكننا نرى عبر التاريخ القديم ان مختلف الذين تعاقبوا على نزول هذه الارض او على تملكها ، أتوا دائماً بطريق الحجاز ، وبعد ان مكثوا مدة ، طويلة او قصيرة ، في الجبالين تابعوا سيرهم الى الشمال . ونرى ايضاً ان القبائل القحطانية اتجهت الى ما بين النهرين ، وتوجهت العدنانية الى سوريا ومصر .

ولو ان العرب شعب ملاّح لسهلت عليه المحافظة على اتصال بحري دائم بالبلدين الغنيين ، مصر والهند ، بواسطة مرفأين ، اوهما «الوجه» ذو الميناء الجيد على البحر الاحمر ، والآخر «القطيف» على الخليج الفارسي (٢٥) . واذا تم في المستقبل شق مضيق السويس ، وأريد فتح طريق من الهند الى اوروبا عبر بلاد العرب ، فالطريق الطبيعي يكون بعد سكة حديدية بين الميناءين المذكورين ، عبر ارض مسطحة كأرض الحجرة ، تقطعها الجمال في ثمانية عشر يوماً .

وعلى رغم من عجز الملاحة العربية فهناك اتصال بحري ضعيف لم يتوقف بين الهند ومصر والبصرة وجُدّة .

ويكاد عرب الشمر لا يتصلون بسوريا . وليس بين سكان حائل الذين اتوا من الخارج سوري واحد .

ان العلاقتين التي بدأت مؤخراً بين هذه المنطقة ومصر كان من اسبابها الحملات

التي شنها محمد علي (باشا) على الوهابيين (٣٤) وولع والي مصر الحالي عباس باشا بخيول شمّر . وفي رأيي ان هذه الخيول تستحق ان توصف بأنها اجمل الخيول العربية الاصلية ، واسرعها . وهي هنا اكثُر منها في اية منطقة اخرى زرتها من بلاد العرب . واكثُر الاثرياء يملكون عدداً ، صغيراً او كبيراً ، منها ، وقيل لي ان عبد الله (ابن الرشيد) يملك وحده ما يتيح حصان موزعة في مختلف قرى امارته . ومن عادته ان يرسل اثنين منها الى المدينة (المورة) سنوياً مع قافلة الحجاج هدية الى ولیها التركي ، ويرسل حصانين آخرين الى ولی مكة (المكرمة) . وقد يهدى ولی بغداد حصانين ايضاً .

وكان عباس (٣٥) يوفد في الاعوام الاخيرة بعثة سنوية تقريباً لشراء الخيل لاستطلاعه الكبير في القاهرة . وهناك عدد من الخيول تهدى الى امراء آل سعود ، او تُباع من بدؤ الحوار . وفيما عدا هذا العدد الضئيل من الخيل التي تستوردتها البلدان المجاورة لم اسمع بأن غيرها خرج من المنطقة .

أما الابل في الشمّر فمن نسل جيّد . ورغم ان ابل عُمان وشرق نجد تفوقها جودةً ، فهي تباع بكثرة في اسواق مكة والمدينة بموسم الحج . وثمن الجمل الواحد منها يتراوح بين عشرة واربعين دولاراً اسبانياً . والحصان سعره من عشرين دولاراً الى ثلاثة آلاف دولار .

ومع الخيول والابل تستخدم جماعة الشمّر الحمير في رحلاتِها التصويرية بين القرى . ولم أر بغلا واحداً . والثيران نادرة ، وان وجدت كانت هزيلة مثل ثيران الجوف . والخراف كثيرة وقد تختلط الغزلان بقطعاً منها وتترعى معها فتأنفها تدريجاً وتبعها وتعايشها .

أما الكلاب فمبالغة هنا ، ويُشَمَّر منها اكثُر من اي بلد اسلامي آخر زرتها . ولا اذكر اني صادفت كلباً في احدى قرى المنطقة . وهي هزيلة ، خائفة ، وطا شكل الحيوانات البرية في الصحراء المحيطة بالاماكن المأهولة ،

وكانها تريد مراقبة الانسان وتحس انها ستُقذف بالحجارة وتُطرد فيما اذا اقتربت منه . وقد يكون المذهب الحنفي اساسا في هذه الكراهية للكلاب فهو محروم حتى رؤية (?) الكلب لنجاسته .

ان الطيور الداجنة نادرة في القرى . ومثلها تندى الطيور البرية في الصحراء . ومن الدواجن لم اشاهد سوى الدجاج ، وهو من نوع جيد بعض الجودة . اما في القرى الاصغرى من الصحراء فلا اذكر اني رأيت اي نوع من الدواجن .

وتكثر الطريدة في الجبال الغرانيتية ، ولا سيما الماعز البري وحيوان صغير اسمه «وبر» ، (*) ، يصطادهما الاهلون ويأكلونهما . والحيوانات البرية الاخرى هي الصبع ونوعان من الذئاب هما الذئب والفهد ، والثعلب وابن آوى ، والاخيران نادران .

ان الاسود لا تصل الى هنا . وقيل لي انها قد تصطاد على ضفاف الفرات . وانا صادفت اسدآ في الصحراء على يومين الى الجنوب من مشهد علي .

والصلبة والشرارات تصطاد النعام في صحراء الدهماء ولا سيما في ضواحي الجوف . وتكثر الارانب في جميع انحاء هذه البقعة الرملية الفسيحة ، وكذلك تكثر الغزلان وبقر الوحش ، وجرذين ضخمة ونوع من السحالى الكبيرة . والبدو يأكلون جميع هذه الحيوانات .

ان السكان الحالين من مختلف القبائل التي نزلت هذه الديار يذكرون بني تعمير ، وبني سعاده ، او السعادة ، وبني فرير أو الفرير ، بأنها أقدم القبائل الرئيسية ولكنهم لا يعلمون اية منها سبقت الاخرى ، ولا متى وصلت ، وكم اقامت هنا . والاحاديث المقلولة لا تعلمونا عنها اية حقيقة تاريخية ، ولا ما اذا كانت اسماؤها هي اسماء قبائل ام اسماء افخاذ رئيسية منها مرت بالمنطقة ، كما هو الحال عند عشيرتي العبدة وآل الرشيد .

وبالاضافة الى هذه القبائل يعتقد الشمر الحاليون ان بني طيء وبني قيس وبني تميم وبني هلال هم من قدماء السكان . وبالرغم من قلة اشارة الكتاب العرب الى منطقة الجbelين ، وتضارب الآراء في ما نقلوه عنها ، وكون الاحاديث غير مرضية وغير كافية للكشف عن تاريخها القديم ، فاني محاول هنا ان اوجز الحقائق الرئيسية التي توصلت اليها :

ان بني تَعْمَر الذين يُعتبرون اقدم سكان المنطقة — وقد رُويت عنهم احاديث كثيرة — هم بدون شك ذلك الشعب الذي ذكره ريتور عن بوركهاردت باسم تمور TAMOUR وقال انهم قبيلة قديمة عظيمة في سوريا ونجد، يصبح ان تنسب اليهم آثار الآبار العميقه القديمه ، والابنية القديمه الأخرى المنتشرة ، هنا وهناك ، في بلاد العرب الشمالية والوسطى . واول مرة سمعت باسم هذه القبيلة في جُبَّة .

وابناء جُبَّة يعتقدون ان بلدتهم كانت ملك تَعْمَر قديما ، ويقولون انهم كانوا ينزلون في جبل ام سلمان . غير ان اهل جُبَّة واهل جبل الشمر لم يعتبروهم عمالة مرددة او اصحاب الآثار التي نجدها هنا .

ولم اجد لدى المؤلفين العرب ذكرا لاسم تَعْمَر . وكذلك لم يرد في كتاب العلامة كوسان دي پرسيشال (٢١) وهو الذي بحث وعمق اكثر من سواه في تاريخ العرب القديم . والتقاليد لم تذكر عن بني تَعْمَر سوى اسم شيخين من شيوخهم بما خضرا وتونس . ويبدو ان القصة التي يسطعنها سابقا عن ياقوت في كلامه على جبال طيء وسلمي والعوجاء ، تشير الى هجرة اولئك العمالقة الى هذه الديار ، خصوصا وانه قيل ان اخوة سلمي وزوجها لم يرجعوا الى بلادهم — وهي الحجاز في الارجح — بعد ثأرهم الدامي ، واتما ضربوا خيامهم في محله ، هي ولا ريب في جوار الجbelين . (انظر ص ٩٧)

ولا يصدق ان قوماً قديماً وشديدي الالس مثل هؤلاء ، نجدهم — في ما

شار اليهم به الكتاب العرب اشارات شحيحة - نازلين البحرين وعمان وسورية والحجاز وقرب جبل الشمر في تيماء وخمير والمدينة (المورة) - قلت : لا يصدق انهم لم يكونوا يملكون الجبلين ايضا . ومن العمالق كان «الجبابرة» (*) الذين يُعتبرون Enaukim الكتاب المقدس .

وسواء ، اكان بنو تَعْمَر عمالقة ام ان السوريين الذين استقى منهم بوركهادت معلوماته قد ظنوه كذلك - او ان التقليد قال انهم اقدم السكان الاصليين في هذه الديار - فباستطاعتنا الترجح انهم هم اوئل العمالق ، او انهم من نسلهم ، وان لم ترد كلمة «العمالق» بين اسماء القبائل القليلة في المؤلفات العربية .

وفيما يعرض تاريخ هؤلاء القوم ناقصاً ومحرفاً ، مثل تاريخ بلاد العرب في القديم ، نجد ايضاً ان الكتب العربية لا تشير اية اشارة إلى منطقة الجبلين في الزمان الذي سبق الميلاد ، حين بدأ العدنانيون بالهجرة من الحجاز إلى نجد ، ويحسب كوسان دي پرسيشال ان جدهم عدنان ولد حوالي سنة ١٣٠ ق.م.

ويقول الكتاب العرب ان جميع العدنانيين - باستثناء قريش في مكة - عاشوا عيش بدأوة وظلوا وحدهم يملكون نجداً إلى حين اخذت القبائل الفحطانية بالهجرة من اليمن إلى هذه الديار واستطاعت دفع العدنانيين تدريجياً شمالاً إلى ما بين النهرين وسورية .

وفي منتصف القرن الثالث نلقى بني أسد العدنانيين - ويظن ان جدهم هو أسد بن خزيمة المولود سنة ١٠١ م. - يقيمون في هذه المنطقة . ولا يذكر الشمريون بني أسد بين الذين سكنوا ديارهم في القديم . غير ان قبائل كثيرة كبني ربيع - وسمعت عرباً يقولون انهم يرجعون بنسبيهم اليهم - وكبني قيس وقيم وهلال الذين عرف عنهم انهم نزلوا الجبلين وتعاقبوا على امتلاك المنطقة ، كانوا من انباء بني أسد العدنانيين . والمؤلفون العرب يجمعون على ان بني اسد

(*) - كتبها فالين بالعربية .

ملكوا هذه الديار ايام هجرة بني طيء ، اول قبيلة قحطانية غادرت الحرف في اليمن ، بعد قليل من هجرة انبائهم بني أزد ، وقد يكون سبب هجرتهم مجاعة عضّتهم فأتوا الجبلين بين سنتي ٢٤٥ و ٢٥٠ م . واول محلّة نزلوها كانت « سميرة » في الجنوب الغربي من سلمى وأعلنوا الحرب على سكانها من بني أسد وغلبواهم واستولوا على الجبال المانعة المحببة وهي يومها اغنى ارض زراعية في المنطقة ، وافضلها في الارجح .

وعشيرة الفرير من طيء . والشمر يميلون إلى نسب جدودهم اليهم . واني استند على ياقوت بان الفرير من بني طيء . ولم اجد غيره قال هذا سوى ريت في كتابه « تاريخ الارض » نقلا عن « المشترك » ، الذي قال ان الفرير قوم اقاموا في أجأ .

ويقول ياقوت : ان الحُفَيْر « ماء بأجأ ، وهو لبني فرير من طيء »(*). وإذا لم يكن ثمة من اخطاء في المخطوطة التي رجعت اليها ، فاننا لا نستطيع اعطاء بني فرير نسبةً يزعمه لهم الشمر ، ولكن جل ما نستطيع قوله هو انهم ربما كانوا اول قبيلة من طيء سيطرت على هذه البلاد وسادت على سكانها السابقين .

وتکاثر المهاجرون القحطانيون تدريجياً وانتشروا في طول المنطقة وعرضها ، ويظهر انهم تمكنوا في آن وجيزة من السيطرة على القبائل العدنانية التي التقاها في وصوفهم ، فأخذ اسم بني أسد ينذر مع الايام في هذه الديار واضمحللت قبيلتهم ، وملكوا طيء - او : ورثت طيء على حد تعبير العرب - اراضي نجد المحيطة بالكرخ . وموضع الكرخ غير محقق . غير ان قبائل اخرى من سلالة العدنانيين واصلت العيش مطمئنة في اراضيها ، مقيمة علاقتين الصداقة ببني طيء . واعتقد ان الامر لا يصح ان يكون على غير هذا الوجه لأن الاجزاء الرئيسية الاخرى من نجد كانت ما زالت مقاماً للعدنانيين ، وكان بنو طيء اليمانيون

(*) - يقول فيه شاعرهم : ان الحُفَيْر ماءه زلال آجره تراوح الرجال

مهاجرين اغراً بـ ينزلون بينهم .

ولما تزايد السكان واضطربت القبائل المترابطة لأن تنزع عن الديار كان العدنانيون اوائل الرحيلين . وهكذا نجد بني تميم قبل الاسلام يتنقلون في الدهنهاء التي هي بين الكوفة والبصرة واليمامه . ثم تناولت الهجرات فانتقلوا إلى داخل ما بين النهرين (العراق) حيث تابع بعضهم عيش البداوة ، وانتهى أكثرهم إلى القرى . ولا زال اليوم نصادف من تبقى من سلالتهم .

ولما غادر بني تميم مراعي الدهنهاء خلفهم فيها بني طيء .

وامتد بني طيء من الجهة الأخرى إلى وادي القرى وملكوا أرض غطفان . وهكذا ملكوا في صدر الاسلام الارضي التي يملكونها اليوم الشمرّ .

ان المنطقة الوحيدة في هذا الجوار ، التي لم يملكونها بني طيء والقبائل الأخرى في الجبلين هي الجحوف . ويبدو ان الجميع تفاصلا منها وربما كان ان العشير والعائلات المهاجرة إلى سوريا ذهبت إليها بطريق الحيرة وما بين النهرين ، وصارت طريق بني عقيل اليوم في اسفارهم وهجراتهم من القصيم إلى سوريا . اما الذين نزحوا من هذه الارضي إلى مصر فطرقوا درب « حجر » و « تبوك » على طول السفوح الشرقية من الجبال التي تفصل المنطقة عن البحر .

وكان بني ساعدة من آخر عشير طيء التي سادت المنطقة قبل انتشار الدين الجديد . ويقول القلقشندي ان بني ساعدة بطن من غزية من عشيرة هاني من طيء ، ذكرهم الحمداني في حلقاء آل الامير السوري « فضل ». الذي نعلم ان نسبة يعود إلى هاني نفسه . ويقول كوسان دي پرسيشال ان عشيرة « حيا » من انسباء غزية كانت في صدر الاسلام ترأس جميع بني طيء . ولما بدأ المتصristsون نشر تعاليم الدين الجديد في البلاد التي تجاوزت حدود صحرائهم انضمت إلى جيوشهم قبائل من طيء ومن البدو الآخرين وتفرقوا في أماكن مختلفة . ويظهر ان قسماً كبيراً من طيء بقوا في شمالي بلاد العرب لانه يروى عنهم انهم سادوا في

القرنين السادس والسابع الهجريين على بدو سوريا والعراق . ولا نزال نصادف في العراق بعض بقايا سلالتهم . ولعل قسماً صغيراً منهم يقى في ارض الجبلين ، فالتقاليد تقول ان الشمرّ لما جاؤوا هذه الديار التقاواني طيء وبني قيس . ويروي الشمرّ انهم نزحوا من منازلهم في « عسير » ، باليمن ، بسبب مجاعة وسلكوا درب عينها التي سارت عليها طيء والبدو اليمانيون ، وانهم وصلوا إلى هذه الديار في منتصف القرن الثاني للهجرة . ولما كان سكان الجبلين آثذ قد ضعفوا بسبب نزوح الكثرين منهم فانهم عجزوا عن ردّ غزوات الشمرّ ، ويؤكد هؤلاء (الشمرّ) انهم حاربوا سكان الجبلين وأثبتوا انهم أندادهم بأساً ، فأجيز لهم التزول بينهم وأقاموا ثلاثة سنّة اصدقاء معهم ، ولكن التزاعات ما لبثت ان نشببت بينهم واستحالت إلى حرب انتصر فيها الشمرّ ، فطرد بنو طيء وقيس ، او انهم اضطروا مثل تميم للتزوح إلى الدهنهاء وما بين النهرين ، وبقى الشمرّ وحدهم في الجبلين .

هذا ما تقوله التقاليد الحالية . اما المغرافي العربي ابن سعيد (المتوفى سنّة ٥٦٨٥) فيروي ان في زمانه كانت قبائل عديدة مختلفة تسكن هذه الديار ، وتنتشر بعيداً « في السهل وفي الجبال ، وفي الحجاز وسوريا والعراق » . ومع ان ابن سعيد لا يذكر اسماء هذه القبائل فنحن نعتقد ان الشمرّ كانوا في عددها . ولا تعرف القبيلة التي كانت سائدة يومها . والتقاليد والتاريخ لا تقول متى تسلّم الشمرّ السلطة وسادوا الآخرين . واستطيع الجزم - كما جزم رير في كتابه « تاريخ الأرض » ، في الجزء الثالث عشر - بأن الشمرّ متصلون بالملك الحميري القديم شمرّ بن العملاق . والكتاب العربي الوحيد الذي وجدت لهم فيه ذكرآ هو « كتاب الانساب » للقلقشندى ، وفيه ان بني شمرّ بطن من العرب مسكنهم جبلاً طيء ، أحجاً وسلمى ، . ولم ينسبهم القلقشندى إلى اية قبيلة معروفة ، ولا بسط اية معلومات اخرى عنهم .

والمرجح ان تاريخ الشمرّ لا يختلف كثيراً عن تاريخ القبائل الأخرى التي

سكنت هذه الديار ، ولا عن تاريخ البدو جميماً . ولا بد ، بالرغم من التقلبات المتواصلة التي تسود حياة البدو ، من أن تبرز في تاريخهم احداث تتشابه وتتكرر باستمرار . مثلاً : لما ضعف ، على مرّ الزمان ، ما أوجده لهم الاسلام من باعثٍ لحياة سياسية جديدة ، وزروح جماعي ، وانحدرت اتجاه تدريجياً ذلك الواقع الذي جمع بينهم ووحدتهم - للمرة الاولى ، على الارجح ، في تاريخهم - عاد البدو والاهلون إلى سابق حالم من الفسخ القبلي الذي كان يسود علاقتهم ، ورجعوا إلى عادات البداوة القديمة وزراعتها ، التي تنشأ أحياناً لأسباب تافهة ، بعد ان كان الجهاد الديني قد وضع حدأً لها في سني الاسلام الاولى . وكان هذا في الارجح حال القبائل الكثيرة التي خلفت بني طيء في هذه المقاطعة . وعندما اعتنقت الاسلام امم أخرى من غير العرب ، وانتقلت الحروب الاسلامية إلى اراضٍ بعيدة ، بقي ابناء الصحراء والجليلين بمنأى عن التاريخ فلم يشركوا في الفتوح الاسلامية الأخيرة .

ومن المحتمل ان هؤلاء السكان تحولوا تدريجياً ، في الآونة الممتدة من القرن السابع للهجرة إلى القرن الثاني عشر ، من حياة البداوة إلى الاستقرار ونزلوا أماكن معينة ليبنوا القرى المتشربة اليوم في مختلف أنحاء هذه البقاع . ولكن يتراهى لي ان أكثر هذه القرى بنيت حديثاً ، ولم يذكر منها في كتب الجغرافيين العرب سوى اثنتين : « فَسِيد » و « مَوْقَق » ، وأما الأخرى ، وفيها قرى كثيرة وكبيرة ، فلم تذكر . وإذا جيء على ذكرها فلكونها عيون ماء لاحدى القبائل .

وليس كذلك من اشارات ثابتة ، اكيدة ، إلى الشمر وديارهم إلاّ بعد قيام الدعوة الوهابية (الاصلاحية) التي وحدت بين سكان نجد ودفعتهم إلى حروب دينية ضد جيرانهم من الرحل ضد البلاد الغنية المتاخمة لصحرائهم . ومن المحتمل ان الشمر لم تكن لهم سلطة ، ولا سيادة ، قبل ذلك التاريخ ، وهي السيادة التي ما يزالون يتمتعون بها منذ ذلك الوقت في الاجزاء الغربية من شبه جزيرة العرب .^(*)

(*) وضع فالين دراسته هذه في منتصف القرن التاسع عشر .

ونستطيع ان نتبع الخطوط الرئيسية لتاريخ المنطقة القديم فيما اذا ألقينا نظرة على وضعها السياسي الراهن ، ونظرنا إلى العلاقة المتبدلة بين مختلف القبائل التي تسكن الصحاري المحيطة بها : فالشمرّ اليمانيون يهيمون - كأسلافهم ، بني طيء - ويمثلون أكثر القرى التي فيها اربع ، على الأقل ، من أكبرها . يسكنها بنو تميم العدنانيون . وسكان القرى مختلفون بالنازحين من النازلين عليهم من شتى الأنحاء العربية . وقلة عددهم وعدم استطاعتهم تأمين استقلالهم تلاشوا في احدى القبيلتين الرئيسيتين ، ولا سيما شمرّ .

اما المراعي الفسيحة والسهول الصحراوية الكبيرة التي تحيط بالمنطقة فتسكنها عنزة العدنانية وترتبطها اواصر الاخوة الحميمة بالشمرّ ، بددهم وحضرهم على السواء . ومع انهم يؤدون الزكاة ل الكبير شيخ شمرّ ، معترفين بسيادته ، فانهم من ناحية اخرى يحتفظون دائمًا بحرি�تهم على انهم بدو مستقلون .

وفيما قبيلة الرولة العظيمة في حوران تهاجر عشائرها الواحدة بعد اختها إلى سوريا ، وذرى من جهة اخرى « الصفوق » و « الزكاريط » من شمرّ - وقد اضطربت المنازعات الدينية للنزوح من ديارهم - يستعدون لأن يبدلوا بحياة البداوة الحياة القروية ، فان انسباء الرولة والصفوق والزكاريط لا يزالون مقيمين في الجبالين وفي جوارهما .

وهكذا تبدو لنا منطقة الجبلين انها كانت منذ اقدم العصور العربية ممراً لمختلف القبائل التي نزحت اليها من اطراف شبه الجزيرة ونزلتها زمناً حتى اضطربت تزايد السكان ، او حاجة ملحة ، او الرغبة بالغنائم ، او تفكير ما جديد ، كي تنبع منها ، او كي تغزو البلدان الغنية التي تحيط بالصحراء .

ففي تجد ، وفي الدرجة الاولى في هذه المنطقة عينها ، اجتمع فرعاً الامة العربية الرئيسيان : القحطانيون والعدنانيون - وربما جاز لنا القول : القبائل اليمانية والقبائل السورية - واندمج الجميع في شعب قوي اخذ يعيد الحياة إلى جزء

كبير من آسيه . ونعلم ان الاسلام قد أُنزل في مكة ، ولكن اول شعب اعتنقه وذاد عنه كان اهل المدينة الذين تصلهم طباعهم وعاداتهم بانساقهم من العرب الرّحل . ولما طرد الرسول (صلعم) من مسقط رأسه بحراً إلى بلدتهم في طرف نجد وكان بني طيء والقبائل الأخرى المقيمة في الجبالين من اوائل الذين آمنوا بدعوته وأدّوا له الطاعة .

ان طبيعة الارض التي يسكنها العرب اليمانيون ، والتي تعرضاً لها سلسلة كبيرة من الجبال ، وادية مياهها غزيرة ، جعلت منهم مزارعين اكثر منهم رعاة . ويؤكد هذا انتشار قراهم وحياتهم الاجتماعية في ظل حاكم عام في جميع المناطق التي يقيمون فيها . اما القبائل العدنانية التي تطوف في سهول نجد الفسيحة والاجراء الشمالية من بلاد العرب فجلّهم رّحل ورعاة .

ان تربة نجد تلائم اساليب حياة متعددة . فهي باكثرها مراعٍ تتخللها واحات قابلة للزراعة والاستيطان . وبما انها في وسط شبه جزيرة العرب فقد احتللت فيها الزراعة بتربية الماشي – وهم ميزتا الحياة العربية – وتأثرت الواحدة منها بالآخر : فالبدوي ، هذا المالك الاول للارض ، تعلم من المزارع الغريب الذي شقّ طريقه إلى الصحراء كيف يتغلّب على الكراهية التي اوجدها الطبيعة في نفسه ضد الحياة الحضرية . كما ان المزارع الخانع وصاحب العقل الضيق تشبع بروح الحرية والشهامة التي تزين داعماً ابن الصحراء . وفي منطقة الجبالين – اكبر من أيّة منطقة اخرى من نجد ، وباندماج العدنانيين بالقططانيين – رأت النور قبائل عظيمة وشهيرة ، وولد فيها رجال عظام كثيرون وتزود الجوار بالعديد من مهاجريهم .

وكل ما يذكره العرب الحاليون ويتمجّدون به من شهامة اجدادهم وشجاعتهم وكرمهم وشعرهم وبطولتهم يرجع إلى قبائل اصلها من منطقة الجبالين او أنها اقامت

فيها في الحقبة الاولى من تاريخها . وفيما نجد ان القبائل التي نزحت من اماكن أخرى في نجد ، او من اليمن ، ولم تمر في مسیرها بمنطقة الجبلين ، كبني قذاعة التقطانيين ، مثلاً ، قد طمس ذكرها بعد مدة ، او قل ان بلغت نفوذاً وسطوة ، نجد ان بني طيء وتميم وهلال ، الذين أتوا جميعاً من هذه المنطقة ، ما زالت لهم في ديار الغربة ، وبعد مغادرتهم ارضهم مدة طويلة ، سلطة و شأن خطير حتى في يومنا هذا ، وانهم يُنظر لمن بقي منهم بعين الاعتبار ويُكَبَّن لهم الاحترام بوصفهم شعباً متفوقاً .

وامتداد المجرات هذه عظيم ، وعظمته تظهر من وجود بقية من هذه القبائل الثلاث (طيء وتميم وهلال) في تونس ومدن اخرى من افريقيا الشمالية . واذا صح ما اخبرنيه بعض الدراويش من بخاري فان هنالك جاليات عربية تقيم في ضواحي سمرقند حافظت طوال العصور على لغة اجدادها . وباستطاعتنا اعتبار وسط الجزيرة ينبع المهاجرين الذين يمموا شطر ما بين النهرين وسورية ومصر وشمال افريقيا (المغرب) . فسكان هذه البلدان معروضون بسبب طبيعة ارضهم ، وغناها ، لانحطاط في عرقهم او لاستبعاد يفرضه عليهم طغاة غرباء ، فهم في حاجة من وقت إلى آخر إلى تنشيط يأتيهم من وفود جماعات من البايدية ذات عقول لامعة وحرة . وهذا أحسب نجداً ، وببلاد الجبلين خاصة ، عظيمة الاهمية في تاريخ هذه الرقة من العالم .

ويلفت ريتز نظرنا في كتابه (تاريخ الارض - ج ١٣) إلى اهمية موقع منطقة الجبلين بالنسبة إلى شبه الجزيرة ، بوصفه ممراً للتجارة والمواصلات في عصور مختلفة : عصر المعينيين MINAEAN وعصر الجرهائين GERRHAEAN وعصر الانباط NABATEAN ، وبوصفه اليوم درب المسافرين والحجاج الذي يمتازه اكثراً ، على قول بوركهاردت ، في طريقهم إلى دمشق والحسف والدرعية والمدينة (المنورة) . غير اني حصلت في هذه المحلاطات على معلومات لا تؤيد اقوال بوركهاردت فيما يتعلق بوقتنا الحالي . فالقاقةلة المهمة الوحيدة التي تمر من هنا

هي قافلة الحجاج العراقيين والفرس بعد ان صارت تنطلق من مشهد علي ، وكانت تنطلق من الكوفة في السابق . فهذه القافلة تستريح في حائل ، كما كانت تستريح قبلًا في فييد ، يوماً او يومين ، ثم تتبع الطريق الرئيسي إلى المدينة او مكّة ، والطريقان سهلاً وفهما مياه غزيرة .

اما الحجاج الآتون من البصرة والدرعية فيمرن بالقصيم دون ان يقتربوا من الجبلين الا فيما اذا دفعتهم بعض الاسباب . والحجاج الآتون من الجروف يفضلون الذهاب إلى تيماء فالحجر لينضموا إلى قافلة الحجاج السوريين ويرافقوها إلى المدينة (المنورة) . وفي طريقهم إلى تيماء صهاريج يتموّهون منها مؤذنهم للسفرة . ورغم وعورة الطريق فهم يفضلونه على الدرب المباشر من الجروف إلى جبّة ، وقد يكون اصعب الطرق واشقها في هذه النواحي من بلاد العرب بسبب التفود ورماله وفقدان الماء فيه .

والطريق من تيماء إلى خيبر والمدينة (المنورة) سهل ، ومياهه كثيرة . وهو ينתרق بقعة يصادف فيها في أكثر الأوقاتبدو « القراء » و « بشر » . وليس هناك على حد علمي بين سورية والأماكن الشرقية من نجد اي اتصال مباشر . والطريق المعقول سلوكه بينهما قد يكون من الدرعية عبر القصيم وجبل شمر والجروف ، ولكنه لا يطرقه سوى من اضطرره إلى ذلك ظروف استثنائية .

ويأتي أحياناً عرب الرولة من حوران إلى نجد في طلب المرعى فيمرن بالجروف أو بصحراء الدهناء ، إلى الشرق من سكاكنة ، متوجهين إلى القصيم . والطريق من الدرعية إلى مصر تمرّ عادة عبر القصيم إلى جبل شمر وتنعطف منه إلى الأخضر او تبولك في طريق الحج السوري .

ومع هذا كله يصعب الكلام على الطرق في بلاد العرب ، ويصعب تحديد اتجاهاتها . فباستثناء دروب الحجاج الرئيسية ليس هناك طرق ثابتة في الصحراء .

والحمل يستطيع السير على جميع الارض . والبدو الجسور الذي يعرف ارضه وآبارها ، والذي تعود مکاره العطش والجوع يتنقى طريقه من حيث شاء .

ولا يستطيع سوى القول ان موقع هذه المنطقة من افضل مواقع بلاد العرب . فهي في وسط القسمين الشمالي والواسط من البلاد المذكورة ومتاخمة لهما . وعلى المسافة عينها تقريباً من دمشق وبغداد ومكة (المكرمة) ، وفي منتصف المسافة بين البحر الاحمر والخليج الفارسي (٢٥) فهي افضل منطقة تصلح للسيطرة على البلدان المجاورة . وترتبطها زراعية خصبة لا تحتاج لسوى الماء لانتاج افضل المحاصيل . ثم ان مناخها الصحي ، والحوال الغرانيتية التي فيها — وقد تكون الوحيدة في الصحراء — والسهول الفسيحة ، وحياة سكانها الزراعية الرعوية ، هذه العناصر كلها تجتمع لينشق من نجد رجال اصحاب اقوياء ذوى عقول حرة . وليس لدى اي شك بان هذه المنطقة افضل مقام لرئيس الحكومة لو أن بدؤ نجد والصحارى السورية وسكان البلدان والقرى القليلة المنتشرة في هذه الارض توحدوا في ظل حكومة واحدة (*) .

وبفعل الروابط القوية والعلاقة الوثيق التي تربط بين الشمر بطبقتيهم ، البدوية والحضرية ، نجد قرويهم (الحضر) ما يزالون يتمسكون بعض الشيء بتقاليد البداوة ، إلا انهم يتعاطون اموراً او مهناً ليست في نظر البدو لافتة . وفي فصل الربيع ينتقل جمهور كبير من هؤلاء القرويين ومعهم خيولهم وإبلهم ومواشيهم إلى الصحراء يجولون فيها ، فيضربون الحمام كالبدو ويقيمون أو قاتاً طفول أو تقصر ، بينما البدو يذهبون إلى مزارع نخيل وحقول يملكونها في جبلي أجاؤ وسلمى ليعتنوا بها . وهذه المزارع توافر دائماً فيها مياه الآبار والينابيع على ما هو الحال في سميرة والحفصير والخفنة وسواها .

وفي رأي ان هذه القرى نشأت بالاصل في محلات كهذه قد كثر ماؤها .

(*) — هذا الرأي الصواب ، الذي كان امنية ، قد حققه عبد العزيز آل سعود بعد سبعين سنة .

ولنا في قرية « عُقدَة » مثل صارخ على القرية الصحراوية النامية . وعُقدَة بلدة صغيرة بأجأ ، على اربع ساعات من حائل ، فيها ينابيع قليلة وتحيط بها مزارع نخيل تملّكها بعض عشائر البدو ، تأتي إليها عندما يتضيق التمر لجمع المحصول في نهاية الصيف . ويزرون احياناً بعض الاشجار الجديدة ويستقون البئر الصغيرة التي نمت وحدها .

وهم يزورون المزارع ايضاً مرتين وثلاثة في السنة لتفقد الاشجار ، او انهم يذهبون إليها في حالة سقوط امطار غزيرة لتحويل الحداول إلى البساتين لاشباعها ربيعاً ، اذ ان ماءها يكون قد شح بالسبة لمساحتها . ويغامرون بزراعة بعض الخنطة والشعير معلقين املهم على السماء لعلها تمطر . فاذا نجح الموسم زادوا في مساحة ما سيزرعونه من حقوقهم في السنة التالية .

وتحتاج هذه الحقول لعناية خاصة فيبقى فيها معمران او ثلاثة مدة طويلة لتنظيم الري فيها ، فيبون كونخاً صغيراً من سعف النخل وخصوصه ولا يلبث ان يتبعهم في ذلك آخرون في السنتين التالية ويعملون عملهم . وفي قليل من السنتين – وقد تكون عشرة – ترتفع الاكواخ لتصير بين عشرين واربعين كونخاً من الخوص .

وفي سنة المحباس المطر تنزل الماجعة بالمقيمين في تلك الحقول فيدركون انهم لا يكفيهم الاعتماد على السماء وحدها بل ان على الانسان ان يعتمد ايضاً على كدّه ، فينشطون إلى حفر الآبار ويستبدلون باكواخ الخوص التي لا ترد المطر عنهم اكواخاً من الطين ، ويستبطون وسائل جديدة للعيش وتأمين الرزق ، فيحتطبون من الجبال ويحشّون الاعشاب من الاودية ويبعيونها في القرى المجاورة.

وفي الوقت عينه يطوف اخوانهم من البدو بماشيتهم في الصحراء ثم يعودون إلى المزارع أيام الحصاد . وفي كل سنة تُغري القرية الجديدة المزدهرة وحياتها المادّة بعض البدو بالبقاء فيها يوم تغادرها القبيلة إلى الصحراء فيكونون مضاربهم . وقد يبقى ايضاً سواهم لأسباب أخرى . فتقوم اكواخ جديدة ، وتحفر آبار ،

وتنعد المزارع بازدياد عدد السكان . وهكذا تنشأ القرية تدريجياً في الوادي بعد ان بدأ ت مجموعة اكواخ مؤقتة ، ولا يلبث ان يرتادها البدو المتجلولون وتصير ملاداً للفقراء الذين فقدوا قطعاً منهم ومواشيهم ، وملاداً للذين لا يستطيعون الاستمرار في عيش البداوة . وكذلك يلتجأ اليها البدو الذين « على رأسهم دم » وأكرهوا على مغادرة ربهم وديارهم فراراً من انتقام ذوي ضحيتهم .

وهكذا يتزايد سكان القرية ، ويتمازجون ، وتكثر حاجاتهم . ولما كان بطبع البدوي ان يكره الاعمال اليدوية — وإنْ هو أقام في مضارب ثابتة — فان الحرفين الذين اخفقا في قراهم المجاورة يأتون إلى هذه القرية طلباً للعمل ، وغالباً يجدون ما يطلبون فيقيمون فيها .

ويزور القرية ايضاً تجار متجللون يطلبون الربع . ويعودون اليها مرة او مرتين في السنة ليأخذوا التمر والصوف والزبدة وغيرها من محصول الصحراء لقاء حاجات اخرى يحملونها اليها . ويتعلم بعضهم تدريجياً عادات السكان ويتقنون زوجات من فتيات الصحراء اليانعات ، ويتنهى بهم المطاف بالإقامة في هذه القرية طوال العمر .

ونستطيع القول انه من الطبيعي ان ينزع الحرفيون والتجار إلى القرى المستجدة حيث الاغنياء اكثر عدداً . ونتيجة لمثل هذا التزوج صارت حائل تُعدّ عاصمة المنطقة ، وسكانها من مختلف الفئات ، وهي في الارجح من آخر القرى التي نشأت في هذه الارض وقد قامت في الاصل لأنها مسقط رأس عائلة الشيخ الحالي ، والشيخ الذي سبقة .

وليس في كتب الجغرافية العربية اشارة إلى قرية اسمها حائل ، بل هناك اشارة إلى محلة في جبل أجاؤ . وتقوم حائل في وادٍ مستطح ومنخفض يمتد تقريراً من الشرق إلى الغرب في سفح جبل « سمرا حائل » وفي طرفة الشرينج وحيد مأوى فاتر ضارب إلى الملوحة . ويبدو ان الاكواخ الطينية الاولى بنيت حوله .

وهنالك آثار منازل مهدمة احدث منها عهداً. اما اليوم فالبُرْ مهجورة بعد ان انتقل السكان تدريجياً إلى محلة اعلى باتجاه الغرب حيث سهل «البطين» الفسيح الذي تكثر فيه الجداول الداخلية.

واهم شيء يجب ان يفكر به المواطن الجديد بادئ ذي بدء هو تأمين ماء الري . وحال اكتشافه الماء يخفر برأه . وسرعان ما تنمو حوله بساتين التخل والاشجار المثمرة الاخرى . ثم تُبني في وسط البساتين منازل من المواد المستعملة في الصحراء - كالالبان وقطعه اصغر حجماً من الاجر الذي يصنعه السوريون - ومن جذوع شجر التخل او الايل تُعمل الابواب وحافة السقف ، وهو دائماً مسطوح . واكثر البيوت من طبقتين ، غرفهما قليلة ولكنها فسيحة ومريحة ولا يدخلها النور إلا من الباب ومن كواكب صغيرة في الجدران تحت السقف مباشرة . وفي كل بيت ، دون استثناء ، مقهى منفصل عن المبنى ويواجه البستان ، او هو في وسطه ، لاستقبال الضيوف . وفيه تجتمع الرجال لتبادل الاحاديث وللناظر في الاعمال . ويخيط بارض كل بيت سور ، غير ان مساحة القرية الفسيحة تجعل احاطة الارض بالاسوار امراً مستحيلاً على اكثير السكان . ولا يمتاز مقر ابن الرشيد عن سواه بسوى انه اكبر حجماً واسع ارضياً ليأوي عائلته الكبيرة واتباعه وضيوفه الكثرين طوال السنة ، فكل غريب يأتي إلى حائل وليس له فيها انسباء او اصدقاء يحل ضيوفاً في قصره ، واثقاً بأنه يُستقبل ويستضاف طوال المدة التي يريد لها . وينيغ المسافرون جماليهم في ساحة فسيحة تسمى مُناخا ، تحيط بها مبانٌ صغيرة وغرف هي زرائب تشبه بعض الشبه «الحانات» الفارسية . وينام الغرباء فيها وفي المقهي والجامع . والضيوف الاقل شأنآ يفترشون ارض الساحة قرب جماليهم .

وتلت舂ق بجدران المبني المحيطة بالساحة ارائك ومقاعد من الطين . وبين تلك الجدران يعقد الرئيس محكمته مرتين في اليوم ، مرة صباحاً والاخرى بعد الظهر .

وفي القرية ساحات كثيرة مكشوفة واسواق تباع فيها اللحوم والخضار والمؤن ،

على عكس ما هو في الجوف والقرى الشمالية حيث يُعدّ عرض الأغذية للبيع في الساحات العامة عملاً شائعاً.

والطرق في حائل عريضة مريحة ، مع أنها غير معبّدة . وفي الطريق الرئيسية المسماة لُبْدَة عدد من الحوانيت المكشوفة اصحابها تجار متوجلون يأتون من العراق والمدينة (المنورة) والقصيم . وفي حائل اليوم ٢١٠ منازل و ٢١٠ عائلات . واذا استمر اتساع البلدة اتصلت قريباً بقرية صغيرة اسمها « الوسيطة » يسكنها عشر عائلات وتبعد عن حائل ثلاثة اربعاء الساعة في السهل الاقرب إلى سفح أجاً .

وبالاضافة إلى القرى التي ذكرتها يوجد في المنطقة القرى الآتية :

قفار ، على ثلات ساعات سيراً حديثاً من حائل في اتجاه غربي – جنوي غربي إلى جنوي ، ولا تبعد عن أجاً كثيراً . وهي اكبر قرى المقاطعة ، وقد تكون اغناها ، لا يسكنها سوى بني تميم وحدهم ويُعدّون حوالي خمسينية عائلة . والعجيب في اسم قفار انه لم يذكر في الكتب التي استطعت الوصول اليها .

وفي الطَّرَف الشرقي في القرية آثار خراب من بيوت واسوار طين ثبتت ان السكان تحركوا مع الرمان غرباً ، مقتربين من الجبل . وقد احتفظ بنو تميم ببعض الميزات اللغوية وبلامح في وجوههم تميّزهم بسهولة عن الشمر . وفي تجوالي بين بدؤ الجهات الغربية من شبه الجزيرة كان هؤلاء يسألونني دائماً – ومثلهم المصريون والسوريون – عن بني تميم وعن عادتهم ولغتهم وقاماتهم وميزاتهم الاخرى . وهم يبدأون بالسؤال عن حجم بني تميم وعما اذا كانت قامتهم اطول من قامة سواهم من العرب ، وما اذا كانت لحاهم اكثف واطول . ويبدو لي ان هذه الملاحظة تعود لمعنى الكلمة « تميم » ، وكانت تطلق في الاصل القديم على رجل قوي البنية صحيح البدن . وهذه الملاحظة تصدق في القبيلة المذكورة . (*)

(*) - التميم في محيط المحيط : هو التام الخلق (فتح الماء) ، الشديد .

والسكان الحاليون مزارعون فقط . جدودهم في الاصل بَدُوٌ لا يتعاطون في النادر سوى التجارة ، ولا يشاركون الشمر حروبهم وغزوائهم . وأظن ايضاً ان ليس هنا بين البدو فرد منهم يعيش عيش البداوة . وفي زمن الحصاد يجتمع حول قريتهم بَدُوٌ من الشمر وعنة لبيع ماشيتهم ومتوجهها ، او للمقايضة بالتمر والذرة ، ذلك لأن في « قفار » اكبر مخازن التمر والذرة في المنطقة .

والتجار المتجولون لا يزورون « قفار » لأن ابناءها يتبعون مترفاتهم ، كالبن والتوابيل والعطور ، من سوق حائل – وهم ارستقراطيو الشمر ويميلون إلى التباхи والزهو – والعطور مرغوبة ومستعملة بكثرة في نجد عملاً بسنة الرسول .

وبنو تميم احرص من الوهابيين على تأدية الواجبات الدينية . وتقواهم ، في الارجح ، سبب حجّهم مراراً كثيرة في جماعات غفيرة إلى مكة . ومع انهم يعودون منها بما يستطيعون حمله من البضائع فهم يحجّون في سبيل الدين لا في سبيل الکسب كما هي غاية الشمر في الغالب . وهناك قسم كبير من هؤلاء البدو ذوي الماضي العريق يعيشون في ما بين النهرين . غير ان اکثر القبيلة – على ما يقال هنا – تنزل مع انسابها منبني هلال شمالي افريقية ، وفي تونس خاصة .

وهناك ثلاث قرى اخرى في منطقة الجَبَلَيْن (أجا وسلمى) يسكنها ايضاً بني تميم ، بالإضافة إلى قفار ، هي : مستجدة ، والروضة ، وفَيْد . فالاولى على يومين إلى الجنوب الغربي من قفار ، والثانية على نصف يوم إلى الشمال من مستجدة . ويبلغ عدد السكان في كل من القرىتين ما يقرب من مائة عائلة . وقد تكون « الروضة » هي المراعي التي ذكرها ياقوت باسم « روضة قُرَاقِر » في الجَبَلَيْن (*) .

(*) – قال ياقوت : روضة قرافق ، بضم أوله وتكرير القاف والراء : رياض الجبلين . قال عمرو بن شاس الاسدي :

كينة مرباع على جوزر طفل
وانت تخل الروض روض قرافق

اما فَيْدُ فلا يسكنها بنو تميم وحدهم كَما هو حالهم في القرى الثلاث الاولى، وعدهم هنا نصف السكان تقريباً . وهؤلاء جميعاً لا يتتجاوزون مائة وخمسين عائلة . وفيَدُ على يومين قصرين إلى الجنوب الشرقي من حائل ، على الحانب الجنوبي الشرقي من جبل سلمي وعلى مسافة يوم منه . وهي اقدم قرية من المقاطعة . ذكرها جميع الجغرافيون بقولهم أنها بُلْيَدَة في نصف الطريق إلى مكة (المكرمة) من الكوفة كانت تمر فيها قوافل الحجاج . وان من العادة ان « يودع الحاج فيها ازواجهم وما يثقل من امتعتهم عند اهلها ، فإذا رجعوا اخذوا ازواجهم ووهبوا لمن اودعوها شيئاً من ذلك . وهم مغوثة للحجاج في مثل ذلك الموضع المنقطع ، ومعيشة اهلها من ادخال العلوفة طول العام إلى ان يقدم الحاج فيسعونه عليهم » . (*)

يستنتج من هذا الكلام ان سكان فَيْدُ في ذلك الزمان كانوا اقلَّ عدداً منهم اليوم . وان الزراعة كانت ضئيلة على خلافها الآن . ويعهم العلوفة ما يزال حال اكثرب القرى التي في دروب الحاج كمعان وتبوك وموبلح ونخل وسواها من القرى التي يعود الفضل في وجودها وبقائها إلى الحجاج الذين يمررون بها في طريقهم إلى الاماكن المقدسة .

ويضيف ياقوت : « قال الزجاجي : سُمِّيَتْ فَيْدُ بفَيْدَ بن حام وهو اول من نزلها » . وقد يكون لاسم فَيْدُ علاقة بفاید احد اشقاء سلمي من العمالق ، وقد قيل انه نزل في هذا الجوار . والزجاجي يعتقد ان الكلمة ولفاید جذر واحداً (**). وينقل ياقوت ايضاً ما قاله السكوني : « هي أثلاث : ثلث للعمَّارين ، وثلث لآل ابي سلامة من همدان ، وثلث لبني نبهان من طيء ». وقال ريتور في « تاريخ الارض » : « ان بني نبهان ، هؤلاء ، من بني طيء وينزلون محلة اسمها المغيرة . »

(*) - ياقوت : ج ١٥ ، ص ٢٨٢ .

(**) - هذا ما قاله الزجاجي بالحرف : « الفيد ورد الزعفران . ويجوز أن يكون من قوله : استفاد الرجل فائدة ، وقل ما يقولون فاد فائدة » .

وأنهم من أقوى عشائر طيء من فند غوث. (ج ١٣ ، ص ٣٧٢) .

اما آل أبي سلامة فهم ، في الارجح ، من سلالة سلامان من الاخذ الذي من جدوده همدان. اما العُمرَّيون فاظن انهم يتسبون إلى بطن من البطون اليمانية من كهلان .

ويقول ياقوت ايضاً عن السكوني : « وبين فَيْدٍ ووادي القرى ست ليال على العزيمة — وهذه المسافة تتطابق المعلومات التي أعطانيها السكان هنا — وليس من دون فَيْدٍ طريق إلى الشام ، وبذلك الموضع رمال لا تسلك حتى تنتهي إلى زُبالة او العقبة على الحزن ، فربما وُجد به ماء ، وربما لم يوجد فيجنب سلوكه . » (ربما كانت العقبة هذه هي العقبة الشامية) . وقد مرّ بنا ان الطريق من هنا إلى سوريا تمرّ بتيماء وتبوك ثم تبع درب الحج . وقد تكون هي التي اشار إليها السكوني .

الماء شحيح جداً في الأرض الممتدة من جبل شمر إلى تبوك . وما وجد منه كان في صهاريج لا يعول عليها . إلا ان رمال التفود تقف عند تيماء وتصير الصحراء السورية بعدها سهلة ومسطحة . وهذا كله — بالإضافة إلى ملاحظات ريتـر — يُظهر لنا ان فَيْدٍ كانت في القديم اعظم قرية في هذه البقاع . اما اليوم فقوافل الحج تمر بمحائل ، مقر الشيخ الحاكم ، وأهملت فَيْدٍ وتقهقرت . ويقال ان فيها آثار قنوات قديمة جداً . ولم تتح لي الفرصة لأن ازورها ، فلا استطيع التأكيد .

وبالاضافة إلى القرى الاربع التي ذكرتها من قرى جبل شمر ، هناك بلدة خامسة اسمها الحوطة في نجد العريض يسكنها بنو تميم ، ولم اسمع بمحله أخرى من بلاد العرب ينزلها او يصادف فيها عرب انحدروا من هذه القبيلة الشهيرة .

ويبين فَيْدٍ ومحائل ، في منتصف الطريق ، بلدة السبعان في سفح جبل سلمى ، وهي قرية صغيرة فيها مياه جارية ، وتنزلها احياناً — كما تنزل عُقدة —

عائلات البدو وتقطنها لزرع البلح والذرة . ويذكر ياقوت أنها موضع معروف في ديار قيس ، وضبطها بفتح السين وضم الباء قائلاً أنه لا يعرف سواها في كلام العرب اسم على صيغة فَعُلان .

وهي نصف الطريق بين فيئٍ والسبعين قرية صغيرة اسمها « طابة » ذكر ياقوت أنها موضع في ارض طيء . وعلى مسيرة يوم إلى الجنوب ، فالى الشرق ، من فييد قرية الكهف وهي في طرف ديار الشمر من هذا الجانب . واظن ان سكان القريتين لا يتتجاوزون خمسين عائلة في كل قرية . والطريق من حائل إلى القصيم على تلك القرى . ومبيت الليلة الأولى في السبعان ، والثانية في فييد ، والثالثة في الكهف . وتبعد كلّ من هذه المحطات الثلاث عن التي تليها مسيرة ثمان ساعات . وتبعد أخيرتها عن القصيم ، أولى قرى القصيم ، مسيرة يوم طويل . ومن القصيم إلى « العيون » مسيرة يوم طويل آخر ، ومن العيون إلى البريدة — اهم بلدان القصيم — مسيرة نصف يوم . والبريدة على مسيرة بضع ساعات من عنزة ، البلدة الثانية في القصيم .

وفي جوار المستجدة والروضة قرية الغزالة احدى اكبر قرى الاقليم ، وفيها ما يقرب من مائتي عائلة شمرية . يحيط بها سور من اللبن . وفي طريقي من حائل إلى المدينة اتيتها على جمل في تسع عشرة ساعة سيراً حيثاً في اتجاهٍ جنوب غربي .

وعلى مسيرة ثلاثة أيام إلى الجنوب الغربي من الغزالة وخمسة أيام من حائل وثلاثة أيام من المدينة (المنورة) ، على حدود المقاطعة في اتجاه دياربني حرب ، قرية صغيرة اسمها قصر السليمي تسكنها عشر عائلات تقريباً . وعرب نجد يطلقون اسم « القصر » على المحلات الصغيرة التي على حدود المقاطعات . وسكنان هذه القرى مستباحون لغزو القبائل المجاورة فيحيطون « قصرهم » — محلتهم — بسور وينون فوق بيوتهم ابراجاً صغيرة تسهل لهم الدفاع ، وبسبب هذا السور

وهذه الابراج يطلق على قراهم اسم « القصر ». ويبدو ان الكلمة « قلعة » التي شاع استعمالها في الايام المتأخرة عند عرب مصر وسوريا لها المعنى عينه . وكلمة « قصر » وتصغيرها « قُصْرَ » يكثر استعمالها في الحغرافية القديمة ، وفي الصحراء ، كأنها صفة تضاف إلى أسماء القرى الصغيرة . وهنالك قرية مماثلة في هذه المنطقة اسمها « قصر عَشَرَوَاءِ » على مسيرة ثمان ساعات إلى الغرب من قفار ، فيها تقريباً ما في قصر السليمي من السكان .

وعلى مسيرة اثنى عشرة ساعة على متن جمل بطيء إلى الشرق فالجنوب من حائل ، وعلى سبع ساعات من السابعة ، قرية صغيرة اسمها « العُدُّوةِ » يزرع بدو الشمر فيها الذرة – كما في عُقدة – وسميرية قرية مماثلة في الطرف الجنوبي الغربي من جبل سلمى قال الحغرافيون العرب أنها كانت أول منازل طيء في هذه المنطقة . والقرى الصغيرة الأخرى المماثلة هي « العُظَيْمُ » و « المَكْحُولُ » و « الْحُفْنَةُ » . ولم استطع تحديد مواقعها .

والى الشمال الغربي من جبل أجاؤ تقع أيضاً بلدة مَوْقَقَ أحدى أكبر بلدان المقاطعة ، وعدد سكانها ٢٢٠ عائلة ونيف . ووريتر (٢٠) أخطأ فلم يفرق بينها وبين قفار في كتابه « تاريخ الأرض » – ج ١٣ ، ص ٣٥٦ – وهي (مَوْقَقَ) في سفح قمة عالية تشعب من سلسلة أجاؤ الرئيسية ، تقريراً في طرف وادٍ يقطع السلسلة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، ومن طرف آخر ، في مسيرة تبلغ قرابة عشر ساعات . روى ياقوت عن عبيد الله السكوني أن مَوْقَقَ – وهو لا يدرى مصدر اسمها – قرية فيها مزارع نخيل وحقول ذرة في سفح جبل متفرع من أجاؤ . ويقول آخرون أن مَوْقَقَ ماء كان لبني عمرو بن الغوث ثم صار لقبيلة شَمَّاجَى . وعمرو بن الغوث هو في الارجح جدّ العmaryin الذين مر ذكرهم (*)

(*) – العmaryin الذين يشير فالين إليهم هنا بأنهم قد مر ذكرهم ، هم الذين آتى عليهم ياقوت عن السكوني . وقد ضبط ياقوت اسمهم بضم العين وفتح الميم . وفالين يشير هنا إلى عمرو (فتح العين وتسكين الميم) ابن غوث .

بانهم يملكون جزءاً من فَيْدُ . اما قبيلة «الشمجي» (*) فلم اجد ذكرآ لها ، والى الشمال الغربي من موقع ، على مسافة قصيرة منها ، تقع الحفير التي مرّ ذكرها وهي صغيرة كالسباع .

وفي جوار «اللقيطة» في داخل الجبال قرية اخرى صغيرة مماثلة هي « طوية » وعلى مسيرة ست ساعات الى الشرق من « قنا » قرية صغيرة جديدة اسمها ام قبلان تسكنها عشر عائلات تقريباً ، وأطلق هذا الاسم عليها في الارجح لكثره الآبار فيها ، ومن المتظر ان يزداد عدد سكانها قريباً . وعلى مسيرة ست ساعات الى الشمال — الشمال الشرقي من حائل ، في السفح الجنوبي الشرقي من أجا ، قرية « الجثامية » وهي الاخيرة في طرف المقاطعة من هذه الجهات ، فيها عشرون عائلة تقريباً . وارض الشمر من هذه المحلة ، بل من الطرف الشمالي الشرقي الذي يبعد خمس ساعات عنها إلى قصر السليمي ، هي اطول ما تكون عليه في اتجاهٍ جنوب غربى إلى شمالي شرقى تقطعه الحمال السريعة في ستة ايام تقريباً .

وعرض هذه الارض ، من جبّة إلى الكهفه شرق فَيْدُ ، يعادل المسافة عينها تقريباً . ورغم ثقتي بان هذه المنطقة هي اكثـر مناطـق نجد سـكانـاً فـان الشـمر وـبني تمـيم المـقيـمين فـيهـا لا يـقدـر عـددـهـم باـكـثـر من الفـي عـائـلة . غير اني لا استطيع معرفة عدد اولئك الافراد والعائلات من القبيلة الذين يعيشون عيش بداوة . واذا استثنينا البدو النازلين ما بين النهرين (العراق) ، فاني اعتقد ان الشمر المتنقلين في هذه الديار والصحابـارـي المجـاورـة لا يـجاـزوـن الفـ عـائـلة .

ومن حائل ذهبت مع قافلة الحجاج العراقيين والفرس إلى المدينة ومكة وأتمتُ فريضة الحج . ويؤسفني القول انه ليس عندي تفاصيل جغرافية عن

(*) - انظرها في ملحق الاستدراك والتعليق ، في الذيل ، رقم ٦٢

رحلتي هذه ، فقد عاقي عن طرح الأسئلة وتدوين الملاحظات وضعني الخطر بين الحجاج ، والسير السريع المتعب ، وما شعرت به لأول مرة من تحفظ عند العرب اظن ان سببه القلق والمحن التي تلحق بالحاج المنفرد ، وجود الفرس المزعجين (كذا) المتعبين الذين لا تستحب رفقتهم في الرحلات الصحراوية ، يضاف إلى ذلك كله ظروف أخرى غير مؤاتية .

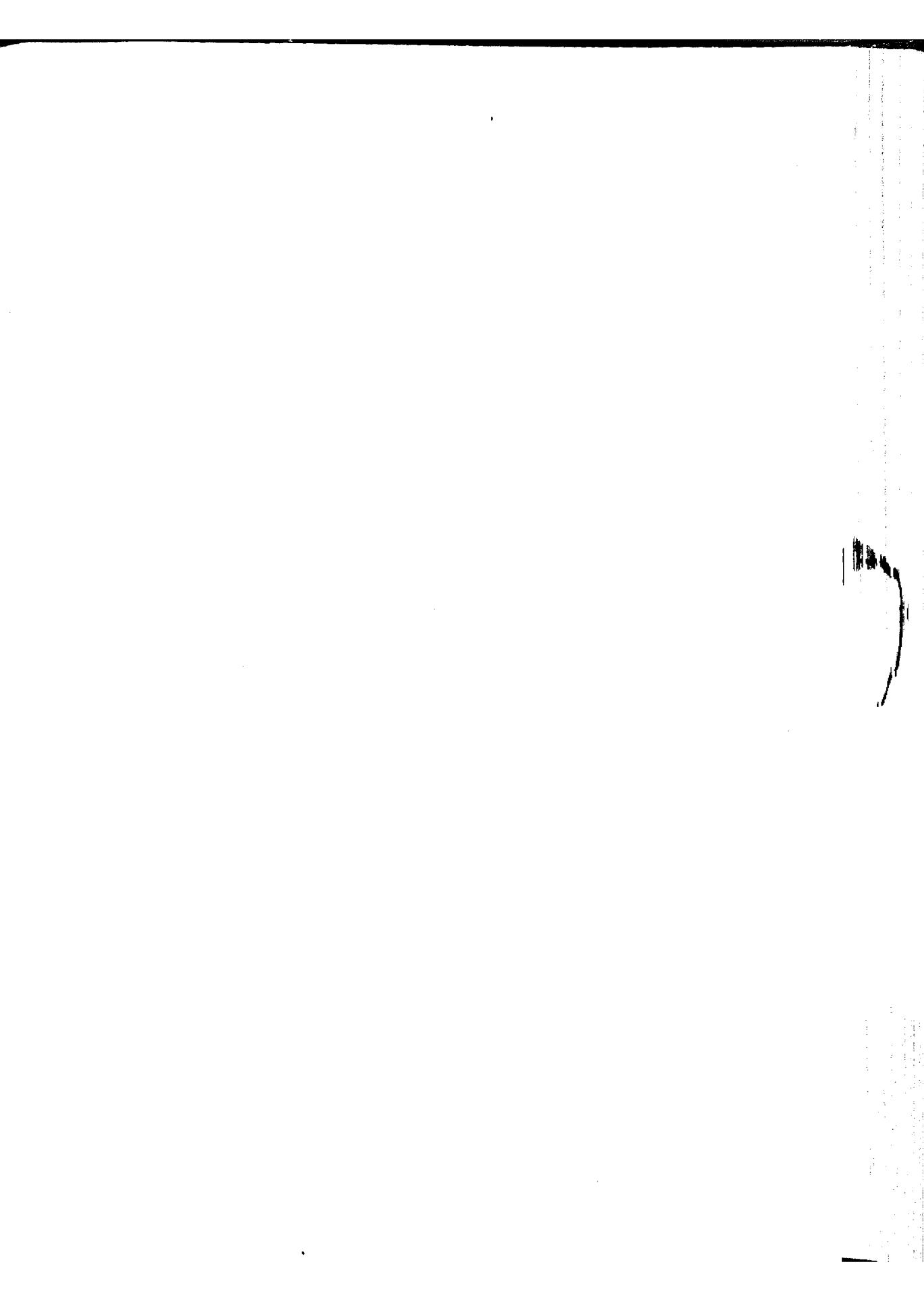
ان الحجاج يطرون في أكثر الأحيان الدرب المباشر إلى مكة – فيما اذا لم يكن لديهم متسع من الوقت – فيصلون إليها في اثني عشر يوماً ، غير انهم اتبعوا في هذه السنة طريقاً غير مباشر يمر بالمدينة . وبلغت رحلتنا من حائل إلى قبر الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خمساً وثمانين ساعة من السير السريع جداً على متن الجمال ، في اتجاهٍ جنوبيٍّ غربيٍّ ، او غربيٍّ جنوبيٍّ .

وفي مسيرة تسع وثلاثين ساعة من حائل عبرنا سهلاً فسيحاً انتهت فيه سلسلة أجاء التي كانت إلى يميننا طوال سيرنا . وببدأ السهل يمتد نحو الشمال الغربي . وقيل لي ان هذا السهل يتصل بالبحر الاحمر دون ان تعرضه جبال او تموّجات . وربما كان جزءاً من وادي القرى القديم الممتد من حجر إلى داخل الصحراء من جهة ، وعبر وادي نجد الحالي من جهة أخرى إلى مرفا الوجه .

وفي وسط السهل ، إلى يسارنا ، قرية صغيرة اسمها «الخليفة» فيها ثمانية منازل وبعض بساتين فقيرة من التحليل يملكونها عرب عنزة . وفي الجهة الأخرى من السهل بدأنا نرى جبالاً تبدو وكأنها امتداد لأجاء ، إلا ان صخورها رملية وكليسية ، وذلك حتى أتينا دياربني حرب والاجزاء الداخلية من الحجاز ، حيث سلسلة جبال غرانيتية تشكل جدراناً للاودية التي فيها طريقتنا .

(انتهت الرحلة الأولى)

رحلة ١٨٤٨



انطلقت من القاهرة في اواخر سنة ١٨٤٧ ، في الطريق التي تمرّ بقرب بلدة السويس عبر منبسطات الشاطئ ، وهي مديجزريات رملية ترامي على الطرف الاقصى لخليج السويس وعلى طول الساحل الغربي لشبه جزيرة سيناء .

وبعد سفر طال ثمانية أيام وصلتُ الى الطور ، وهو مرفأ قلّ ان لا تتوقف فيه المراكب التي تبحر هذا الخليج ، وقدرت اني مستطيع تأمين نقل بسرعة ، بحراً ، عبر الخليج ، الى محلةٍ ما على ساحل بلاد العرب المقابل .

ووافق ذلك وقت عودة الحجاج المصريين من مكة ، فعرفت ان السفن التجارية التي من عادتها العمل بين مصر والهجاز ، والمتظاهرة في الطور ، ستصل من الجنوب ، وأن عدةً من اسابيع قد تنقضي قبل ان تغادر احداها السويس نحو الشاطئ العربي .

وبعد ايام قضيتها هناك بدون جدوى ، قررت السفر الى الشرم وسيطلي طول ساحل شبه الجزيرة الجنوبي ، اذا اكدد لي البدو الضاربون في ضواحي الطور أن الشرم وببلاد العرب على اتصال بحري مستمر . وبعد مسيرة يومين ونصف اليوم وصلت الى الشرم وعرفت من الصيادين فيها ان جميع مراكب الصيد في هذه الضفة قد اقلعت الى المويلح في الضفة الاخرى ، حيث وصلت قوافل الحج المصري العائدة ، إلاّ مركباً يتوقع وصوله من الضفة المصرية ناقلاً مؤناً للحجاج .

و حول منتصف الليل . وصل المركب المتظر ولم يرسُ سوى دقائق معدودات
تابع بعدها رحلته لأن رُبّانه خشي التأخير في الوصول إلى المويلح للاقفالة
لم أدر بذلك إلا في اليوم الثاني صباحاً .

وإذ خبتُ املاً مرة أخرى : ولم يكن في نفسي ميل لاسفر برّاً في رحمة
طويلة حول خليج العقبة ، اضطررت مذعنةً لما تفرضه الحاجة إلى الانتظار أول
مركبة يمر هنا . وأقمت في العراء مع بدويين صيادين من عرب أمْزينة ، لا
متزل يُؤيني ، ولا خيمة تظلاني .

ان العرب هنا يطلقون اسم «الشَّرْم» على كامل بقعة الشاطئ الممتدة من
راس محمد إلى محلة غير محكمة التحديد في الشمال من وادي مُاري ، تقريباً
على خط العرض الذي يمر بجبل موسى . ومن المحتمل ان اطلاق هذا الاسم على
البقعة سببه تضاريس الساحل العديدة لأن كلمة الشَّرْم تعني الشق ، ومن ثم
تطلق على خليج أو ساقية في شاطئ البحر(*) ، أما هنا فتطلق ، حسراً ، على
سهل قاحل صغير رمله مالحة جافة(سبخة) ، يجاور ميناءين يعتمدان غالباً في تحديد
البقعة . وينتهي السهل ، في الشمال ، بسلسلة منخفضة من صخور رملية ، ويحدّه
جنوباً الشاطئ الصخري . وفي سفح تلك التلال بئر يضرب ماؤها إلى الملوحة :
اما الميناءان فحوضان تكتنفهما الأرض ويدخلهما ماء البحر من منافذ ضيقة ،
وينشئان الميناء الغربي ملاداً لأكبر أنواع السفن العربية ، بينما الشرقي يستوعب
قوارب البدو الصغيرة .

وعلى الضفة الشرقية من اول الميناءين مقام لأحد الأولياء ، وفي السهل بيت
صغير منفرد مبني بالحجارة ، قيل لي ان رجلاً من الطور يقيم فيه أحياناً ليتاجر(**)

(*) - الشَّرْم ، بفتح الشين ، هو الخليج ، وجلة البحر ، وهو أيضاً شجر . جمهـه : شـرـم (أقرب
الموارد) .

(**) - تاجر السفن : باع منها واشتري

السفن التي تقف في هذا المكان . وفي وسط السهل ، تقريبا ، وبين الميناءين ، نخلة وحيدة تتطلل أحياناً بظلّتها الضئيلة جماعات من البدو او من البحارة العرب لإعداد طعامهم القليل ، او للاستراحة بعض الوقت هرباً من قيظ الظهيرة .

ويتردد الكثيرون على الشرم لعنوبة مائه وأمن مرؤايه ، وتعتمده السفن للارساع في الليل ، ولا سيما تلك المسافرة الى الشمال . وما ان يلوح شراع في عرض البحر حتى يسرع احد الصيادين المقيمين هناك بنقل الخبر الى جماعته في قبيلة مُزَينة . ومن عادة هؤلاء انهم يضربون خيامهم في وادي العاط ، على خمس ساعات من الشاطئ . وفور ورود النباء يقوم احدهم بتحضير الجمال ويتجهون نحو الشرم «للنزول ورؤية ما أرسله الله لهم» - على حد تعبيرهم . وهم يتضاحون كل سفينه ترسو جزية قليلة قد تكون حبوباً وارزاً ، ويأملون ، بالإضافة اليها ، بان يقعوا على حاج او مسافر ضناه سفر البحر طوال اربعين او خمسين يوماً فيحاولون إغراءه بسيجاره جمامهم ليتابع رحلته براً الى السويس او الى القاهرة .

ان الصيادين المقيمين في الميناء فقراء الحال من اصل بدوي ، فقدوا ماشيتهم وإبلهم في احدى الحوادث التي تمر بهم في حياة البداوة ، فاضطروا لهجر الصحراء واللجوء الى البحر في طلب العيش . والسمك طعامهم في اكثير الاحيان ، وقد ينبعون هذا الطعام بما تعطيهم اياه جماعتهم من ذرة او طحين أجرأ للرحلات القصيرة التي يقومون بها الى وادي العاط ، او بما يحصلون عليه من جماعات السفن من خبز وأرز مقايضة باسمائهم . وهم يستعملون الخيط والصنارة في الصيد . ويصنعون الصنائر من المسامير او من قراضة الحديد التي يعثرون عليها ، ويحصلون على الخيوط بمقايضة البحارة المارين . وان وفرة الاسماك في البحر المجاور ومهارة الصيادين تخفّفان الكثير من حاجتهم الى أدوات افضل .

وكثيرون من اخوانهم الرحل في جبل سيناء ومن قبيلة هتيم التي انتقل بعض بطونها هذا العام الى جزيرة تيران ، يملكون هم ايضا قوارب يتجررون بواسطتها

في نطاق ضيق بين شبه جزيرة سيناء وسواحل بلاد العرب ومصر . وهم يعرفون ساحل مصر باسم «بر العجم» - ومن المحتمل انهم اطلقوا هكذا لأنهم يعدون مصر ارض شعب من اصل غير عربي ، وبالتالي بربيري (*) ويجلبون منه القمح والذرة والدُّخْن فيسدّون بعضها حاجات عائلاتهم وييمونون بالجزء الاكبر منها المدن الصغيرة والبدو المنتشرين على طول الساحل العربي حتى «الوجه» الذي ندر ما تجاوزوه الى الجنوب .

وفي موسم سفر القوافل المصرية الى مكة وعودتها منها تنشط تجارة البدو في الاماكن التي تتوقف فيها تلك القوافل ليلة او بضعة ايام ، فيصلون اليها محملين جميع اصناف المؤن يقايسونها بالبن والتواابل والثياب والأسلحة ، وبأية سلعة اخرى قد يتخلّى عنها الحاج . لذلك قصد بدّو شبه جزيرة سيناء في قواربهم الى الموبلح للاقاء الحجيج العائدين سعيا الى الكسب من هذه المقايسة .

وبعد ستة ايام قضيتها مع الصيادين العشرة الذين يؤلفون سكان الشَّرْم - بعضهم عراة والآخرون يرتدون الاسماك - عاد اول مركب من بلاد العرب يملّكه بدوي من بني عُقبة يعيش منذ سنوات مع عرب مُزَيْنة في جبال سيناء . وما ان رسا المركب الصغير حتى جرّه صاحبه الى الشاطئ وأخذ يجرّده من شرائعه ليقيمه في عهدة الصيادين ريثما يزور عائلته في وادي العاط . وبعد إلحاح شديد ، ويعيله من المال لا يأس به ، استطعت اقناعه كي يرجع زورقه الى البحر وينقلني الى الموبلح التي غادرها منذ قليل . وأبحرنا مساء ومررنا ليلا بجزيرة تيران .

في الصباح ادركنا عاصفة شديدة هبّت من الغرب ودفعتنا الى الجمود الى مرسى غير أمين بين الصخور المرجانية في جزيرة شوشوة ، فتوقفنا بضم

(*) - بمعنى «غربي» . من اليونانية واللاتينية : أطلق اليونان اسم برباروس على الشعوب غير اليونانية ، وأطلق الرومان من بعدهم على الشعوب غير اليونانية وغير الرومانية . وعند العرب ترافق الكلمة عجم .

ساعات الى أن مالت الريح الى اتجاه شماليّ - شمالي غربي ، وسكن البحر المأج بعض السكون ، فغادرنا ملجاناً وتابعنا السفر الى جزيرة برقان وفيها قضينا ليتنا . وفي غد انطلقتنا صباحا . فمرنا بجزيرة يَبْعُدُ الصغيرة ووصلنا الى المویح عند الظهر .

المویح بلدة من اعمال حکومة مصر ، ومن أهم الاماكن على طريق حجاجها الى الحجاز ، وفيها ، كما في سواها من المحطات الرئيسية في طريق الحج ، قلعة وبعض منازل من حجر . يحوس القلعة جنود مصرية ويسكن المنازل ضباط الحامية وأتباعهم . اما السكان الآخرون ، اي التجار الصغار وعائلات البدو الصغيرة ، فيكتفون باكواخ مؤقتة تدعى بـ كـاكـير (من بـكـار) مصنوعة من الجريد ومسقوفة بالخوص . ويقدر عدد افراد الحامية باربعين شخصا . والسكان الآخرون يصل عددهم سبعين او ثمانين عائلة .

والقلاع المنتشرة في هذا الطريق ، وفي طريق الحج السوري ، متشابهة البناء وان اختلف الحجم ، شادها ، في الارجح ، السلاطين الاتراك لحماية الحجيج ولتمويلهم ، ولحراسة الآبار الموجودة في اكثر تلك القلاع . وتلود الحامية أيضا عن المقيمين خارج الاسوار من غزو البدو الذين يعيشون من السلب والنهب . ولما كان اواخر الباشوات (الولاة) قد حدّوا من سطوة العرب وبأسهم ، فان الحكومة التركية المترامية اهملت ترميم القلاع ، فأخذت هذه تنهار بسرعة على رغم من انها في الاصل منيعة يسهل الدفاع عنها .

والبدو الذين يقصدون المویح لاقامة مؤقتة ، قد تطول وقد تقصر ، يسكنون الاكواخ او البـكـاكـير التي ذكرتها ، او انهم يعيشون في خيام يجلبونها معهم . وهم فقراء من بطون اكرهتها ظروف السوء على مغادرة الصحراء بعض الزمان على امل العودة ، فصار بعضهم يتعذر بحياة المدينة ويقيم فيها ابدا . ومن توافر له الامكانيات يعمل في التجارة مع عرب المناطق القرية على ساحل البحر الاحمر ، مزاحما

سكان القلعة والمصريين والتجار العابرين .

اذن ، للموبلح اهمية بالغة بالنسبة لبدو الجوار لأنها اقرب بلدة اليهم وهي في اكثرا الاقات المحطة الوحيدة التي يحصلون فيها على مؤن بالمقاييسة بعاشتهم وبخليبيها . واذا لم تتوفر الماشية والحلب تعاملوا «على الحساب» كما حصل لبطن رئيسي من قبيلة معازة ، وانا هناك ، فقد تكون الارز واندرة بما قيمته الف وخمسماية دولار اسباني (*) ديناً باسم الحكومة المصرية وبواسطة وكيل القلعة .

وليس في الموبلح مرسى للسفن سوى فرضية خطرة ، خلف الصخور المرجانية البعيدة عن الشاطئ بعض الشيء ، وقلما تزورها مراكب اكبر حجما من السفن التي ترسلها حكومة مصر من القصير الى القلعة . والمؤن هنا اعلى كثيرا منها في الوجه . أضف الى ذلك رأي البدو بتتفوق الحبوب السورية ، صلابةً ونوعاً ، ولهذا يفضلون ان يتمونوا من غزة ، ولا سيما اذا لم تمنعهم من الذهاب اليها حرب في الصحراء ، او صعوبة في اكتشاف المراعي .

ان الكثيرين من سكان الموبلح يملكون بساتين وجنائن نخل تتفوق بمساحتها وبالعنابة التي تلقاها على البساتين والجنائن الاخرى على الطريق الى مكة .

اما المياه هنا فليسست جيدة دائماً ، الا انها غزيرة تأتي من الآبار الضاحلة الكثيرة في البلدة وضواحيها ، كما ان في الساحل وعلى طوله ينابيع سطحية لا تبعد احياناً عن اعلى نيم (**) للموج ، مياهاها فاترة تضرب الى الملوحة . ويتساقط المطر في الموبلح ، والى حد ما في الجزء الشمالي الغربي من بلاد العرب في اوقات متقطعة بين شهري تشرين الاول (اكتوبر) ونisan (ابريل) ، ويحرّ الطقس ويجف في الاشهر الاخرى .

(*) - يقول تشارلز دوتي ان تداول دولار ماريا تريزا الفضي والريال الاسپاني هو الذي كان معمولا به في بلاد العربية .

(**) - أقصى حد من الشاطئ يصل إليه موج البحر .

ولما كان في عرف العرب ان كل قرية او بلدة في ارضهم تملکها قبيلة معينة ؛ فبنو عقبة الذين من عادتهم التزول في هذه الضواحي يعدون المولىع ملكاً لهم ، ولذا يطلق عليهم لقب غفراء (*) المكان . ويقولون ان لهم حقاً ممتازاً تجاه القبائل الاخرى في مرافقة الحجاج لحمايتهم بين البدع - على بضع ساعات الى الجنوب من العقبة - وبين ضبا المعروفة ايضاً باسم بير السلطان ، وهاتان المحلتان تحدان دياربني عقبة .

ان العرب هنا - وهم السكان الشرعيون - لا يشتركون في ادارة شؤونهم المحلية - ومثل هذا حالم في جميع اعمال مصر . اما البلدان التي في الطريق السوري ، فحقوق سكانها محفوظة كما هي في اكثرا الانحاء العربية حيث يعمل بالقوانيين الفطرية والعرف البدوي والتقاليد الصحراوية . وقد أنشئ هنا جهاز قضاءٍ اسلامي يديره الضباط الاتراك .

ويخيل اليّ ان المولىع بلدة حديثة ، يعود الفضل بوجودها الى أنها على طريق الحج المصري . ولم أجده لها ذكرًا في المخطوطات العربية التي اتيح لي الرجوع اليها ، ولا دلائل او تقاليد عند السكان تشير الى قدمها .

يروي بنو عقبة انهم كانوا في الماضي البعيد قبيلة كبيرة ذات نفوذ تملك الاراضي الممتدة من شاما الى داما - شاما تعني الصحراء السورية ، وداما تشير الى وادٍ ما يزال يحمل اسمها بين ضبا واسطبل عنتر - ويقولون ان القبيلة انقسمت في صدر الاسلام قسمين كبيرين : مسلمة ونبي عمرو ، وجدهما واحداً اسمه معروف . وبسبب خلافات عائلية بين شيخبني عمرو وزوجته (عبيفة) شقيقة علي بن النجاشي زعيم البطن الآخر ، نشب تزاعات انتهت بان مسلمة طردتبني عمرو من ضواحي المولىع وارغمتهم على اللجوء الى قبيلة الحجاجيا في ضواحي

(*) - أو على الأصح « حراس » - فالين .

الطفيلية فاندمجوا بها وصاروا معها منذ ذلك الحين قبيلة واحدة ، ولكنهم ظلوا يَكْتُون العداء لأنسبيهم المسالمة . وفي الماضي نزحت عائلات عديدة من هذه القبيلة الكبيرة إلى شمالي إفريقيا واحتلّت آخرون منها بفلاحي مصر حتى تضاعفت عددها إلى أربعين أو خمسين مضربا في ضواحي الموبلح . وتملكت الحويطات الحديثة العهد ، والمتزايدة عددا ، أراضي المناطق الشمالية من هذه البلاد التي كانت لبني عقبة .

وفي القلقشندي أجد هذه الملاحظة : (*) «بنو عقبة بطن من جذام من القحطانية ، قال الحمداني : وهم بنو عقبة بن مجربة (**) بن جذام . قال في «العبر» : وديارهم من الكرك إلى الأرْزُم في برية الحجاز ، وعليهم درك الطريق ما بين مصر والمدينة النبوية إلى حدود غزة من بلاد الشام . قال في «مسالك الابصار» : وعليهم درك حجيج مصر من العقبة إلى الداما . قال : وفرقة منهم بالحجاز من بني واصل بن عقبة . قال في «العبر» : وبافريقيا وبالبلاد المغرب منهم بقية وامة كثيرة النواحي في طرابلس . » ويقول القلقشندي أيضاً : « وبنو واصل الذين موطنهم مصر فرع من بني عقبة من بني مجربة بن جذام من القحطانية . قال الحمداني : ومنهم فرقة بالحجاز نازلون بأجا وسلمى جبلي طيء ». »

أما المكان الوحيد الذين التقيت فيه بني واصل ففي الشرم في شبه جزيرة سيناء حيث روى لي الصيادان اللدان ذكرهما ، انهم واصليان ، وقد حدثاني فيما هما يرحبان بي عن عظمة اجدادهما ، ولم اسمع شيئاً عن هذه القبيلة في جبلي طيء ولا في جبل شمر .

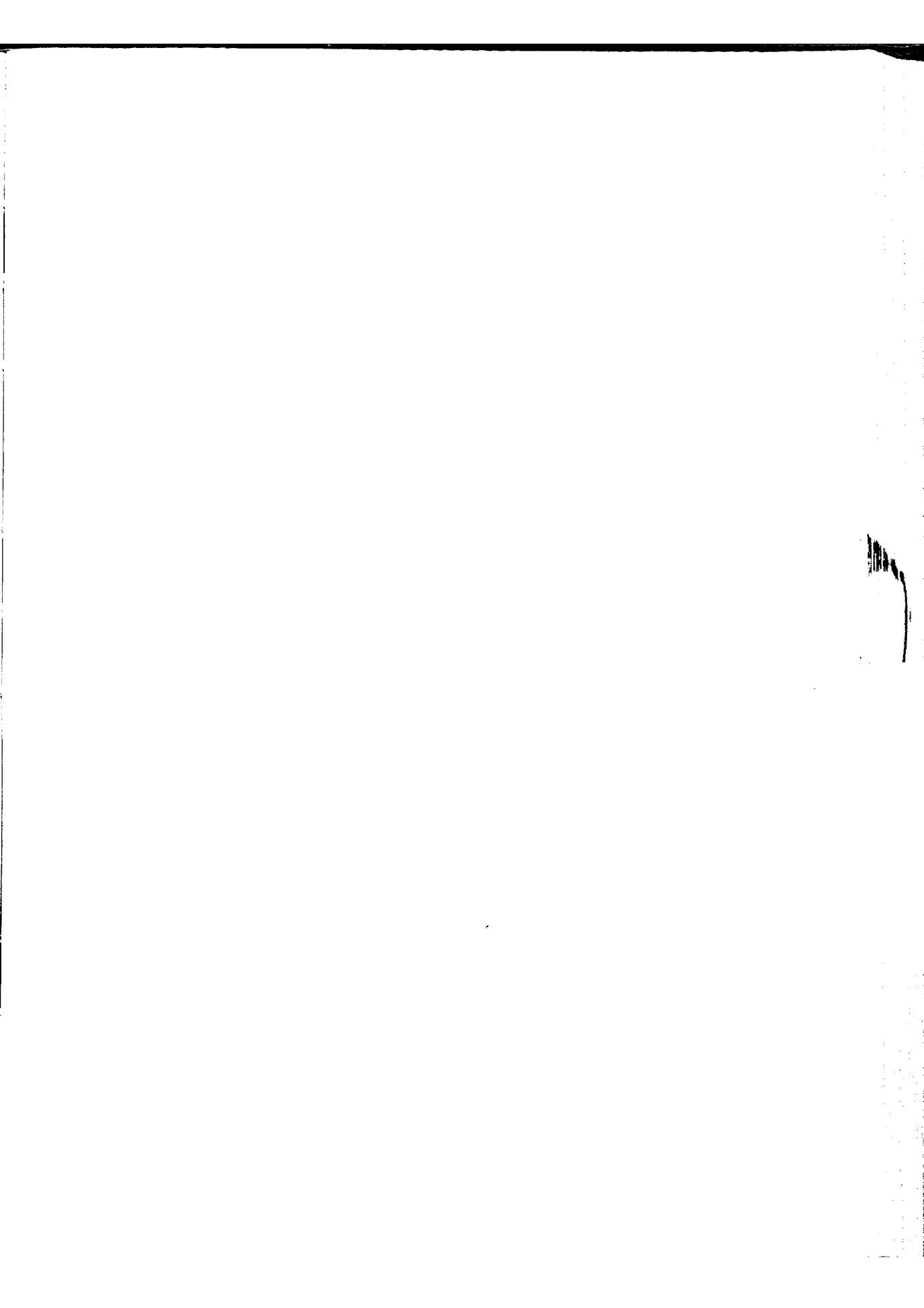
ان اراضي هذا الجزء من بلاد العرب تعرف بالساحل . وهي المترامية بين

(*) - نهاية الأربع - ط. بغداد ١٩٥٨ ، ص ٣٣٦ .
 (**) - وردت مغربية عند المؤلف استناداً إلى مخطوط في المتحف البريطاني رقمه ٧٣٥٣ . ووردت في «معجم قبائل العرب» لعمرو رضا كحالة : عقبة بن مخرمة (٢ : ٧٩٧)

De Gedre älsta Bidrainsnes fortäder visat
en gelyck tider att detta var en
detta var i allra ännor att den
dette Arböring försöker det eminirande tycke,
görde hysig försöker. T

folge var den betydelig, som enligt de Arkebute
och Döder
Orthopristerna ej fanns i den avsatta i den
en betydande koncentration och koncentrat
organet var det enda som antogs vara tillförlitlig.
Körnarna stod den betydeligare med det upptagna
jord i sammankoppling med den omkringliggande
marken och vattenligen förekommer ofta i form
av stor till Arkebutterna Effektuation. Men
denna förekomst förekommer också i det rötterna
späckt i den ej grunda, ty om Klorofylleman
med dess att den ej kommit tillräckligt med
klorofyl i utvecklingen och därför endast
varken klorofyl och orthopristerna upptagna
eller vattenligen att ingående förbländas även i formen av en 2, en partikulär
dannar med koncentratet af vattenligen upptagna tillräcklig
det vatten af ej utan det nog närmaste, som ger
denna betydelig af de viktiga beroenden Arkebutterna
di det dock med den formen och hos den Orthopristerna
sigs intet annat varur än ett upphöjande
J. Det viktigaste är dock antalet rötter af
vissa arter av Arkebutterna.

صفحة من خط قالين عن حرف الضاد «أصعب الحروف وأشدّها على اللسان».



البحر وسلسلة جبال غرانيتية موازية للشاطئ وتبعد عنه ثمانى ساعات (٢٤ ميلاً) ويخلل المنطقة — باستثناء رقعة الشاطئ — أودية تنحدر من السلسلة الرئيسية في اتجاهٍ جنوبى—غربي، أكبرها وادي السرحان الممتد من جبل شار في السلسلة الرئيسية حتى الموبلح ، وفيه بئر عظيم يستقي منه السكان . وهناك وادٍ آخر يقع على مسيرة ست ساعات (١٨ ميلاً) إلى الشمال من الموبلح اسمه وادي تريم فيه الآبار المسماة «العيون» ، وفيه يقضى الحجاج ليتهم الاول بعد مغادرتهم الموبلح إلى مصر . وإلى الجنوب ، بين ضبا واسطبل عنتر (*) يقع وادي داما ، وفي ناحية الوجه يقع وادي الفرا ووادي أزم (*) .

وجميع هذه الأودية — بما فيها الصغيرة القريبة من سفح سلسلة الجبال — منبسطات من رمال ناعمة متموجة غير جلية التحديد ، إذ لا تفصل التلال بينها فصلاً واضحاً . ويطلق اسم جبال الشفا ، او جبال تهامة ، على جزء من السلسلة التي وصفتها بأنها الحد الشرقي للساحل . وهذا الجزء يمتد من موضع يقابل «الوجه» وينتهي في وادي اللثُّم . ووادي اللثُّم متدرج في سلسلة الجبال ، على ثمانى ساعات (٢٤ ميلاً) إلى الشمال من العقبة . وتكملاً لهذه السلسلة — من الشمال من وادي اللثُّم حتى تلتقي جبال سوريا — اسمها جبال الشراة . واعلى القمم القريبة من الموبلح جبل شار وقد مر ذكره . وإلى الشمال منه أم جُدَيْلة ، وجِيم ، وصدر ، وحرب .

ان ارض الساحل مجده في الاكثر ، والمراعي فيها غير كافية ، إلا أنها تنبت السمرُ والطلائح (**) بكثرة. اوطما ينتج صمغاً دون صمغ الحجاز نوعاً،

(*) — هناك بلدة باسم إسطبل عنتر ، على طريق الحج السوري تقع شمالي المدينة المنورة .

(**) — هنا عقب المؤلف فقال انه يجب الاستسلام عما اذا كان هذان الواديان هما إلى الجنوب من اسطبل عنتر .

(***) — السمر ، كربجل ، نبات من فصيلة الاسيليات تصنع منه الكراسي والسلال ، وشجر من العصاء =

والآخر يعطي خشباً كثيراً يستخدم للوقود ويصنع منه الفحم . والبدو يبيعون الصمغ والخطب في المولىح والسويس ، وأحياناً في القاهرة .

وغير بي عقبة المقيمين في الضواحي الملتصلة بالمولىح ، يقطن تلك الديار بكاملها ، تقريباً ، الحويطات أحدي أكبر القبائل اليوم ، وهم منتشرون من بطراً (وادي موسى) إلى الوجه ، على مد الساحل ، وفي أماكن من الجبال الشرقية وفي مناطق عديدة من مصر . والقبائل الأخرى تتعالى على عرب الحويطات لكونهم مختلطين ب فلاحين وليسوا من أصل بدوي قح ، وتحسبهم في مستوى قبيلة هَيْتِيْم المستضفعة التي يوصف ابناؤها بـ « نطاطي الحيط » .

وبطون الحويطات الرئيسية المقيمة هنا هي الطقيقَات ، والعميرات ، والعمران . ومن القوم من يعدّ الطقيقَات أشرف هذه البطون وأنها قبيلة مستقلة . وهي تسرح في وادي تريم وضواحيه حتى العقبة في الشمال . ومن الحويطات أيضاً : العُبيَّات ، والحرافين ، والسلَّميين ، والمُسالمَة ، والعرُينات ، والصُّعَين ، والشرمان ، تردد على مناطق جنوبى المولىح باتجاه استبل عنتر . ومنها أيضاً : المشاهير ، والقرعان وهو يقيم في وادي آزلم عند سفح جبل سُويَّد وفي جوار الوجه . والحويطات تقول أن جدها كان يدعى رَيْشَه . ولم استطع العثور على آية اشارة إليه أو إلى سلالته في « انساب العرب » التي اطلعت عليها .

وهناك قبيلة صغيرة تدعى المساعيد ، لا تمت إلى الحويطات ، تقول أنها نزحت في البدء من وادي ليف في اليمن ، ومن عادتها التزول قرب مقنا ، هذه ، مكان قيل لي أنه مجموع أكواخ من الخوص (بكاكير) على يومين إلى الجنوب من العقبة .

= ليس أجدو منه خشبًا ، ينقل إلى القرى لتسقف به البيوت . وهو الشوكة المصرية . (والاسل
نبات دقيق الأغصان تتحذى منه الغرابيل بالعراق) .
والطلح : شجر لها شوك ترعاه الأبل . — « أقرب الموارد »

وقد امكننا تبسيط جنائز نخلٍ فسيحة ، يجاريها جدول ماء ، ويلملأها بنو عقبة وسواهم من عرب الجوار ، وتعني بها قبيلة من الفلاحين اسمهم الفوَيْدَة يشاركون أصحابها في استثمارها — كما هو الحال عند الجبلية في جبال سيناء — لقاء عنائهم بها . وفي موسم القطايف يجتمع أصحاب الجنائز لبني المحاصيل وتقوم سوق يؤمنها عربٌ كثُرٌ من مناطق بعيدة للمتاجرة والمقايضة .

٢٠ من شباط (فبراير) ١٨٤٨ غادرت المولى يرافقني عقبة (*)
ومشيينا ساعة في السهل الرملي القاحل ، بمحاذاة طريق الحج تقربياً ، ثم دخلنا وادياً مسطحاً قليل النبات اسمه وادي القامرة . وسرنا فيه نصف ساعة فوصلنا إلى أكبات من صخور رملية ، او على الأصح : إلى أكبات غير منتظمة ، وإلى كتل من الرصيص (**) كتلك التي توجد في سفح سلاسل الجبال . وتابعنا السير في اتجاه شمالي — شرقي : عبر اودية تعلق تدريجاً بين تلال لها الصفات عينها لكن لونها قاتم ، وبعد ست ساعات على مغادرتنا المولى وصلنا إلى مضارب رفيقي ودليلي .

٢١ من شباط (فبراير) تابعنا السير وقد رافقني جماعة دليلي كلهم بعد أن قرروا أمس الانتقال من مكانهم . واجتنزا وادياً صغيراً اسمه ويوي ، أتينا منه إلى وادٍ أكبر اسمه وادي صدر يؤلف من وهادٍ متباينة ومتباعدة ، ومن اوديةٍ صغيرة تحدُّر من بين قمم السلسلة الرئيسية . ووادي صدر يتسع تدريجاً ليصير سهلاً منبسطاً عند السفح . والوهداد في الجبال وعراً وشديدة الانحدار ، فيها المياه متوازنة وينمو في بعضها نخل يملأه بنو عقبة . وأما السهل فوالناعمة نظيفة تسمى «النُّفُود» والعربي ينظر إليها دائماً من شرح الصدر على أنها تمثل له العنصر الذي يميز أرضه وأرض أجداده .

(*) — فرد من قبيلة عقبة .

(**) — ما ركت عليه الحجارة . جمعها : رصائص .

ان وادي صدر من اخصب بقاع الساحل . ومقام محبب الى العرب هنا ،
فما ان بدا لنا السهل الاصفر حتى هتفت نساء القبيلة بارتياح ظاهر : «الحمد
لله ، لقد رأينا النعوذ مرة اخرى !»

اجتازنا سهل صدر في اتجاهٍ شماليّ - شمالي شرقى نحو قمة جبل حرب .
وكنا نابي دعوات المضارب التي مررنا بها فتأخرنا وغابت الشمس عنا قبل وصولنا
إلى الجبل . أما مدة سيرنا الفعلى من ويُوَي فثلاث ساعات .

استقبلتنا العُميرات - وهي بطن من الحويطات - بالقهوة والعشاء ، على
رغم من ان قبيلة المعازه كانت قد أغارت عليها قبل يومين . ولم يكن لدى
مضيفينا - شأن جميع البدو الفقراء في فصل الربيع - خيام تقينا الرياح الغربية
القاسية الباردة ، التي تعصف بجبل حرب عصفاً شديداً . قيل لي ان هذه الرياح
تهب هنا بانتظام كل سبعة ايام ، فتبدأ بعد الغريب وتستمر طوال الليل ، ويعقبها
في النهار نسيم من الجنوب ، وهي محلية قل " ان تمتد" الى ابعد من الاراضي المترامية
في سفح الجبل ، أو ان تصعد الى البحر .

٢٢ من شباط (فبراير) — تابعنا السير قليلاً في وادي صدر ، في
سفح جبل حرب . وهذا الجبل ينبعط جنبه المرتفع والشديد الانحدار في زاوية
تميل إلى اتجاه شرقى - شماليّ شرقى ، ويشكل فتحة فسيحة في السلسلة الرئيسية .
ثم سرنا ساعة وعشرين دقائق ، ودخلنا الشعاب الوعرة من السلسلة ، واول وادٍ أتينا
إليه هو وادي الكحلة اجتزاه في ساعة وعشرين دقيقة ، ويطلق على امتداده نحو
الشمال الشرقي اسم الحُلْيَة . وبعد ساعتين وعشرين دقائق اخرى وصلنا إلى شعب
اسمه نقب الحُلْيَة . وتابعنا السير ساعة وعشرين دقيقة اخرى ، عابرين قمة
الشعب وهبطنا في سهل دائري مفتوح يدعى السُّوَيْقة .

٢٥ من شباط (فبراير) — اجتازنا وادي السُّوَيْقة في خمسٍ واربعين دقيقة

إلى سلسلة ادنى من التلال ، على الجانب القبلي - الشرقي من الوادي ، ودخلنا وادياً اسمه المُرْيحة اجتنزاه في ساعة وخمسٍ وأربعين دقيقة . وتابعنا سبيلاً عبر ممر اسمه «ضيقة السَّلْوَل» (*) فوصلنا بعد ساعة وعشرين دقيقة إلى «وادي الصواوين» وهو وادٌ متناسق ينحدر بسرعة في اتجاهٍ غربيٍ - جنوبيٍّ غربيٍّ . كان اتجاه سيرنا ثابتاً حتى الآن في اتجاهٍ جنوبيٍّ - جنوبيٍّ غربيٍّ ، فملأنا إلى الشمال الشرقي وسراً على درب عسير في قعر الوادي تعرّضه حجارة ضخمة وكسراء صخور . وبتنا في خيام بني تُجَرَّاء من قبيلة المعازه .

٢٦ من شباط (فبراير) سرنا ساعتين ونصف الساعة صعداً في الوادي حتى وصلنا إلى نقب الصواوين ، وهو شِعب شديد الانحدار قضينا ساعتين في تسلقه . والقمة التي وصلنا إليها ترتكز على الحرف الذي يفصل بين الأودية والسيول الشتوية المنحدرة إلى البحر الأحمر وبين تلك التي تتجه إلى داخل الصحراء . وهذه المرتفعات تقوم فاصلة بين جزئين مستقلين من بلاد العرب .

إليك بعض ملاحظات على الأرض التي اجتنزناها :

هذه المنطقة هي الجزء الداخلي من سلسلة الجبال ، وتتألف من تلالٍ شديدة الانحدار ومن أودية تتتالي بغير انظام . أرضها صخور عارية هنا ، ورمالٍ هناك ، ونباتها يماثل نبات الساحل ، إلاً أن الشجر فيها أكثر من الشجيرات . والأودية تكسوها حصىًّا وحطاماً صخوراً تبعث بمنظر كثيف من الخراب والدمار .

وجبال السلسلة في جهة الشاطيء صخور غرانيتية . وفي الداخل ، نحو الشرق ، صخور رملية بستنة اللون قاتمة . وفي هذه الجبال ينمو السنط ، وينمو بينه في بعض الأماكن نخيل ولوذ . على هذه الديار الممتدة من حوافى الجبال المطلة على الشاطيء ، إلى منطقة

(*) أو «السلول» .

التلل في داخل السلسلة يطلق اسم تهامة . ولم أجد لهذه البقعة ذكرًا صريحةً في المؤلفات العربية إلاً في قاموس الفيروزبادي (٣٦) الذي يقول ان التهامة (بفتح التاء) تعني : « الارض المنحدرة المتصوّبة إلى البحر » ، وان هناك فارقاً بينهما وبين الارض المنخفضة المسماة التهامة (بكسر التاء) التي يعدّها اكثـر جغرافيـيـ العرب الجزء الجنوبي من الحجاز . ومن المشهور ان الخطوط الفاصلة التي يتخذها هؤلاء حدوداً لمناطقهم المختلفة هي خطوط غامضة ومتناقضـة ، تختلف في حالات كثيرة عن الحدود المعينة لها في يومـنا هذا (*) فالمدائـيـ (٣٧) ، مثلاً ، يرى — وقد أخذ برأيه كوسان دي پرسـفال (٢١) في آخر كتابـه التفيسـة « بحث في تاريخ العرب قبل الاسلام » — ان الحجاز اسم شائع يطلق على كامل سلسلـة الجبال المتـدة على طول ساحـل البحر الاحمر من اليمـن إلى سوريا . والواقدـيـ (٣٨) يطلق هذا الاسم على الاراضـيـ المتـدة من المدينة إلى تبوك فقط . في حين ان ابن ايـاس (٣٩) ، يطلق اسم الشـراة على كامل سلسلـة الجبال . وقال لي عـربـيـ من الطائف ان مواطنـيـ يطلقـونـ اسم تهـاماـ على ما يسمـيـه العرب الآخـرونـ بالـحجـازـ .

والتهامـيونـ الحاليـيونـ يـقـسـمـونـ سـلـسلـةـ الجـبـالـ والـارـاضـيـ الجـبـلـيةـ المتـصلـةـ بهـاـ أـقـسـامـاـ ثلاثةـ : الحـجـازـ وـهـاماـ وـالـشـراـةـ . وـحدـودـ الحـجـازـ الشـرقـيـةـ تمـتدـ منـ الطـائـفـ إلىـ المـديـنـةـ فـالـحـجـرـ (ـ كـادـ الجـغـرـافـيـونـ العـربـ يـجـمعـونـ عـلـىـ استـشـاءـ الطـائـفـ والمـديـنـةـ منـ كـوـهـماـ حـجـازـتـينـ)ـ ، اـمـاـ الحـدـودـ الشـرقـيـةـ لـتـهـاماـ الـيـوـمـ فـمـنـ الـحـجـرـ شـمـالـاـ عـلـىـ طـولـ القـسـمـ الشـرقـيـ منـ جـبـالـ الشـفـاـ حـتـىـ وـادـيـ اللـمـ .ـ وـيـطـلـقـ اـسـمـ التـهـاماـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ ، فـيـ الـارـجـعـ ، بـسـبـبـ اـنـطـلـاقـ معـنـىـ لـفـظـهـاـ عـلـىـ الـجـوـ الـوـحـشـ وـالـلـوـحـشـ الـذـيـ يـعـمـ اـرـضـاـ مـنـخـفـصـةـ تـحـيطـ بـهـاـ الجـبـالـ ، وـمـقـابـلـتـهـ بـنـجـدـ الـمـنـطـقـةـ المـفـتوـحةـ ذاتـ الـمـنـاخـ الصـحيـ .ـ هـذـاـ ، وـلـاـ فـرـقـ فـيـ عـدـ الـبـحـرـ اوـ الـجـزـءـ الغـرـبـيـ منـ السـلـسلـةـ حـدـودـ التـهـاماـ منـ الـغـربـ .ـ وـفـيـ يـوـمـناـ هـذـاـ تـعـرـفـ الـارـضـ المحـاذـيـةـ

(*) - كـتبـ فالـيـنـ رـحلـتـهـ هـذـهـ سـنةـ ١٨٤٨ـ .

للساطىء في موبلح وضواحيها باسم الساحل فقط . ولم يطرق اذني سوى « جبال الشراة » اسمًا للجبال في المنطقة الممتدة من وادي اللشّم إلى سوريا .

وإذا قابلنا ما رواه الكتاب العرب ، في تقسيم المنطقة ، بروايات السكان الحاليين ، رأينا ان الحجاز - الذي يفصل بين الأرض المرتفعة والبحر - والتهامة والشراة هي في الأصل ألفاظ خاصة تطلق على أجزاء مختلفة من المنطقة ما لبث عدد من الكتاب ان عمّموا استعمالها في تسمية المنطقة كلها . وثبتت هذا الرأي في نظري ملاحظتان وردتا في كلام بعض كتاب العرب على الميزات الطبيعية لنجد والهجاز والتهامة ، إذ قالوا ، اولا ، إن « اودية التهامة تنحدر غرباً نحو البحر ، واودية نجد تذهب شرقاً نحو الداخل » ، ثم قالوا ان « الأرض التي تبت السمرُ والطَّلَحُ والاسل هي تهامة ، والتي تنبت الغضا (*) هي نجد . والملاحظتان ثبتت صحتهما مشاهداتي - إلا ما ندر - وتصلحان على صعيد الطوبوغرافية والنباتات ، لتعريف الساحل او الأرض الساحلية بأنها الحجاز والتهامة ، ولتمييزهما عن نجد .

وفي الجزء الممتد من تهامة - بين موبلح والعقبة - تقيم بطون من الحويطات في المناطق المنخفضة قرب الساحل ، وبطون من المعاذه في المرتفعات يتزرون منها أحياناً إلى سهول الداخل .

أعود إلى وصف طريقي من محطتنا على قمة « نقب الصواوين » حيث يبدأ

(*) - النضا : من شجر الباذنة ومن أجود الؤود وأبقاء نارا . والنضا ايضا : واد في نجد قال فيه مالك بن الريب :

الا ليت شعرى هل ابتن ليلة بحب الغضا ازجي القلاص التواجيا
وليت الغضا يوم ارتخلنا تقاصرت بطول الغضا حتى أرى من ورائيا
لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا مزار ، ولكن النضا ليس دانيا
(رواية ياقوت في « معجم البلدان » ، ص ٢٠٥ من طبعة دار صادر ودار بيروت) .

انحدار الأرض إلى داخل الصحراء انحداراً بطيئاً لا يكاد يشعر به ، على ما هو الحال في شرق جبال الشراة ، وعلى عكس السفح الغربي الوعر والشديد التحدّر . ولولا آثار السيول الشتوية لما درينا بان هناك منحدراً .

نزلنا في وادٍ اسمه وادي رَوْيَان وسلكناه نزولاً ساعة نحو الشرق - الجنوب الشرقي ، ثم عطفنا إلى اليسار ودخلنا الحسْمَى (٤) وهي سهل فسيح من رمل ناعم ومنتَجَت نسبياً ، وأكثر التفود وصحراء نجد من هذا الرمل . وسهل الحسْمَى يترامى من معان في الشمال إلى تبوك في الجنوب ، ومن تَهَامَة في الغرب إلى طريق الحجَّ السُّورِي في الشرق . ويمتدّ أيضاً نحو الشمال الشرقي باسماء مختلفة ، وتعترضه هنا وهناك صخورٌ وحجارة حتى يتصل براضي النُّفُود وهي وادي السرحان والضحي أو صحراء النفوذ . وتحد الحسْمَى جنوباً ، ، سلسلة تلال جانبية ، شديدة الانحدار تعرف بجَبَال الْحَرَّة تتفرع في زاوية حادة من جبال الشفا مقابل قمة جبل شار ، وتترامى إلى الشمال الشرقي ، وتغوص تدريجياً في أكمات غير منتَظمة في جوار تبوك . ومن راس الزاوية الحادة - واسمها : الزاوية - بين جبال الشفا وطرف جبال الحَرَّة تمتد أرض الحسْمَى وتفتح تدريجياً في سهل فسيح تبعثُر فيه بعض تلال معزولة يفصل بينها ممرٌ اتجاهُه شماليّ غربي . هذه التلال من صخور رملية لونها أحمر كلون الحَرَّة ، وتبعد كأنها كتل فصلت منها . وظاهر التربة وإن تاجها يشبهان مظهر تربة نجد وإن تاجها ، في حين أن هذا الاسم لا يطلق عليها بل يقتصر على منطقة النفوذ الداخلية من بلاد العرب .

يقول صاحب «القاموس» : إن الحسْمَى «أرض في الصحراء ذات جبال مرتفعة يغلف السديمُ قممها » (*) ولعله يعني جُرف الواجهة الشمالية لجبال الحَرَّة التي تحدّ حسْمَى في الجنوب وقمة الشفا العالية . أما السديم فلم أر منه شيئاً أثناء الأيام القليلة التي قضيتها هنا . وقد تمعنا بسماء صحراوية صافية سامة .

(*) - السديم : الشباب ، جمعها سدم ، (بضم السين والدال) .

ان ارتفاع تلال الحرّة لا يزيد ، حسب تقديرى ، أكثر من خمسة
قدم عن مستوى السهل ، الا ان الفارق في درجات الحرارة بين هذه المنطقة والمنطقة
المنخفضة محسوس : ففي تهامة والساحل كانت درجة الحرارة في الشروق تتراوح
بين ١٥ و ١١ درجة مئوية (٥٩ و ٥٢ فهرنهايت) ، بينما هي هنا في الوقت
عينه - في أكثر الاوقات - تتراوح بين ٧٠ و ٧٧ درجات مئوية (٤١ و ٤٤ فهرنهايت) .
فالندى يتتساقط ليلاً ، مما لم اره في بلاد العرب ، كما يتتساقط في
الصحراء القريبة من النيل وعلى شواطئ البحر الاحمر . ولاحظت ان هذا
الجو الذي فيه بعض الرطوبة يسبب امراضًا صدرية ، وهي امراض نادرة جداً
في الداخل .

ويبدو لي ان طبيعة موقع الحسمى وشكلها العام يطابقان وصف كل ارض
اسماها جغرافيو العرب السّرّوة (جمعها سراوات) ، في حين انهم لم يعدّوها
كذلك . وسلسلة جبال الشفا تظهر من هنا أكثر انخفاضاً من سطح المنطقة ،
ويجوز القول : ان الحسمى تشرف على التهامة .

وسهل الحسمى يقطنه كله ، تقريباً ، المعاذه والعطية الذين يملكون جميع
الارض ، من بركة المعلم - ثاني محطة للحجاج إلى الجنوب من تبوك - إلى
وادي موسى . وإليه ينزلون أحياناً من الجبال فيختلطون بانسائهم التياها . وهم
يقولون انهم اصحاب بركة المعلم والأخضر وتبوك وذات الحج ، ومعان أيضاً ،
إلى حد ما ، ولهذا يفرضون على سكانها « خوة » قليلة مدعين أنها لقاء حماتهم
لهم من خطر القبائل الأخرى . وهم كذلك يحرسون الحجاج (وهو الدرك) في المنطقة
الممتدة من معان إلى بركة المعلم . وقسماتهم وطبعتهم تدل على ان اصولهم
سورى . ولم أجد كلاماً صريحاً بهذا المعنى عند نسائي العرب . وبطوفهم
الرئيسية : العطيات - وهم عائلة الشيخ الرئيس ابن العطية ، وانساؤه - والرّيلات ،
والسبوت او بنو سبّت ، والضيوفية ، والتّجراء ، والسليمات ، والعليان ،
والحضره ، والعمرّيون ، والسعدانيون . والبطن الوحيد الذي وجدته في « انساب

العرب » هو السُّبُوت ، ولعله الذي ذكره القلقشندي بأنه « بطن من ليد ، من سُلَيم (بضم السين) او سَلَيم (فتح السين) ، من العدنانية المقيمين في برقة) * * . والمعازه (**) منتشرون في أنحاء مصر كلها ، وربما اتبعوا من هناك الدرب التي طرقوها النازحون في خلال القرون السابقة من بلاد العرب إلى شمالي إفريقيا آمانين العودة إلى تقاليدهم الصحراوية الأصلية التي اضطروا لترك بعضها في حياة نصف فلحية قضوها في وادي النيل .

وكان يظن ان السُّبُوت (جمع سبت) (٤٠) هم – بسبب اسمهم والطقوش الغريبة التي عزّاهـا اليـهم بعض الرـاحـالـين الـأـورـوـپـيـن – من أصل يـهـودـيـ، وـانـهم ما يـزـالـون مـرـتـبـطـين بـالـدـيـنـ اليـهـودـيـ (* * *) ولـذـلـك رـاقـبـتـ تـقـالـيدـهـمـ بـعـنـيـةـ وـسـأـلـهـمـ عنـ أـصـلـهـمـ ، فـاجـابـوـنيـ جـمـيـعـاـ بـاـنـ اـسـمـ قـبـيلـهـمـ مشـتـقـ منـ اـسـمـ اـحـدـ اـجـدادـهـمـ « سـبـيـتانـ » ، وـهـوـ اـسـمـ ماـ يـزـالـ مـسـتـعـمـلاـ بـكـثـرـةـ بـيـنـ الـبـدـوـ ، اـمـاـ عـيـشـهـمـ وـتـقـالـيدـهـمـ فـلـمـ الـاحـظـ ماـ يـفـرـقـهـمـ فـيـهاـ عـنـ القـبـائـلـ الـمـجاـوـرـةـ ، إـلـاـ فـيـ عـادـةـ وـاحـدـةـ لـمـ اـرـهـاـنـيـ فـلـمـ الـخـيـمـ يـدـقـ عـنـ دـخـلـهـمـ بـاـقـتـنـاءـ جـرـسـ . وـبـحـثـتـ عـنـ اـصـلـهـاـ فـقـيـلـ لـيـ اـنـهـ عـادـةـ قـدـيـمةـ عـنـهـمـ اـبـتـهـاجـاـ بـعـودـةـ الـماـشـيـةـ وـبـاـقـبـالـ السـاعـةـ الـمـهـيـةـ لـلـلـيـلـ السـاجـيـ .

وليس لـدـ عـلـمـيـ انـ بـيـنـ الـعـربـ الـرـاحـلـ – اوـ فـيـ الـقـرـىـ وـالـمـدـنـ دـاـخـلـ الـبـلـادـ

(*) – نهاية الأرب : ص ٤١١ .

(**) – كتبها : معاري ، وصواليها « معازة » ، ويقال انهم وقبيلة عزّهـ منـ أـصـلـ واحدـ . وـاـذاـ صـحـ هـذـاـ فـهـمـ منـ رـبـيعـةـ منـ العـدـنـانـيـةـ .

(***) – هـذـاـ وـهـمـ سـمـعـهـ الـمـؤـلـفـ . وـهـوـ نـفـسـهـ قـدـ نـفـيـ بـعـدـ اـسـطـرـ ، اـنـ يـكـونـ دـاـخـلـ الـجـزـيرـةـ مـنـ يـعـتـنـقـ غـيرـ الـاسـلـامـ دـيـنـاـ .

العربية - اشخاصاً يعتقدون غير الاسلام دينا . ولم يطرق اذني في هذه البقاع التي زرتها ان قبائل ، او افراداً ، يتباهى بهم بانهم يدينون سرّاً بذهب آخر ، وهذا ليس سببه تعصباً من السكان الذين وجدتهم اكثر تسامحاً من سواهم من المسلمين ، ولكن الارجح فيه ان الدين الاسلامي يتألف كل الاتلاف بالبلاد التي نشأ فيها ، ولأن فقر الصحراء يثبط من عزيمة المجرة اليها . وقد يكون ايضاً لأن عيش البدو البسيط جداً يصرف ذوي العادات المقصولة بعض الشيء عن مخالطتهم .

ومثل اكبر القبائل التي لم ترغم على اعتناق المذهب الوهابي الاصلاحي اثناء سيادته ، ان عرب المعاذه عامة يجهلون دينهم جهلاً فاضحاً . واكاد لا اذكر اني اجتمعت بفرد منهم يعمل باية فريضة من فرائض الاسلام ، او ان عنده فكرة عن مبادئه الاساسية (*) في حين قول العكس يصبح إلى حدٍ ما على الوهابيين سابقاً وحالاً .

بعد ان امضيت عدة ايام في خيمة « الرئيس » ، والشيخ الاكبر ، ابن العطية ، تركت القبيلة وانطلقت مع اثنين من ابنائها من الزاوية حيث ضربت الخيم منذ ايام ، بعد تنقل كاد يكون مستمراً ، وسرنا محاذين جبال الحرة نحو الشمال - الشمال الشرقي فوصلنا بعد ثمان ساعات إلى وادي عويند ، وهو وادٌ صغير ضيق وشديد الانحدار كأنه مجرى سيل قد جف ، ينحدر من القمم في اتجاه شمالي فشمالي غربي حتى سهل الحسمى ، بين اكام وقمم تغطيها رمال متفرقة . وفي هذا الوادي بئر ماؤها جيد بعض الجودة ، وفيه عشب وأجام . وفي طرفه إلى الشمال مقابر المعاذه ، وهي منذ البعيد قبور شيوخ القبيلة ووجوهاً . وتعرضت مدخله ، الضيق ، من ناحية الحسمى ، حجارة ضخمة يظهر أنها انفصلت وتدرجت من الجبال المشرفة عليها . وقد حفر على بعضها ، بغلاظة ،

(*) - كتب المؤلف هذا سنة ١٨٤٨ ، والحال اليوم ، والحمد لله ، غير الأمس .

صور حيوانات منوعة ، كالجمل والغنم والكلاب . وحضرت على سواها حروف رديئة الخط طمس أكثرها بتأثير الطقس في الصخور الرملية المتمشقة .

ولئن عجزت عن القطع في تلك النقوش فانا اميل إلى أنها ، لسداجتها ، من عمل الرعاة . وتشبه تلك التي شاهدتها في أماكن أخرى من الصحراء . وقد نسخت بعضها عن صخور ثلاثة ولم ألاحظ سواها تصوّر رموزاً متواصلة قد تكون كتابة . وحالت قلة صبر ريفي البدوين دون بحثي عن صخور أخرى قد يكون عليها نقوش . (انظر صورتها على الصفحة التالية)

وسرا خمس ساعات في منبسط مستوى السطح يمتد من سهل البقار ، في طرف المضيق شرقاً ، إلى تبوك . (٤)

المسافة بين المويلاح وتبوك تقطع في اربعة ايام على الجمال المحمّلة مما يتافق وملة رحلتي ، ولو لا رداعية الطريق وтурجهما لما طالت أكثر من ثلاثة ايام لاني اتبعت طريقاً مستقيماً اتجاهه شرقاً قصامي اشاروا عليّ بسلوكه .

تبوك بلدة من ستين متزلاً تقريباً ، في طريق الحجيج السوري ، على اربعة ايام من معان ومن الحجر ، في وسط سهل فسيح اسمه همادة تبوك .

خلفنا وادي عويند إلى يميننا وتقدمنا سير ساعة نحو الشرق في تلال ، ثم دخلنا مضيقاً بين جرفين عموديين واجتزناه بعد نصف ساعة إلى سهل البقار الذي تحدده غرباً اطراف سلسلة الحرة ، ويصل شرقاً بسهل « همادة تبوك » في الأرض المتعددة من جبال الشفا وتكلمتها الشمالية وهي جبال الشراة في الغرب ، إلى تلال النفود وهضاب نجد في الشرق . وجيغرافيون العرب لا يتفقون على البلد الذي تنتهي إليه هذه الأرض ، فمنهم من يلحقها بسوريا ، وآخرون يتبعونها بالحجاز او بنيجد . أما ابناءها الحاليون فعادتهم التعميم ، ولا يطلقون عليها اي اسم شامل بمعنى انهم لا يدعونها تابعة لاي من البلدان المذكورة وانما يطلقون

Deciphering the Riddle in North Yemen

PLATE *

1.

٠٩٢٠٥٣٦٤٧١٢٨٣٥١
 ٤٢٦٠١ ٤٢٥
 ٢٢٧٢٧٠٥٣٦٤٧١
 ٥٥٥

2.

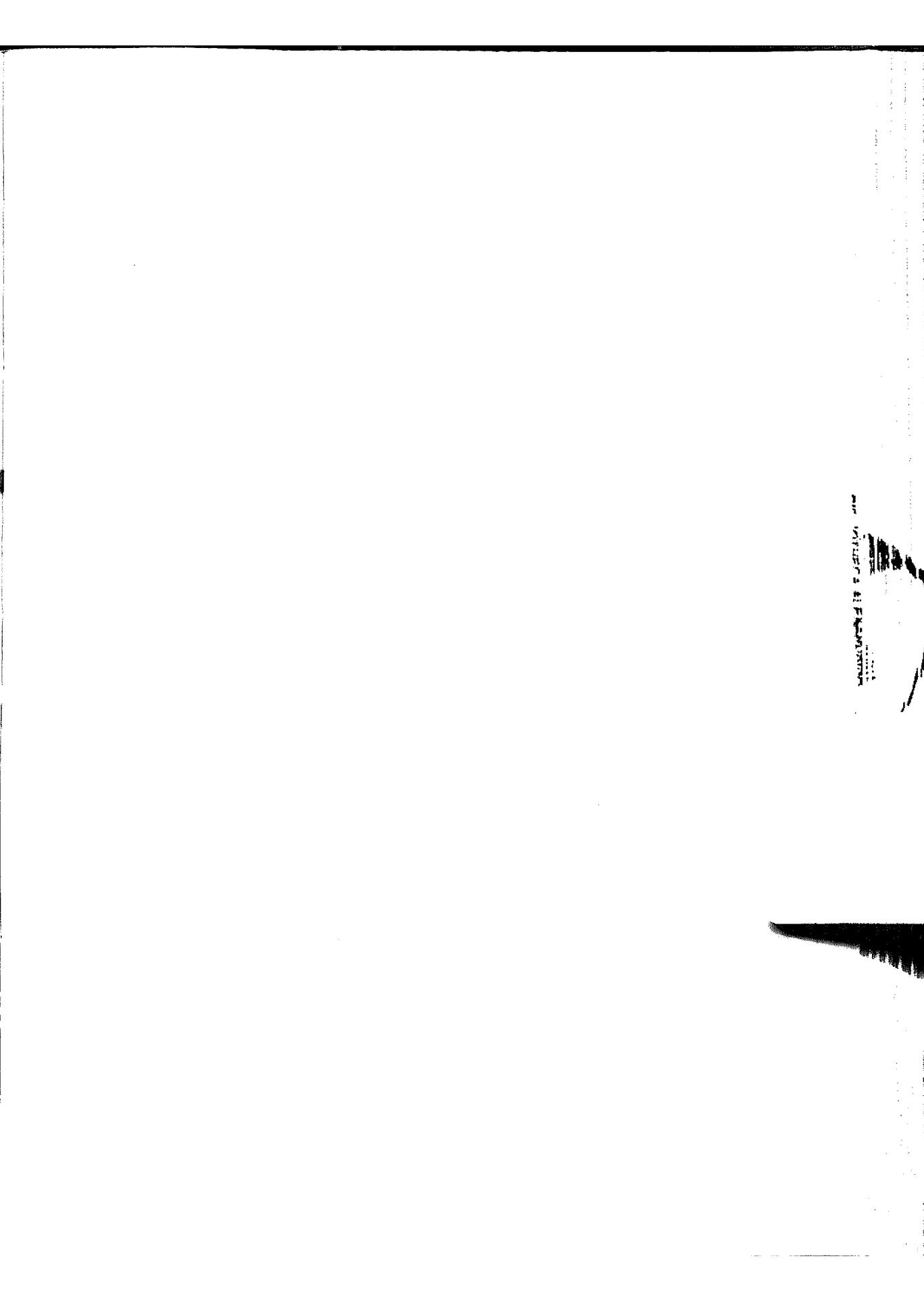
٢٥ + ٥٣٦٤٧١
 ٤٢٦٠١
 ٤٢٥

□ ٢٥١

* These characters, which bear little resemblance to those of the present script of North Yemen, so successfully deciphered by Dr. M. S. Salih, are the Haryani (habati) alphabet used in Yemen (Journal of the Royal Asiatic Society, Sept. 1943), seems to correspond to some degree with the ancient Phoenician characters; but no satisfactory conclusion can be reached from such short lines of evidence, and probably, in great haste.—It

(Dr. M. S. Salih's
Report)

الرموز المتواصلة المنقوشة على الصخور في وادي عويند



على كل جزء منها اسمًا خاصاً: فهمادة تبوك تمتد مسيرة خمس ساعات حول البلدة وفي جميع الاتجاهات، وحدودها غير محدقة، ولا ميزة بوضوح، وذلك بسبب مساحة السهل وقدان التلال الصخمة. والتربة حصبة صلبة يسميها البدو «جلدة»، وهي قاحلة في معظمها، وترويها، على قول البدو، تسعون ساقية شتوية تنحدر من الحسمى في تسعين وادياً. وحول الراية القليلة الارتفاع، والتي بنيت عليها البلدة، بعض آبار متعددة العمق. وفي البلدة عين غزيرة تُجري مياهها إلى بعض حداائق صغيرة وبساتين تخيل شخص الأهلين. وتزرع المحبوب أحياناً في السهل المكشوف. ولكن مخصوصها غير كاف، فيسيطر السكان إلى التمون من المويلح أو من سوريا التي يثثرونها على ما ذكرنا آنفًا، رغم بعدها الشاسع. وبذا لي أن ابناء تبوك أشد فقرًا من سكان القرى التي مررت بها في هذه المرحلة من سفري، فطعمتهم في فصل الربع يقتصر على اعشاب تقطّطها نساوئهم من الصحراء المجاورة وأكلونها نيئة أو مسلوقة، دون أن يضيفوا إليها آية مادة مغذية.

يقول ابناء تبوك انهم من الحميدات ويرجعون بنسبهم إلىبني كعب في البصرة . ويقولون ايضاً أن اجدادهم الكعبين هم اول الذين امتلكوا عين تبوك . غير انهم - كمعظم سكان قرى الbadia - عرقهم خليط من بدو ومن اغраб اضطربتهم احوالهم للتروح إلى هنا ، او رحلت عنهم القوافل وتركتهم فاقاموا في تبوك . واكثرهم من اصل سوري ومن اغраб آخرين غالبيهم عبيد معتقون هم وعيالهم ، يعرفون بالمتولدين ويتشارون في جميع الانحاء . وهناك قرى تكتظ بهم منها اريحا والجلوف وسوق الشيخ ، الخ ... (*) .

ويؤلف ايضاً اولئك المتولدون عشاائر كبيرة تعيش بين العرب الرحل عيش الرعي

(*) - مصارب هؤلاء الحميدات الذين أشار إليهم المؤلف كانت، يوم وضع كتابه ، في أرض تبع إالية سوريا ، وأما اليوم فهي اردنية . والحميدات عشيرة كبيرة تقطن الطفيلة وعجلون وسواهما من المملكة الأردنية ، ونحوهم : « صبيان الجوابرة » .

والغزو ، اسوة بآسيادهم السابقين . وعلى انهم تحرروا فهم ما يزالون مرتبطين بأولئك الآسياد عرقاً واحتراماً ويسمع لهم بالعيش بين العرب الا انهم لا يتزاوجون الا فيما بينهم ، اذ يندر ان يتزوج عربي قح لأخذ حبشية او زنجية زوجة له . وهكذا نرى ان سلالة المولددين في البداوة تبقى على حالها اجيالاً عديدة ، اما في المدن والقرى حيث لا يشعرون شعوراً قوياً بالحفاظ على السلالة الحالصة (النقية) فيختلط العرب والمولددون ويتزوجون ، وكثيراً ما يصعب تمييز ملامح افريقيبة في اولادهم . ففي الجوف ، مثلاً ، عرفت زنجية مسنة ولدت اولاداً سوداء من بعل زنجي ، وكانت في الماضي قد ولدت لعربي اولاداً ذوي ملامح عربية صحيحة .

ويجوز القول ان المولددين اكثراً كدآ من البدو ، او ان اعتزازهم بأنفسهم في الاقل ، لا يصل إلى عد الزراعة والعمل الشاق مذلة لهم . وهذه السبب ، ولا نهم يحتاجون إلى بأس البدو كي يدرأوا اخطار البدوية عنهم ، يفضلون سكنى القرى حيث يتلقون مع البدو للعناية بالتخييل ، او لتدبير رزقهم بوسيلة اخرى . وقل ان بلغ واحدهم جاهماً او غنى لأن آسيادهم الذين يحتقرونهم يحبون منهم جبواً كثيراً ، او لأنهم قد يكونون ، هم ، مبذرين . ولبخس ثمن العبيد في الحجاز تكتظ بهم المدن والقرى . وسمعت ان الجزء الاكبر من جنائز التخييل الواسعة المشمرة التي يملكونها عرب « الفقراء » من قبيلة عترة ، يزرعه المولددون ويعون به ، وثلث سكان تبوك منهم ، يعملون مثل سواهم من السكان في فلاحة الأرض ومتجارة البدو والحجاج الذين يتوقفون هناك يوماً او يومين في طريقهم إلى مكة ورجوعهم منها .

وفي تبوك ، كما في سواها من المدن العربية ، يعمل بالعرف والتقاليد اكثراً مما يعمل بالشرع ، والناس يكتنون احتراماً كبيراً لطقوسهم الدينية وتعاليمها ، ويلمّون اكثراً من البدو بمبادئها ، غير انهم يميلون إلى التقاليد البدوية التي تلائم طريقة عيشهم . والشيخ والعقيد اللذان يتوليان ارفع السلطات المدنية والعسكرية

8

في القبيلة منصبهما هنا ورأي كما عند البدو . وهما يقمان — بعد استشارة العمرىن والعقلاء ، وكثيراً ما يستشيران الأهلين أيضاً — بادارة القرية وجسم التزاعات والخصومات التي قد تنشأ بين سكانها وجيروهم . وإدارتهم لا تخضع ، كما في أعمال حكومة مصر ، لتدخل الآتراك المقيمين في قلعة البلدة .

ومع ان مظهر القلعة يشير إلى أنها حصن لرد هجمات القبائل المفاجئة ، فهي تُعدّ مخزناً لنموذج الحجاج والجنود الذين يرافقونهم ، لا مكاناً محصناً للمحافظة على نفوذ السلطان (التركي) في البلدة والحوالى .

ان تبوك تخضع ، كما تخضع القرى في هذا الطريق ، لباشا دمشق (اي حاكمة) وهذا يولي السلطة ضابطاً عربياً يطلق عليه لقب « امير القلعة » يختاره من آل قُشير او من قبيلتهم . وهؤلاء متقدرون من بنى قُشير البائدين وهم من بطن عامر بن صعصعة بن هوازن من العدنانية على ما يقوله القلقشندي (*) . وهم يزعمون ان السلطان سليمان (٤٢) عهد اليهم بالحكم لما أمر بفتح طريق الحجاج هذه إلى مكة ، وادعوا منذ ذلك الوقت الحق في ولاية الحصون .

ولامير القلعة تسعه أو عشرة من الاتباع المسلمين — ككل انسان في بلاد العرب — بسيوف وبنادق شطف . ولا يشكلون حامية تذكر إلاّ فيما ندر ، ولذلك يستضعفهم البدو ويسطون عليهم اثناء تجوالهم في الصحراء بحثاً عن الوقود ويحردوهم من ثيابهم تحت اسوار حصونهم . وامير كل قلعة يُدعى مع رجاله مدة في السنة إلى دمشق ليقدم بياناً عن نفقاته والحوادث التي جرت ابان حكمه ، ويخلقه في القلعة التي كان فيها واحد من اسرته ، ويبقى هو في دمشق سنة . وقبل اطلاق قوافل الحجيج يُعين في محطة جديدة ويرسل إليها محلاً المؤنة السنوية المخصصة للحجاج . وهكذا يظل القُشيريون في تنقل .

(*) نهاية الارب : ص ٣٦٥ .

يقول اهل تبوك ان بلدهم الحالية ليست في الموقع الذي كانت فيه تبوك القديمة المذكورة في التاريخ . وهناك اطلال بناء عتيق من حجر منحوت ، اسمه قصیر ، او « تبوك العتيقة » ، في سفح سلسلة من تلال منخفضة من صخور وملية تنتاً من جبال الحرة ، على اربع ساعات من البلدة الحالية في اتجاهٍ غربيٍ — جنوب غربي . والملئون ان هذا البناء يشير إلى موقع تبوك القديمة . ويعتقدون انقال البلدة إلى موضعها الحالي بان قوافل الحج إلى مكة قد غيرت طريقها الذي كان يمر إلى الغرب قرب خربة القصیر .

ولفت نظري في اماكن عديدة من بلاد العرب ميل الناس اليوم إلى الاقامة في السهول ، أما القدماء فكانوا يختارون جوانب التلال مقاماً لهم ، فعلى المتحدّرات الشرقية بجبال الشراة ، ناحية الصحراء ، وعلى طول المسافة بين معان والطفيلة ، تشاهد اطلال مبعثرة وأثار فلاحية في بقع من الارض يحيرها اليوم ويزرعها الفلاحون من البدو . واخبرني الاهلون بان اهم الاطلال القليلة ، الباقية في جوار تبوك هي في بلدة « القرية » ، أول محطة إلى الشمال وعلى بعض ساعات إلى الغرب من « ذات الحج » . وللذين زاروا تلك المحلة اكدوا لي ان فيها اطلال بلدة كبيرة مسورة ، فيها مبانٍ ومعاور تمايل معاور وادي موسى وتنشر في جانب تلة يقال ان ماء غزيراً كان يتدفق من حافتها ويُجرَ إلى المزارع والحقول في السهل . وبعد ان جفت العين لم يبق في البلدة سوى آثارٍ منظمة لاقنية كانت تنشر الحياة والخصب في ارضٍ صارت اليوم قفراً يباباً . وقيل انه يخيلي إلى الزائر انه يرى كلباً اسود يزعيم العرب انه يتربّد إلى المكان ليحرس كنوزاً غنّاء فيه . ولم استطع وانا في تبوك ان ازور « القرية » ولكنني لا ارى سبيلاً للشك في صحة الوصف الذي سمعته ، إذ أنه يتواافق وميزات الاطلال الأخرى التي شاهدتها في بلاد العرب ، في أذرح (*) مثلاً ، قرب معان ، وفي جبعة (٧) حيث الموقع القديم المزعم للفريري ، في جبل قطفي (٤٣) . وحيث يقال ان نبعاً غزيراً كان فيه ونضبت مياهه .

(*) - اطلب رقم (٥) في ملحق الاستدراك والتعليق .

وتطل على التلال المتاخمة همادة تبوك قمم عالية ، منها جبل **المُخطَّب** الذي اشتق اسمه من فعل **خَطَّبَ** . وقيل ان رسول الله (صلعم) الذى من على قمته خطبة إلى سكان هذه الديار من اليهود والمسيحيين ليهدىهم إلى الدين الجديد . وهذا الجبل على خمس ساعات إلى الشمال — الشمال الشرقي من تبوك الحالية . ويُعدّ أقصى موضع إلى الشمال بلغه النبي محمد في الغزوات الدينية التي قادها بنفسه ضد الكافرين ، مدفوعاً برسالته السماوية . ومن هذا المكان عينه أرسل عليهما (رض) وعمر (رض) ليحاربا الملك أكيدر في الجوف ، وعاد هو إلى المدينة (*) .

وتبوك لبني عطية . وشيخ القبيلة وعقاؤها ووجوهاً يجرون إخاؤه من السكان وقيمتها معقولة تدفع قطعاً من الملابس ، او مؤتاً ، او سواهما ، ولقاء هذه «الحوة» يلتزم الشيوخ بحماية الأهلين من القبائل التي تعرض لهم بسوء وهم لا يستطيعون ردّها . فسكان معان ، مثلاً ، يستطيعون تعبئة ما يفي بازددة في حين يعجز أبناء تبوك عن ان يجمعوا أكثر من اربعين رجلاً وبتسليح غير كاف .

تقع تبوك في سهل منفتح على طريق تمرّ بها جماعات البدو في غزوتها وحملاتها على الاعداء ، وير بها مغامرون كثيرون يدفعهم فقرهم إلى استنساخ الفرص للنهب ولذلك يتعرض التبوكيون كثيراً للغزو والسلب فيضطر حماتهم إلى التدخل وإعادة ما يستطيعون استرجاعه من السلع والحيوانات المسروقة أو المسلوبة . والسهل المحيط بتبوك يعدّ من الاماكن الأقل أمناً من الصحراء ، وقلما ترك انسان تبوك ، او اتاهما ، إلا خفيةً في ظلمة الليل . وهذا ما يمنع من التعامل معها . وإذا انتقلت القبيلة الحامية إلى أعلى جبال الحرّة ، او إلى الحسمى كما هو الحال في هذا الربيع ، فقد تمضي أسابيع قبل ان يغامر البدو بجلب الحليب الماشية إلى سوق تبوك . وبلغ من خوف الناس أنني لم استطع اقناع أحدهم ،

و

(*) — قول السكان هذا يتعارض وأقوال المؤرخين العرب — فالين .

طوال عشرين يوماً قضيتها بينهم ، ان يرافقني دليلاً إلى « القرية » او إلى خربة القُصیر . والقليل من التعامل الذي يتم بين تبوك والقرى القريبة يقوم باكتئه فرع مستضعف من بني هَتِيم من الشارات يدعون السويفله ، يستخدمهم امير القلعة وسكان البلدة احياناً في اعمال كهذه ، واحياناً في امورٍ اخرى .

ويصف محمد السپاهي (٤٤) تبوك في كتابه « اوضح المسالك » بقوله : « تبوك بين الحجاز والشام ، وبها عين ونخيل . ويقال ان بها كان اصحاب الايكة الذين بعث الله شعيباً اليهم . ولم يكن شعيب منهم بل من اهل مدین . قال في « القانون » : وتبوك في البر على محاذاة مدین . أقول : « تبوك في الشرق ومدین في الغرب » — انتهى كلام السپاهي (*) .

ولا بدّ لي من الاستنتاج من هذه الملاحظة الاخيرة ، ومن المقطع السابق المنقول عن « القانون » ، ان هذين الجغرافيين يريان ان تبوك إلى الشرق ، داخل الصحراء ، ومدین إلى الغرب ، قرب الساحل او عليه ، وعلى خط العرض عينه الذي يمر بتبوك .

ويذكر صاحب « اوضح المسالك » (محمد السپاهي) في مكان آخر من كتابه ان مدین مدينة متدرة في الحجاز تقع على شاطئ البحر الاحمر حيث لا يتجاوز عرض الخليج عرض مجرى نهر ، مقابل تبوك وعلى ستة ايام منها . وفيها ، بالإضافة إلى عين ماء جار ، البئر التي اعطتها سيدنا موسى في سالف الازمان لقطعان شعيب لشرب منها . وهذا الوصف قد يشير إلى أن مدین كانت مكان مقنا اذ اني لم اعرف مكانا آخر على الشاطئ ينطبق عليه هذا الوصف . وهب ان صاحب « القانون » ربما عني ان مدین في شبه جزيرة سيناء — وهذا لا

(*) — « اوضح المسالك » : مخطوط رقمه ٧٥٠٥ من مجموعة ريش RICH في المتحف البريطاني . وقد نقل فالين النص العربي ، في المامش ، فتقنناه بحروفه .

يعارض القول ان تبوك هي في الصحراء قبالتها - فاعتقد أن بعْد تبوك عن الشاطئ لا يقر هذا الرأي .

ويقول أحمد الدمشقي (٤٥) في « اخبار الدول » ان السلطان سليمان خان (٤٦) بنى القلعة في تبوك ووضع فيها حامية من عشرين انكشارياً (٤٧) لحماية العين من البدو .

ويذكر ابن ایاس (٣٩) في « نشق الاذهار » ان تبوك بلدة غناء فيها نخيل وحقول ذرة وقلعة منيعة . وان النبي (صلعم) غزا سكانها وقهراهم . والغزوة تلك من الغزوات المشهورة التي اشتراك فيها النبي (صلعم) بنفسه وساعد في القتال ، وقد وقعت فيها حوادث هامة . وابن تبوك تنسب قبائل مختلفة منها لخُم وجُهينة وجُذام .

ويذكر ابن الاثير (٤٨) في « تحفة العجائب » ان القبائل المذكورة تقيم بين تبوك ووادي القرى (٤٩) وايلة . وليس هناك الآن ، على حد علمي ، قبيلة تحمل اسم لخُم ولكنني اعتقد ان قبيلة الشارات المستضعة المتشرة في ما كان عديدة يجوز عدها من سلالة لخُم .

ومن البطون العديدة من قبيلة الشارات القيمة في وادي السرحان وضواحي الجوف ، بوادي السرحان ، لقيت الدعجيين المتسبين إلى عائلة الشيخ ابن دعجه . ويقول القلقشندي ان هذا البطن فرع من بنى صخر ، من طيء ، يقيم في المناطق التي بين تيماء وخمير وسورية . ويقول القلقشندي ايضاً ان عربا آخرین يطلق عليهم اسم بنى صخر من القحطانية يقيمون في الكرك ، والليوم (١٨٤٨) عددهم كبير وهم يعيشون بصداقه واخوه مع الحجاجيا والشارات .

اما جهينة فقبيلة كبيرة في جبال الحجاز .

اما بنو عُقبة وبنو بَلَيْ فافراد تشتتوا من جُذام اخي لخُم . وجميع هذه القبائل من القحطانيين الذين نزحوا عن اليمن ، وانحدروا تدريجياً بعدون العدنانية

الاسماعيلية ، السكان الاولين في المنطقة ، وحلّوا محلهم . إلا ان قبائل عترة العدنانية بدأت الآن تدفع هؤلاء القحطانية إلى التزوح ، بدورهم ، دفعة بعد أخرى إلى داخل الجبال وتخوم الصحراء . وإنّا فهم مضطرون ان يجدوا حذو معظم عشائر هتم ويؤدوا اخواة لقبيلة أخرى اشدّ باسأً ليس مع لهم بالعيش في الداخل بين البدو الذين يستصغرونهم شأنًا .

٥ من نisan (ابريل) ١٨٤٨ : انطلقت من تبوك يرافقي اثنان من قبيلة بَلَّيْ وقد اسعفنا ضباب كثيف بان حجب عنا المراقبة وخلصنا من التلاقي غير المستحب مع اغراط . فاجتازنا السهل في اتجاه جنوب شرق ، مخلفين إلى يسارنا ، قرب تبوك ، طريق الحج الممتد في اتجاه جنوب شرق أيضاً . والتربة قرب البلدة جدبها بعض الجدوة ، ولكنها سرعان ما تحيي النظر بقعة من روض (*) تنسع قرب أول تلال جبال الحرّة ، حيث تلي السهل اودية منبسطة فيها شجيرات كثيرة . وبعد السير خمس ساعات وثلاثة اربعاء الساعة في السهل دخلنا هذه الاودية وفيها بتنا ليتنا .

٦ من نisan (ابريل) : سرنا عبر اودية فسيحة بين جبال الحرة إلى اليمين والتلال المنخفضة إلى اليسار . وفيما نحن نتقدم صار الوادي يضيق ، وبعد ساعتين وجدنا انفسنا في وادٍ ضيق يوازي في اتجاهه الجنوبي الشرقي طريق الحج على ثلاثة ساعات خلف التلال . وبعد سير سبع ساعات وثلاثة اربعاء الساعة من مكان مبيتنا وصلنا إلى شعب اسمه « نقب درب البوكة » . وبمرورنا في الوادي لحظت صخوراً كبيرة نقشت كتابات على بعضها تشبه تلك التي وجدتها في وادي عويند ووادي جبة ، الا انني لم استطع نسخ اي منها لأن رفيقي خافا مفاجأة الاعداء لنا وسلبهم ايامها رزم الثياب التي حملّها على الحمل في تبوك . ولم استطع اقناعهما حتى يتظروا . وهكذا تابعنا سيرنا في الشعب ثلاثة

(*) - جمها رياضن - فاللين .

ساعات أخرى ثم حطتنا الرحال للمبيت .

٧ من نيسان (ابريل) : مررنا بجزء أضيق من الشعب او الوادي ، يسمى « الوادي الأخضر » والبدو يلفظون اسمه « وادي خَضْر » وهو على ثلث ساعات إلى الغرب من القلعة والمحمطة اللتين تحملان هذا الاسم ، وفيهما يبيت الحجاج اول ليلة بعد مغادرة تبوك . وهذا الوادي ايضاً تعرضه صخور كبيرة وحطام صخور يحمل بعضها كتابات تشبه الكتابات التي لحظتها سابقاً ، ورسوماً بدائية لحيوانات صحراوية مختلفة . وبعد سيرنا ثلاثة ساعات وربع الساعة من مدخل هذا الوادي وصلنا إلى صهريج طبيعي في الصخر اسمه « غدير الراشد » فملأنا قِرَبَتَا مؤنة جديدة من ماء المطر العذب . والاوية التي مررنا بها حتى الآن منتظمة بعض الشيء ويُطلق على مجموعها اسم « درب البكرة » . وهنا تبدأ الجبال .

بعد تسلق طال ربع ساعة وصلنا إلى منبسط صخري دائري ذي لون بنّي قاتم اسمه « منزل الحاج » . وخبرني رفيقي انه سمي بهذا لأن الحجاج كانوا في الماضي يتبعون درب البكرة إلى الحج ويخطون رحالتهم في هذا المكان ، وحدث أن قافلة هلكت بكمالها فيه عطشاً فاطلقوا على هذه المحلة المهلكة اسم منزل الحاج .

في ذلك الزمان كان السفر على البغال . غير ان عدم موافقة مناخ الصحراء لها دفع المسافرين لأن يستبدلوا بها الجمال ، ثم اختيرت الطريق الحالية بدلاً من درب البكرة الصعبة جداً لندرة الماء فيها . ويمتد وادي البكرة من مكان يبعد ست ساعات إلى الجنوب من تبوك ، وينعطف قليلاً نحو الشرق موازياً الطريق الأخرى حتى الحجر حيث ينتهي في وادٍ عريض اسمه وادي نجد . وهذا يمتد بدوره في اتجاهٍ جنوبٍ شرقٍ نحو داخل بلاد العرب .

من « منزل الحاج » درنا نحو اليمين نتسلق تدريجاً جبال الحرة عابرين

بقاعاً صخرية منبسطة قائمة اللون ، تعرّضها هنا وهناك كتل صخرية مخروطية وهرمية الاشكال . وعند قاعدة هذه الكتل تنتشر على الارض ، بكثرة ، حجارة ، ناخراً سود ، غريبة في خفة وزتها ، واما الجبال فصخور رملية لونها احمر ، تشبه الصخور الموجودة قرب هيدلبرغ (*) ، إلا ان جوانبها وقممها تقطيّها الحجارة السود الفاخرة ، حتى ليصعب احمرار لون الصخور بدون تفحّص دقيق .

طريقنا عبر تلك الجبال كانت في اتجاهٍ غربيٌ جنوبيٌّ غربيٌّ ، طالت ثمان ساعات وربع الساعة ، اخذنا بعدها ننحدر نحوً منطقة «الجو» المنخفضة التي تحيط بها جبال الحرّة من جميع الجهات . وتابعنا التزول زهاء نصف ساعة في ممّرٍ وعرٍ ومترعرج في جانب الجبل حتى وصلنا الى سهل من تلك السهول التي يسمّيها العرب «منقع» ، ويطلق هنا الاسم على بقاع قاحلة تربتها رملية متّحجرة تتجمّع فيها مياه السوافي المطريّة وتتحدث بُحيرة قليلة العمق لا تثبت الرمال العطشى ان تمتّص مياهها او ان تخربها حرارة الشمس فتشقّق الأرض قطعاً من طين جاف لا تنبت ايّ نبت ، وتفصل بينها فلوّع عميق . وفي بلاد العرب اماكن عديدة كهذه الأرض يقال لها «المنقع» (**)

واجتازنا المنقع في اتجاهٍ جنوبيٍ شرقيٍ في ساعة ونصف الساعة ، ودخلنا سهلاً من الرمال الناعمة اسمه «المَحِير» ، فيه من المراعي الخصبة ما في ذلك المنقع من محلٍ وجذوبة ، فبدأ وكأنه صفحة خضراء تتداء أمامنا ، يغطيه نبات حريّف (** *) اسمه «الحرّة» طعمه لذيد جدّاً وله بعض الشبه بالرشاد الذي ينمو في بلادنا ،

(*) - مدينة المانية مشهورة بجامعتها التي تأسست سنة ١٣٨٦ ، وبقصر قديم فيها مهدم - (لاروس)

(**) - صحيح ان صيغة اسم المكان من المنقع هي «المنقع» ولكن العرب لا تستعملها لتشير إلى هذا النوع من الأرض ، بل تقول : النقع ، او النقاء

(***) - الحرّيف (بكسر الحاء وتشديد الراء) : الذي يلعن اللسان . والحرّة هي الرشاد ، بفتح الراء .

والحمل ترغب كثيراً برعشه ، وعرب المدن يجفّونه ويستعملونه للتهضيم ويدعونه «رشاداً».

ووصلنا السير خمس ساعات ونصف الساعة عبر سهول مماثلة تتخللها أكمات تغطيها نباتات كثيفة وملوقة ، تعكس بشكل أخاذ سواد جوانب الجبال الموحشة المحيطة بالسهول . وتبعنا في الرمل الناعم آثار حوافر القطعان التي رعت هنا فوصلنا بسرعة إلى خيام قبيلة رفيقي

ان منطقة الحرة التي يشكل «الجو» جزءها الجنوبي – ويقاد يكون الجزء الوحيد الصالح للسكن – إنما هي سهل فسيح من الرمال يشبه في ميزاته الحبسى وبجده والنفوذ . ويحد هذه المنطقة غرباً تهامة او سلسلة جبال الشفا من الوجه إلى المويلاع ، وشمالاً ارض الحسمى وجزء من جبال الحرة يمتدُّ من الزاوية إلى الشمال الشرقي على حافة الحسمى ، ووادي عويند حتى سهل تبوك حيث تعطف التلال نحو الجنوب في زاوية حادة ؛ وتحدها شرقاً سلاسل التلال غير المنتظمة التي تنحدر من الزاوية المذكورة ، بموازاة سلسلة الشفا ، على طول وادي درب البكرة حتى حجر ، وجنوباً فرع من هذه التلال يوازي الجبال التي ترتفع حدوداً شمالية لها ، وهو يمتد من تهامة إلى حجر ، ويتصل في زاوية منفرجة بجبال السلسلة التي تشكل الحدود الشرقية . وبهذا يجوز القول : ان منطقة الحرة لها شكل المعين (*) الذي تواجه زواياه الجهات الأربع .

ويُقدَّر عرض هذه المنطقة ، من درب البكرة إلى جبال الشفا ، ببئمين على الحمل . وطولها من الحسمى إلى وادي نجد يقدر بخمسة أيام . ووصف لي وفيقاي وادي نجد بأنه ينبع على طول الجهة الجنوبية من جبال الحرة وينحدر في اتجاهين : اولهما نحو الوجه ، والآخر نحو المدينة المنورة . غير أنني لا استطيع تحديد اتجاهه بالضبط لأنني لم ازر تلك المنطقة .

(*) - المعين ، (بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة) : شكل ، في الهندسة سطح متساوي الأضلاع الأربع المستقيمة المحيطة به ، غير قائم الزوايا . بالإنكليزية Rhomboid

ولديّ من الاسباب ما يجعلني اعتقد ان جبال الحرة في ناحية وادي نجد مشوّشة التكوين كثيراً ، تخللها اودية رملية وتتتابع في اتجاهٍ جنوبيٍ شرقى من التفود ، ارض الجلو . واعظم هذه الاودية وادي اورش الذي يملك فيه بنو بَلَى مزارع تخيل وحيث يزرعون اللذة والشعور في السنين الغزيرة الامطار .

وتزعم قبيلة بَلَى انها وحدها تملك الحرة بكاملها . وهي من عادتها ان تقيم في «الجلو» حيث لا يحق لاي بدوي آخر ضرب خيامه دون الحصول على اذن منها . والقبيلة لا تغادر مكانها هذا إلا في ما ندر ، وذلك بالرغم من ميزات موقع منطقتهم التي ترماي من شاطئ البحر الاحمر الى الحجاز ونجد ، وبالرغم من سهولة في المواصلات مع الوجه وتبوك وتيماء والمدينة المنورة .

وليس في المنطقة آبار ، ولا ماء ، سوى ما يتجمع من الامطار في بِرَك وفجوات في الصخور تشكل صهاريج طبيعية (أجياء) . لذلك تضطر قبيلة بَلَى الى التزوح في حالات الخفاف الى مناطق قصبة بحثاً عن ماء ومراعٍ في جوار دمشق وحلب . هكذا فعلت في ربيع ١٨٤٦ ، ويظهر على ما قاله السمعاني (٥٠) في «الانساب» ان سكان الحرة السابقين ، من قبيلة سُلَيْم العظيمة ، اعتادوا التزوح الى هذه البقاع عينها من بلاد العرب ، والي المنطقة المجاورة لمدينة حمص .

ان قبيلة بَلَى غنية وإن عدد افرادها ليس كبيراً . كانوا يملكون الكثير من الخيل والماشية فجاجتهم في سنة ١٨٤٧ جماعات غفيرة من الحيوطات ، من بطن ابن الحاز من وادي موسى ودخلت المراعي خلسة وسطت على خيولهم كلها وعلى اكثـر جمالـهم قبل ان يدرـوا بـوصـولـها ، ولكنـهم (بني بـليـ) استـطـاعـوا عـلـى رـغـمـ من ذـلـكـ انـ يـعـوـضـوا عـلـى اـنـفـسـهـمـ بـعـدـ وـافـرـ منـ الجـمـالـ فـقـامـوا بـهـاـ عـلـى الشـرـاراتـ وـعـلـى القـبـائـلـ الـمـجاـوـرـةـ الـتـيـ لـاـ تـرـبـطـهـمـ بـهـاـ أـلـيـةـ عـلـاقـةـ .

ونخوفاً من بأس عرب شمر المتزايد ، ومن تفود شيخهم ابن الرشيد - وهو وهابي المذهب يحارب باسم ابن سعود إمام نجد وحاكمه ، ويغزو القبائل غير

المشتبعة مذهبه وينضجها بحججة مجاهدة (... من هم) من غير الوهابيين ، في سبيل الله – فان قبيلة بلي انضمت الى الاتحاد بأن أدت مختارةً الى ابن الرشيد الركاء التي نص عليها القرآن الكريم . إلا ان عضوية الاتحاد لا تمنع صاحبها ان يحميها ابن الرشيد من القبائل المعادية ، ولا تفرض عليه قيودا في المعاملات التي يجريها مع العربان الآخرين ، اكانوا من الاتحاد أم لم يكونوا ، لذلك ما تزال قبيلة بلي تدعى الحق في جب الاخوة من تيماء في حين ان عرب الشمر هم الذين يملكونها ويقيمون فيها . ونجبي بلي ايضا اخواة من بلدة «العلاء» (٥١) التي تملکها ، والتي هي في الوقت عينه تحت سلطة والي المدينة التركي . وهذا الوالي هو الذي يفرض زكاتها . وتدعى قبيلة بلي أن «الوجه» تابعة لها . غير ان الحكومة المصرية هي التي تجبي المال منها وتحمي سكانها من يحاول فرض ضرائب عليهم ، او جباية اموال منهم .

تمون قبيلة بلي الحبوب من «الوجه» ، والوجه يستورد المؤن من القصرين في الشاطئ المصري من البحر الاحمر . وتمون التمر من وادي أورش وتيماء والعلاء ، كما يجلب الحاجاج اليها البن من الحجاز ويأتونها بالثياب من سوريا ومصر .

والمنطقة التي ترافق بلي^٢ الحاجاج فيها تمتد من ضبا (٥٢) الى الوجه في الطريق المصري ، ومن بركة معظم الى الحجر في الطريق السورية : ففي ضبا تختلف بني عقبة في درك القوافل المصرية بطون^٣ من بلي هي المعاقة و العراضات وبتو لوط المقيمين في وادي الفرا وفي جواره . ويقوم البطن الرئيسي من بلي – وهو المواهب واليه يتتمى رئيسها الشيخ ابن داما – بمرافقه الحاجاج في الطريق السورية .

بنو بلي هم اول قبيلة في هذه البقاع تشبه لهجتها نطق سكان نجد ، ونطق بدو عنزة الذي يختلف كثيراً عن لهجة المدن ولهج العرب الاكثر اختلاطاً بسواهم ، ذلك انهم يكتبون التنوين واستعمال بعض الصيغ الصرفية والنحوية والتعابير القديمة ، ولا سيما لفظتهم القاف والكاف لفظاً غريباً يسميه النحويون بالكسكشة .

ويقول بنو بَلَى انهم اعتنقوا الوهابية مختارين ، دليلا على ايمانهم . وهم يؤدون الزكاة ، وبانتظام يقيمون الصلوات الخمس والقرائض والشعائر الخاصة بالملذهب ، الا انهم فيما عدا ذلك يجهلون تعاليم الاسلام الاساسية جهلا مطبقا ، ولا يكرثون – مثلهم مثل سواهم من البدو – بالفقه والشرع الاسلاميين .

يقال ان بني بَلَى قحطانيون من اليمن . ولكنني ارى ملامحهم اقرب الى بني عنزة والقبائل السورية العدنانية منها الى الموسيطات وعرب غرب شبه الجزيرة العربية ومصر . والكثيرون منهم ذوو بشرة فاتحة اللون ، وهذا امر نادر جدا في الصحراء ، أظن انه يقتصر على القبائل الشمالية فقط . ولم تكن هذه الملامح وتلك اللهجة وحدها العامل الذي دفعني الى التفكير بعنزة ، بل دفعتني الى ذلك ضيافتهم السخية التي تميّز بدو الداخل عن جيرانهم المقيمين عند حافة الصحراء . وتبين لي كذلك انهم مرحون وعندهم الكثير من حضور الذهن كعرب الشمال البعيد عن عادات الوهابيين الصارمة وعن تقشفهم .

ويقول القلقشندي : « بنو بَلَى بطن من قضاعة من القحطانية ، النسبة اليهم بـ«أَنَّوِي» وهم بنو بلي بن عمرو بن الحارث بن قضاعة . قال في «مسالك الابصار» : ومناظهم الان بالداما ، وهي ما دون عيون القصب ، الى اكري فم المصيق ، وعليهم دَرْكُ الحجيج هنالك . ومنهم جماعة بصعيد الديار المصرية . قال الحمداني : وديارهم خميم وما تحتها . ويصف ابن اياس في «نشق الازهار» عيون القصب واكري بقوله انهم متزلان في طريق الحج على ساحل البحر الاحمر . في عيون القصب عيون ماء جاري ينمو حولها القصب الفارسي وهي موضع استراحة للحجاج الذين يضربون خيامهم على ضفة الماء ويستحمون في البرك ويعسرون ثيابهم فيها . وعيون القصب تذكر على أنها اول منزل الى الشمال من المولىع في طريق الحج المصري . ذكرها كاتب مصرى اسمه حافظ احمد في «مختصر تاريخ مصر» (*) وتعرف حاليا باسم « العيون » . ولا ريب في انها هي هي عيون

(*) - قال فالين ان هذا الكتاب « مخطوط في المتحف البريطاني ، رقمه ٩٩٧٢ » . ولا نعرف شيئاً عن مؤلفه .

القصب ، التي عرفها الحغرافيون .

أما اكري (واحمد حافظ كتبها في قائمته خطأ: اكره)، فهي المنزل الاول جنوب الوجه. وبرغهاوز Berghaus وضعها في مر جبلي اسمه المضيق على خارطة بلاد العرب التي رسمها . وعيون القصب واكري تحدان منطقة وادي داما ، وكانتا تحدان سابقاً ديار بني بلي . أما اليوم فضبا والوجه هما ، على ما قلناه ، حدان المنطقة التي يملكونها البلويون، وعلى هؤلاء درك الحجيج فيها من ضبا إلى اسطبل عنتر المعروف حاليا باسم وادي داما .

من التقاليد المنقولة والمعمول بها حالاً هنا علمت ان اول من سكن الحرّة قبيلة بنى سليم . وقيل عنها ايضا انها ملكت مدیني تيماء وخير . ويقول القلقشندي عن هذه القبيلة البائدة : «ان بنى سليم قبيلة قوية من قيس عيلان ، والنسبية اليهم سليمي . وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس . وكان لسليم من الولد بُهْتة ومنه جميع أولاده . ويقول في «العبر» إن منازلهم كانت في عالية نجد ، قرب خير ، وان من منازلهم حرّة سليم وحرّة النار بين وادي القرى وتيماء ، قال : وليس لهم حاليا اي اثر لهم في ديارهم الاول ، ثم قال : وبافريقيا منهم حيٌ عظيم الخ ... » (*) وقال صاحب «كتاب البلدان» ان في بلاد العرب ثمانين مناطق يطلق عليها اسم الحرّة ، منها : حرّة بنى سليم ، وحرّة النار ، دون تعين موقعهما . ومع ان حرّة بنى بلي التي ذكرتها لا تقع بالضبط بين تيماء ووادي القرى على ما قاله صاحب «ال عبر» ، فاني اظن انها حرّة بنى سليم عينها . (٥٣)

اما وادي القرى (٤٤) فيصفه صاحب «نشق الازهار» بأنه وادٍ بين المدينة والشام ، وفيه حصن مشيد . تحتت بيته في الجبال (**) والتربة في هذا الوادي أثالب ،

(*) - نهاية الارب ، ص ٢٧٣ .

(**) - « وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين » - صدق الله العظيم !

اي بقاع مغطاة بفتات الحجارة والترب. وفيه اقام اهل ثمود (٥٤) وحى اليوم ترى
 بئرهم التي شربوا منها وشربت ناقة صالح (*). ووصف ابن الاثير في كتابه «تحفة
 العجائب» (٤٨) وادي القرى بما يماثل ما في «نشق الازهار». اما «اوضحة المسالك»
 فیناقص ابن حوقل القائل «ان بلدة الحجر في جبال الحجاز ، على يوم من وادي
 القرى»، اذ وَجَدَ شخصياً ، ان الشقة بين المكانين خمسة ايام . ويقول السمعاني
 في «الانساب» ان بين الحجر ووادي القرى ثمانية اميال . ويقول جغرافيون آخرون
 في وصفهم حدود جزيرة العرب ان البحر الاحمر يمتد على طول الشاطئ من ايلة
 الى مَدِينَ (٥٥) فوادي القرى ، فينبع النهر... نزولاً حتى اليمن . وأرى ، بعد
 المقارنة بين مختلف تلك الروايات ، ان فم الوادي يقع في الساحل بين مَدِينَ
 وبينع ، اي في الوجه على ما هو محتمل . اما راس الوادي ففي الحِجْر ، حيث
 الحفريات المماثلة لحفريات وادي موسى وجبل الناقة ما تزال تشهد جميعها
 بان في الحِجْر كانت مضارب ثمود وكانت قصة ناقة ناقة صالح العجائبية . وعلى
 الخارطة التي وضعها برغهاوز (٥٨) وادٍ في جوار المدينة اسماه وادي القرى ، واما
 صاحب «اوضحة المسالك» فيقول ان بين الحِجْر ووادي القرى خمسة ايام . ولم
 يقل ما اذا كان الوادي من ناحية الوجه هو الى الغرب من الحِجْر ، او الى الجنوب
 من المدينة . وعلى كل فالكاتب يُعتبر قريباً من الحقيقة في تقديره المسافة بين
 الحِجْر والوجه وبين الحِجْر والمدينة ، وهي اربعة ايام ، والفارق بيوم واحد مرده الى
 كون المؤلف يرى الطريق اطول مما هي عليه ، وهو خطأ لاحظه في اكثر تقديراته .
 ومع ان اسم وادي القرى غير معروف عند البدو الحالين ، فاني لا أتردد في
 تعريفه بأنه وادي نجد الحالي الذي يمتد ، على ما قلته آنفاً ، نحو الوجه من جهة على
 طول السفح الجنوبي لجبال الحرة في جوار «الجو» ، ونحو داخل الصحراء من الجهة
 الاخرى في اتجاهِ جنوبيٍ شرقٍ

وكان بنو بَلَى ، وانا عندهم ، يتقللون يومياً من مكان الى آخر حتى قاربوا

(*) - «قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم» . - صدق الله العظيم !

سهيل المنقع الذي دخلت منه أول مرة الى ارض نفوذ «الجو» .

السادس عشر من نيسان (ابريل) غادرت مستضيفي (بني بليلي) يرافقي ثمانية منهم يقودهم دليلاً عقيد القبيلة . وهم يتبعون ، بعد اتصالي الى تيماء ، الاغارة على الشراارات في جوار الحوف (١٣) ، وكان سبيلنا في ارض الحرة القائمة اللون عبر عدّة من قمم سود ، الى اليمين من المنقع . فمشينا خمس ساعات في اتجاهٍ شرقيٍّ - جنوبٍ شرقيٍّ ووصلنا الى تلة فيها صهريج طبيعي يحتوي على مياه أمطار جيدة . فقضينا ليتنا فيها ننتظر الراغبين في الانضماملينا .

السابع عشر من نيسان (ابريل) ايقظنا مع الفجر وصول متقطعين جدد ، او كما يُسمّون هنا «شركاء في الحملة» فنهضنا فوراً وتابعنا رحلتنا في الاتجاه عينه الذي بدأناه أمس ، في ارض جبلية مماثلة ، لونها قاتم . وبعد اربع ساعات وربع الساعة وصلنا الى درب البكرة ذات الارض الصخرية المشوّشة والتي يفوق عرضها هنا عرضها في الشمال ، حيث قطعتها ، مبلغًا جعلها تفقد شكل الوادي . ثم عبرنا سلاسل تلال مرتفعة غير منتظمة ووصلنا بعد ساعتين وعشرين دقيقة الى طريق الحج السوري ، في مكان يبعد ثلاث ساعات عن الدار الحمراء . وهي ثالث متسلٰ الى الجنوب من تبوك .

وطريق الحج هنا تمتد مسافة طويلة في اتجاه جنوبٍ شرقيٍّ ، عبر وادٍ عريض واسع ، تحدّه في طرفه الشمالي الشرقي تلال اكثَر ارتفاعاً واكثر انتظاماً من التلال التي قطعناها قبل قليل . ومن الارجح انها الجزء الشرقي من مجموعة تلال المنطقة ، بالرغم من انها فقدت شكلها البركاني وانكسرت عنها طبقة فتات الصخور السود ، هذه الطبقة التي تغطي ، في محلات اخرى من جبال الحرة ، اللون الطبيعي الاحمر للصخور الرملية . لقد قطعنا الوادي في ساعة وعشرين دقيقة باتجاهٍ جنوبٍ شرقيٍّ . ثم شرعنا في تسلق القمم المقابلة عبر مضيق اسمه ابو جنبيب ، ومن اعلى المضيق وعلى مدّ البصر ، ترأت لنا تلال متوجّة من

صخور رملية تنخفض تدريجياً نحو الشرق وتعتبرها اودية " متعرجة تنصب في وادٍ عظيم اسمه وادي مَرْطَى يوازي طريق الحج ويensus تدريجياً وينحدر في اتجاهٍ جنوبى شرقى .

الثامن عشر من نيسان (ابريل) تابعنا سلوكنا في المضيق اربعين دقيقة ثم عطفنا الى اليسار ودخلنا في وادٍ جانبيٍّ سرنا فيه ساعة باتجاه شمالى شرقى ، وسرنا ساعة اخرى وعشرين دقائق نحو الشرق . هنا تحولت الجبال الى ارض صخرية منخفضة ومتوجهة . وبىلاً من اودية رملية ينبع فيها شجر الأرطى (*) وجدنا وهادأً صخرية قليلة العمق . وبعد سبع ساعات وثلاثة اربعاء مشيناها باتجاهٍ شرقى في ارض وعرة وصلنا الى صهريج فيه مياه كثيرة ، جانب القمة ، في طرف سهل فسيح يتدلى من هنا ويسمى «الحاللة» ويمتد حتى «القصيم» فملاًنا قربانا بسرعة ورحلنا حالاً لان الرفقاء كانوا يخافون ، على رغم من تأهيلهم للغزو ، ان يفاجئهم غزاة مثلهم من البدو اشدّ منهم بأسا . ولم يشعروا بالأمن إلا بعد ساعة ونصف الساعة من مغادرة الصهريج . وكانت رحلتنا اليوم في سيرٍ دائريٍّ كي لا نترك أثراً في الرمال يدل علينا فيما اذا صدف ان مرّ آخرون بعدهنا . ووصلنا اخيراً الى ارض صلبة هي ارض برگ جافة ، او مناقع ، تختنق السهل ، فعدنا الى السير باتجاه الشرق حتى حططنا لل Mbisit .

التاسع عشر من نيسان (ابريل) تابعنا السير في طريق متعرجة عبر مناقع ، وفي قعر اودية منخفضة ومستوية حتى وصلنا الى تيماء بعد ست ساعات وعشرين دقائق . وقد طال مسيرنا قليلاً بسبب تعرّج الدرب الذي سلكناه .

العرب جمِيعاً يعدّون اليوم تيماء من نجد ، ويجزئ عدّها واحدة من مدن حدوده الغربية . واعتقد ان السبب في عدم حسبان كامل هذه المنطقة الواقعه الى الغرب جزءاً منه مردّه الى كونها تشكل قعر وادٍ رفيق الانحدار «ينتجد» منه كل

(*) - ثمرة يشبه العناب .

من مرّ الى نفود نجد المرتفعة . (*)

ان منطقة نجد تبدأ عند السهل الفسيح العظيم المنبسط في شمالي جزيرة العرب ، بين جبال سوريا ونهر الفرات ، وتتحدىها غرباً جبال الشراة والشفا ، وشرقاً قمم وادي سرحان الرملية التي تبتدئ على يومين جنوبي دمشق وتشكل سلاسل نفود نجد حتى جبل أجأ الغرائبي . وتمتد منطقة نجد نزولاً إلى جوار تماء حيث تفتح مع ارض «الحالة» في سهل عظيم آخر يماثل في طبيعته القسم الشمالي منها . ويمتد من المدينة والطائف على طول جبال العارض - وهي حدود نجد الجنوبية - حتى الخليج الفارسي (**) .

واظن انه من الاصلح القول إن أولى هذه البقاع التي تُعدّ سهلاً هي في الواقع وادٌ عظيم يضيق تدريجياً بين المناطق المذكورة آنفًا والمحيطة به ، وينحدر تدريجياً نحو ارض الحالة ومنها ينحدر برفق نحو الخليج الفارسي . (***)

واذا نظرنا الى نجد على انه وحده رأينا ارضاً صحراوية متموجة تقطعها في الغرب اطراف اجل تبتق من الجبال الغربية ، وتدخلها في جهاتها الامثلية مجموعات تلال ، وقمم منفردة معزولة . والسهول المترامية بين تلك التلال مختلفة الحجم ، كبيرة وصغيرة ، تربة بعضها من النفود يثبت نباتاً صحراءوبا قليلاً ، وبعضها الآخر ذو تربة صلبة مجذبة لا خضرة فيه ولا حياة . وتسود في القسم الغربي منها الصخور الرملية . وقد ترى صخوراً جيرية في النفود وفي الارض المجاورة لها . اما الغرائبي فلم يثبت لي وجوده في سوى جبل طيء . ولما نادر في نجد بسبب ارضه الصخرية التي يجوز تمييزها بانها اكثراً الاراضي العربية جدوية ووحشة .

في سنة ١٨٤٥ قطعت هذه المنطقة ، من موضع قرب الطفيلة الى وادي

(*) - يزيد انه يخرج أو يرتفع .

(**) - هكذا نعت الخليج ، وهو خطأ : فالخليج هنا عربي . راجع الرقم ٢٥ في ملحق الاستدراك والتعليق .

سرحان ، على جمل سريع في ٥٢ ساعة (٢٦٠ ميلاً). وعلى هذا الاساس أقدر المسافة من درب الحج ، فوق الدار الحمراء وقرب تيماء ، الى اقرب بقعة من نفوذ نجد باربع وعشرين ساعة فقط .

يُقدّر عدد سكان تيماء بما يعادل اسرة جميعهم من الشمر ، في بطنين اثنين : علي وحمدة ، والشمر مختلفون عنبني عنزة المقيمين في الصحراء المحطة بتيماء اختلافاً كبيراً . ففي عنزة ملامح تلاحظ فيها قسمات سورية ، وأحياناً قسمات يهودية صرف (كذا) ، اما الشمر فتتميز بلامع تذكرنا بانسبائهم من عرب اليمن .

ويُخيّل اليّ اني استطيع ملاحظة وحدة الاصل : هذه ، في القبائل المتحدرة من القحطانيين ، بوضوح تقريبي ، على اساس الزمان الذي انقضى منذ نزوح تلك القبائل المتحدرة من مضاربها الاولى ونسبة نقاط (او عدم نقاط) السلالة بعد اختلاطها بسكان المناطق التي نزحت اليها. ويروي عرب الشمر في عنواناتهم انهم من القبائل التي نزحت متأخرة من الجنوب وقد احتفظوا اكثر من سواهم بلامع جدودهم اليمانيين ، الامر الذي يلحظه ايّ شخص عاش مدة بين عنزة .

يخضع بنو شمر لابن الرشيد زعيم شيوخهم في نجد ، وهم مثل جميع الوهابيين يتبعون في حكمهم الشريعة الاسلامية اكثر من اتباعهم نظام الصحراء العري . وفي الامور المأمة يُطلب الفرقاء الى حائل للمثول امام ابن الرشيد فيستشير هذا قاضيه ويصدر حكمه وفقاً للمذهب الحنفي الذي اتباه الوهابيون عند بدء حركتهم الاصلاحية . ويذهب فريق من الكتاب العصريين (*) الى ان الوهابيين قد اعتنقوا المذهب الحنفي . ويروي البعض الآخر انهم وضعوا مذهبها خاصاً بهم يؤلف طائفة مستقلة . والروايات لا اساس لها من الصحة . فالوهابيون مصلحون فقط ويتبعون المذهب الحنفي .

تنتصب تيماء على ارض من صخور كلسية متبلورة . وترتفع قليلاً عن الارض

(*) - كان ذلك في أواسط القرن التاسع عشر .

المحيطة بها . والقليل الذي تستطاع فلاحته وزراعته من ارضها هو البقاع الرملية الداخلة في الصخر . ويعمل السكان مزارع نخل كبيرة تنشر ثمراً منوعاً ، وبعضه يسمى بالحلوة وهو اشهى واذكى ثمر في بلاد العرب . ويزرع في تيماء بعض الحبوب ولا سيما صنف ممتاز من الشوفان ، إلا ان المحصول لا يسد حاجة الاهلين .

القسم الاكبر من الساكنين ترويه بئر غزيرة المياه اسمها «بئر المداج» تبيع في وسط البلدة . اما الجنائن البعيدة فترويها الآبار المجاورة لها . والوسيلة المستعملة في رفع المياه وجرها في قنوات للري هي عينها المستعملة في بلاد ما بين النهرين (العراق) وفي نجد ، اي انها دلو من جلد الحمل تتدلى من طرف رافعة طويلة ، نقطة استنادها في قمة عمود مثبت في الارض . اما الساقية او التأعوره (دولاب الماء) التي تستعمل في مصر فلا اثر لها هنا . أضعف الى هذا كله ان شكل المنازل وزراعة الجنائن وكثيراً من الميزات تذكرني اني دخلت ارض نجد : ففي القرى التي على الساحل تظهر العادات المصرية واضحة . وكذلك تسود العادات السورية القرى المنتشرة على طول سلسلة الشراة ، وحتى الجروف في الداخل . اما في تيماء فتظهر اول دلائل مدنية مختلفة يبدو لي انها انتقلت من بلاد ما بين النهرين الى القسم المجاور لها من بلاد العرب ، وما لبثت ان انتشرت تدريجياً في جميع أنحاء نجد .

ان المسافة بين تيماء والعلا تقدر بمسيرة يومين ونصف اليوم باتجاهِ جنوبِ^ي غربي ، والطريق المؤدي الى العلا لا ماء فيه ، سوى ما يتبقى في احواض وصهاريج بعد سقوط الامطار . وقيل لي ان سكان العلا يبلغ عددهم ثلاثة اسرة تشمل عدداً كبيراً من المولدين ، وهم يتعاطون اعمال التجارة الصغيرة مع البدو المجاورين ومع ينبع والوجه والمدينة .

والكاتب الوحيد الذي ذكر العلا هو احمد الدمشقي (٤٥) في مؤلفه « الاخبار الدول» (*) حيث يقول عنها انها «بلدة في طريق الحج السوري ، على خمسة ايام

(*) - بل ذكرها أيضاً ياقوت في «معجم البلدان» ، وقد أوجزناه في التعليق في ذيل الصفحة ٣٨ .

من المدينة ، في وادٍ فيه مزارع نخل وينبوع ماء جاري . وأقول : إنها تقع خارج طريق الحج ، على ست ساعات الى الجنوب الغربي من الحجر ، المترتب الرابع من تبوك ، ويتفق الجميع على ان المسافة من تيماء الى تبوك اربعة ايام ، والسفر بينهما سهل . وفي منتصف الطريق صهريج اسمه « عُقلة » ندر ان جف ماؤه . والجوف تقع على خمسة ايام الى الشمال الشرقي من تيماء في حين تبعد خير عنها ثلاثة ايام طويلة .

إن الاشارات الى تيماء التي استطعت العثور عليها في الكتب العربية قليلة طفيفة ، وهي تردد القول عينه « ان تيماء بلدة في الصحراء السورية (كذلك) وهي لطيء ، فيها من التمر اكثر ما في تبوك وتعتبر اغنى منها . وحصن الابلق المنسوب للسموأل بن عاديا كان فيها ». قلت : لم أر أية اطلال للحصن . والسكان لا يذكرون اسمه . وجل ما هنالك خربة بناه صغير من حجارة منحوت ، نصفه مطمور بالرمل والنفايات ، ويکاد لا يذكر ، فلا يعقل ان يكون هو الحصن القديم الشهير .

ان اكثر البدو المقيمين في جوار تيماء من قبيلة عنزة . واعظم بطونها « الفقراء » وولد علي ، وولد سليمان ، والبشر . ويقيم « الفقراء » بين الحجر وتبوك وخير وتيماء ، وفخذهم الرئيسي بنو وهاب . ويقيم ولد علي وولد سليمان ، عادة ، في الاجزاء الجنوبيّة من النفوذ الى الشرق من تيماء . اما البشر ، والعواجي ففخذهم الرئيسي ، فمتّشرون في النفوذ ، من هنا وشرقاً حتى القصيم ، في الاراضي المغطاة بالحصى التي تلي النفوذ . وبنو شمر يفضلون عادة الاجزاء الشرقية من النفوذ وبالبقاء القرية من العراق الى حيث كانوا يتزحفون في القرن الماضي (*) بطنان بعد بطن واسرة بعد اسرة . ومن الصعب تحديد مناطق البطون المختلفة لان هذه البطون تعيش في صدقة وتحالط وتنزل احياناً في مكان واحد . وفي نهاية الربيع ، عندما

(*) - القرن الذي سبق رحلة المؤلف ، وهو القرن الثامن عشر .

يشع الماء ويقل الكلاً في النفوذ تقرب كل قبيلة من منازلها او قريتها ، وفي موسم قطف التمر تضرب كل منها خيامها قرب سور بلدتها .

٢٦ من نيسان (ابريل) انطلقت مع عواجي^١ من البشر كان راجعاً الى موطنها ، بعد سفره من حائل الى مصر دليلاً بجماعة تقد عشرين حصاناً لعباس باشا (*) ، وعلى بعد ساعة الى الجنوب من تيماء مرتنا بقمة غُنَّيم اليتيمة الى يميننا ودخلنا بقعة منبسطة اسمها السنانية . وبعد سير طال خمس عشرة ساعة بلا توقف في هذه البقعة ، وفي ارض «الحولة» التي هي امتداد لها ، اتينا مضارب «الفقراء» ، وعددها ماينا خيماً ونیف نصبت على سفح تلة منعزلة من صخور رملية اسمها جبل بَرْد ، وكان اكثراً سيراً ليلاً . وعلى قدر ما استطعت أن ارى في الظلام وجدت ان سُراناً كان في منبسط تحدّه في الشمال الشرقي سلسلة النفوذ ويتند على مد البصر نحو الجنوب الغربي . واظن ان النفوذ كانت على خمس ساعات من طريقنا ، وبدت لنا مثل سلسلة تلال من الصخور الرملية تنتصب فوق الارض الغربية المنخفضة وتمتد من الشمال الى الجنوب .

قضينا اليوم التالي في خيام «الفقراء» . وفي المساء لحقت بنا جماعة كان ابن سعود قد ارسلهم في اواخر السنة الماضية في خيل الى (الخدبيوي) عباس باشا وهم الآن في طريق العودة الى الرياض مقام زعيهم ، ومعهم واحد من عبيد باشا مصر ارسله مولاً لشراء خيول جديدة من نجد .

٢٨ من نيسان (ابريل) انضممنا بعضنا الى بعض وانطلقنا من المضارب يرافقنا شيخ من «الفقراء» وبعض جماعته باتجاه شرق^٢ – جنوب^٣ شرق في اراضي الحولة ، في سهول من الرمال الناعمة تخللها اكبات منخفضة وقتل من صخور رملية . وكان المنظر العام يشبه منظر الحسمى ، وسرعان ما اظهرت تموجات الأرض انا نقترب من النفوذ . وبأع مسيراًنا اليوم سبع ساعات وعشرين دقيقة فقط

(*) – هو ابن طوسون بن محمد علي باشا . انظر الرقم الـ ٣٥ من ملحق الاستدراك والتعليق .

٢٩ من نيسان (ابريل) بعد ساعة من انطلاقنا وصلنا الى حوض ماء اسمه «مُغيَّرة». وبعد ثلاث ساعات اخرى ونصف الساعة اتينا المحدر الجنوبي لارض التفود وسلكنا طريقنا صعوداً وزولاً على رمال ناعمة متموجة ساعتين وربع الساعة حتى وصلنا الى مرتفع من الصخور الرملية اسمه «عرنان» فيه صهريج ماء اسمه عِنْز . ولم نتوقف للمبيت الا بعد ست ساعات اخرى .

٣٠ من نيسان (ابريل) سرنا ساعة باتجاه جنوبي - جنوبي شرقى ، الى جانب تلة من صخور رملية اسمها «المِسْمى». ثم بدأت الارض تنخفض نسبياً وتحدر الى وادٍ كبير اسمه «وريق» او «غوطة». وهو لفظ يطلق على كل ارض مماثلة . وسرنا في الوادي اربع عشرة ساعة ونصف الساعة نحو الشرق .

اول نوار (مايو) رأينا اليوم أجاً وسلمى ، جبَلَى طيء الشهرين ، وهما من صخور غرانيتية ويُعدان اهم ما يحويه هذا الجزء من بلاد العرب . وسرنا الى اولهما وبعد تسع ساعات واربعين دقيقة بلغنا بلدة مَوْقَق ، في سفح أجاً ، وكنا قد عبرنا تدريجياً من ارض رملية ناعمة الى ارض صخرية تتميز بها اراضي جبل شمر والاجزاء الجنوبية من نجد .

٢ من نوار (مايو) سرنا تسع ساعات وعشرين دقيقة في وادٍ ينحدر نحو الشرق - الشرق الجنوبي مترافقاً في العرض سلسلة أجاً كلها ، ثم دخلنا سهيل البطين الذي يمتد بين جبَلَى طيء ويشكل تماماً ما يسمى بمنطقة جبل شمر . واسترحة الليل هنا ، قرب «قُفار» اكبر بلدة في هذه البقعة ، وفيها المضارب الرئيسية لمن يقي من سلاله بني تميم القبيلة القديمة .

٣ من نوار (مايو) بعد ثلاث ساعات من السير نحو الشرق وصلنا الى حائل مقر زعيم شيوخ شمر . وهي - الى حدٍ ما - عاصمة بلادهم . وكان درينا من تميم إليها شبه دائري بسبب اتجاهنا جنوباً بعد مغادرتنا تميم . اما الطريق العاديه من تميم الى حائل فتتبع اتجاهها شرقياً - جنوبياً شرقياً ، عبر اكة «حلوان» المرتفعة عند حافة التفود ، على ثمان ساعات من تميم . والمسافة بين

تيماء وحائل تقدر بحوالي خمسة أيام على الجمال .

سمعت بانباء عن اضطرابات في اراضي ابن سعود دفعتني — بالإضافة الى اعتبارات اخرى — للعدول في الوقت الحالي عن عزمي زيارة الاجزاء الشرقية من نجد والاراضي المتدة الى الخليج الفارسي (*) فقررت متابعة سفري الى بغداد .

ان المواصلات بين جبل شمر والعراق تتبع طريقين مختلفين ، اقصرهما في اتجاه شمالي — شمالي شرقى ، ثم شمالي ، وعلى الرغم من قلة الماء ومن مشاق السفر فيه ، فالجماعات القليلة والقوافل المسالمة المتوجهة الى بغداد لشراء الدرة والارز تفضلها على الطريق الآخر لأن الاول اكثراً أماناً.اما الطريق الآخر فيبدأ من اشراقاً ثم ينعطف ويوازي تقريباً في اتجاهه الطريق الاول ، والماء فيه كثير يكاد يكون في كل محطة منه ، ولذلك يرتاده البدو فيقل الامن عليه ، ولا تسلكه إلا القوافل الكبيرة والجماعات المسلحة في غزوتها .

وهذه الطريق الاخيرة يتبعها حجاج بلاد ما بين النهرين (العراق) في قوافل الكوفة من مشهد علي الى مكة ، ويقدر طولها باحد عشر يوماً فيما اذا اخذ معدل سفر الحجاج اليومي بعين الاعتبار . والعرب ينسبون الآبار الموجودة في ذيئنك الطريقين ، وفي القرى وال محلات القديمة ، الى سليمان بن داود ويعزون اليه بناءها بمساعدة الجن الذي سخره المولى القدير لسيطرته . اما في الايام الحديثة فيقال ان المست زبيدة زوجة هارون الرشيد هي التي اعادت بناء الآبار على طريق قوافل الكوفة واقامت الخانات . وهذه المباني لم يبق لها اليوم من اثر .

ولما كان عدد العربان الذين سأسافر معهم خمسة فقط — وهم في طريقهم الى مشهد علي لشراء مؤنة قبيلتهم من الأرض — فقد قررنا اتباع الطريق الصعب الامين . فانطلقنا في السابع من نوار (مايو) من قرية الخثامية — على ست ساعات الى الشمال — الشمال الشرقي من حائل — وسرنا باتجاه شمالي — شمالي شرقى

(*) — هو الخليج العربي . انظر الرقم ٢٥ في ملحق الاستدراك والتعليق .

خمس ساعات وربع الساعة في سهل من التفود اسمه دقّي ، يمتدّ في الشمال الشرقي جبل قيسى ، وهذا الجبل سلسلة هضاب منخفضة من صخور رملية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي . وإلى يسارنا - اي الى الغرب - اطراف سلسلة أجا الغرانيتية التي تنحدر بغير انتظام وتنتهي هنا ، على بعض ساعات ، الى الغرب من جبل قيسى . وعند الافق ، وراءنا ، رأينا قمة «الحدادية» المرتفعة والمنفردة .

وراء جبل قيسى يبدأ سهل «الخطة» - البدو يقولون انه بين التفودين - وعبرنا هذا السهل باتجاه شماليٌ شرقيٌ في سبع ساعات ، وفي منتصفه تقريرياً مررنا ببئر عميقة جداً اسمها «بئر التيس» يضرب بنو الصُّلبة خيامهم حولها في الصيف ، وهم اوضع بطون هَتِيم .

٨ من نوار (مايو) مرة ثانية عبرنا في بقعة من التفود اقل توجهاً مما هي عليه عادة . ووصلنا بعد تسع ساعات ونصف الساعة الى بئر الاطواء التي يبلغ عمقها قرابة خمسين قامة ، على ما قاله لي مرافقي ، وهي قديمة جداً وبنية من حجر منحوت بناء محكماً . وبعد اربع ساعات اخرى توغلنا للمبيت . وقد مررنا اليوم بأكام لم تكن سوى اكواخ رمال يعرف الواحد منها بالطاوس .

٩ من نوار (مايو) مررنا بسلسلة تلال منخفضة من صخور رملية تسمى صَيْلة . وهي اول تلال نراها منذ غادرنا جبل قيسى ، باستثناء ما شاهدناه البارحة من كثبان الرمال . وبعد ثلاثة ساعات من جبل صَيْلة وصلنا الى حافة التفود وبدأنا التزول تدريجياً الى ارضِ من الرمال الثابتة ، وبعد اربع ساعات اخرى دخلنا ارض «الحماطية» فوجدنا بعض الماء في فجوات صخور جيرية . وإلى يسارنا - اي الى الغرب - ارض الحياتية حيث الماء ، على ما قاله لي رفافي ، موجود ايضاً في اماكن مماثلة .

واما الى يميننا ، وعلى يوم واحد الى الشرق ، فارض «ليُنْتَة» التي تمر بها قوافل

الحج الكوفي ويرتادها عرب الجوار ويضربون خيامهم فيها لكتة آبارها (*) وقرب قعرها . ووقفنا تلك الليلة للمبيت بعد ثلث ساعات أخرى وربع الساعة .

١٠ من نوار (مايو) بعد مسيرة ثلاثة ساعات وعشرين دقيقة وصلنا إلى سلسلة من التلال الرملية تسمى «الدهناء» ، تشكل حدود النفوذ في الجهة الشمالية الشرقية . وتمتد هذه التلال بلا انقطاع من قرب الحوف ، التي تبعد عنا قرابة أربعة أيام ، إلى «عمود الخيمة» (**) على شاطئ الخليج الفارسي (***) وتحدر تلال النفوذ الأخرى وامتدادتها تدريجياً باتجاه البحر ، وتنتهي قبل الشاطئ ، وتحتلها بقع من الأرض ذات تربة مختلفة . أما في الجهة الأخرى من «الدهناء» ، إلى ناحية الخليج ، فتصادف بقع من رمال النفوذ الناعمة ، فقدت الميزات الخاصة بالأراضي المرتفعة التي تحتل وسط الصحراء الشمالية بين سوريا وبلاد ما بين البحرين (العراق) .

قطعنا الدهناء (****) في نصف ساعة وأتينا إلى أرض «الحجارة» التي تمتد من الدهناء إلى العراق . وهي ، على مسامها ، أرض من حجارة صلبة ، تشكل

(*) - يقول صاحب «القاموس» أن سليمان بن داود حفر هذه الآبار - فالين .

(**) - أو رأس الخيمة ، وهناك قبر القراصرة من الجواة (القواسم) سنة ١٨٠٩ .

(***) هو الخليج العربي الذي يحيط بالرحالون الأجانب بتسميته بالخليج الفارسي . أنظر الرقم (٢٥) في ملحق الاستدراك والتعليق .

(****) يقول صاحب «القاموس» أن الدهناء هي الفلاة؛ وهي أيضاً ديار بني تميم في نجد ، وباستطاعتي القول أنها البقعة التي قطعناها . ويطلق السكان الحاليون اسم الدهناء ، ويلقظونها بفتح الدال وأداء معنى البطحاء على الرمال أحياناً ، بينما هي تعني حقاً أرضاً رملية منخفضة تغطي سطحها المصادر وتجمع فيها أحياناً المياه المتحدرة من الأرض التي تعلوها . غير أن لم أسمع هؤلاء السكان يستعملون كلمة الدهناء بمعنى صحراء النفوذ ، كما استعملها المغاربة العرب وكوسان دي برسفال . فهم اليوم يطلقون اسم النفوذ على البقعة بكلماتها . وهذه الكلمة تعني أرضاً رملاً ناعمة . ولا بد لي من الإشارة إلى أنني لم أجده مرجعاً قد يورد هذا المعنى الأخير لكلمة النفوذ - فالين .

المرتفعات فيها تموحات متتالية تخللها سهول من الحصى . ولا تبرز في هذه الأرض فوق السطح المتوج أية تلال او مرتفعات تبدل من الرتابة في المنظر ، او تساعد المسافر على ان يتبع طريقه . وحتى الآن كانت سبيلاً من جبل شمر باتجاهٍ شماليٍّ - شمالي شرقى تقريباً . ومن هنا « اخذنا النجم القطبي بين حاجبينا » ، على حد قول العرب ، واتجهنا شمالاً . وتوقفنا للمبيت بعد سبع ساعات ونصف الساعة .

١١ من نوار (مايو) بعد تسع ساعات ونصف الساعة وصلنا الى آبار «حزيل» ويبلغ عمق الواحدة منها عشرين قامة تقريباً وهي مبنية من حجر منحوت مثل بئر الاطواء . وتابعنا السير وتوقفنا للمبيت بعد ساعة وعشرين دقيقة .

١٢ من نوار (مايو) سرنا ثلاثة عشرة ساعة ونصف الساعة ومررنا بسلسل تلال منخفضة ، بعضها من صخور رملية والبعض الآخر من صخور كليسية .

١٣ من نوار (مايو) بعد ساعتين ونصف الساعة من انطلاقنا نزلنا في سهل «المجامر» المنخفض الذي تنتشر على سطحه الرملية آكام من رمال متكللة يصل علوها الى مستوى الأرض المجاورة . وبعد خمس ساعات اخرى ونصف الساعة اتينا منطقة المُشَيْقِيق لعلنا نعثر على الماء، فوجدنا الصهاريج قد جفّفها الصيف واضطررنا لمتابعة الرحلة طوال اليوم دون نقطة ماء تروي عطشنا . فمشينا ايضاً سبع ساعات وعشرين دقيقة ووقفنا للمبيت .

١٤ من نوار (مايو) بعد خمس ساعات وصلنا الى صهاريج «صميّت» فملأنا قِرَبَنا وتابعنا السفر ثمان ساعات وربع الساعة قبل ان نحط بالحال للمبيت .

١٥ من نوار (مايو) وصلنا الى الحدود الشمالية لارض الحجارة ودخلنا وادياً منفتحاً وجدنا فيه بعض الحضرة ، منها شجيرات اكاسيا يسمى بها

العرب شجر السِدْرُ . وقطعنا هذا الوادي باربع ساعات وربع الساعة وأتينا سهل « جُفْرَةِ الْعَرَاقِ » قرب قرية « قصر الرُّحَيْمِيٌّ » ، وتوجهنا منه إلى القبة الذهبية لضريح الامام علي وقد بدت لنا في الأفق . وعبرنا — في طريقنا على الأرض الرملية المتموجة — قاع قناة شابور القديمة الجافة ، ثم مررنا في مضيق في جبل « سنام » المعزز . وبعد مسيرة اثنى عشرة ساعة دون توقف في الليل وصلنا إلى مشهد علي (ض) خاتمة رحلتنا .

انتهى

RECORDED BY
D. M.

مَلَاقِ

١ - الْإِسْتِدَارِكُ وَالْمُعَقِّبُ

٢ - الْفَهَارِسُ

PILOTAGE ALFA
ELETTRONICO

PILOTAGE ALFA
ELETTRONICO

الاستدراك والتعليق

(١) - جبال الشراة (فتح الشين) : من أعمال جند فلسطين إلى الجنوب ، من كور سوريا لما ولها عبيدة بن الحجاج في بدء الحكم الإسلامي . قال ياقوت : أنها صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول (صلعم) . النسبة إليها : شَرْوَى ، (فتح الشين والراء) . وإلى هذا الصقع نسب كثيرون من الرواة ، منهم علي بن مسلم بن الهيثم الشروي . وقال ياقوت أيضاً أن هناك شرة آخر «جبل مرتفع في السماء من دون عسفان ، من يسارها ، تأوي إليه القرود . ينبع النبع والقرظ والشوحط وهو لبني ليث خاصة ، ولبني ظفر من سليم ، وبه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز — من سلك عسفان — يقال لها الخريطة» . (ياقوت : ص ٣٣١) .

(٢) - «باشا مصر» : في ذلك الزمان هو محمد علي باشا مؤسس الأسرة العلوية (الخديوية) . وكان الغربيون يسمون الحاكم في المقاطعات العثمانية بـ «باشا» ، فيقولون : باشا مصر وباشا حلب وباشا بغداد الخ ... أي : حاكم مصر ، وحاكم حلب ، وحاكم بغداد .
أدخل حكم محمد علي العلم والتنظيم إلى مصر ، وأوجد نهضة مباركة ، وحلم بأن يصير سيد الشرق العربي ، ولكنه سطا على الفلاح المصري وزاد في بؤسه . تاريخ الحكم يعدّ من أدهى رجاله ، ولو لا الحروب التي بذر الأموال عليها ل كانت مصر قد صارت جنة .

(٣) — ارْدِكْنَضْه Erdkunde : كتاب ضخم بالألمانية في علم الأرض وعلاقة هذا العلم بالطبيعة وتاريخ الإنسان ، أو : « الجغرافية المقارنة العامة على كونها أساساً وطيداً للدراسة والاستعلام في العلوم الطبيعية والتاريخية » .

وضع هذه الموسوعة المؤرخ الجغرافي ، الرائد ، كارل رير (أنظر ترجمته رقم ٢٠ في هذا الملحق) وببدأ نشره من سنة ١٨٢٢ حتى سنة ١٨٥٩ التي توفي فيها . وقد تناولت الأجزاء الأولى من الارْدِكْنَضْه دراسة القارة الآسيوية — وفيها العالم العربي الذي رأه كارل رير من أفضل أجزاء هذه القارة — وعاشت هذه الموسوعة إلى أواخر القرن التاسع مرجعاً جغرافياً محترماً جداً . (*)

(٤) — تَبُوك : قال أبو زيد : « تَبُوك بَيْنَ الْحِجَرِ (بكسر الحاء) وأول الشام ، على أربع مراحل من الْحِجَرِ نحو نصف طريق الشام وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي (صلعم) . ويقال أن أصحاب الأئمَّة الذين بُعْثِثُ إِلَيْهِمْ شُعْبِيْبَ ، عليه السلام ، كانوا فيها . ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مَدْيَنَ . ومدين على بحر الْقُلُزُمِ (البحر الأحمر) على ست مراحل من تَبُوك . وتَبُوك بَيْنَ جَبَلَ حِسْمِيْ وَجَبَلَ شَرُورَى » .

وقال ابن جابر : « تَوَجَّهَ النَّبِيُّ (صلعم) في سنة تسعة للهجرة إلى تَبُوك من أرض الشام ، وهي آخر غزواته ، لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع من الروم وعاملة ونَحْمَ وَجَذَّامَ ، فوجدهم قد تفرقوا فلم يلق كيداً . وزرلوا على عين فأمرهم رسول الله (صلعم) أن لا أحد يمس من مائتها ، فسبق إليها رجالان وهي تبصّـ بشيء من ماء فجعلاه يدخلان فيها سهرين ليكثر ماؤها فقال لهما رسول الله (صلعم) : « ما زلتَما تَبُوكَانَ مِنْ الدِّيْمَ » فسميت بذلك تَبُوك . والبُوك : ادخال اليد في شيء وتحريكه . وركز النبي (صلعم) عنزته فيها ثلاثة ركزات فجاشت ثلاثة أعين ، فهي تهمي بالماء حتى الآن . وأقام النبي

(*) وقع خطأً مطبعيًّا في كتابة Erdkunde في بعض مواضع فالمرجو تصحيحه .

(صلعم) بتبوك أياماً حتى صاحه أهلها . الخ ... » (معجم البلدان لياقوت : دار صادر وبيروت : ج ٥ ، ص ١٤) .

وسميت غزوة تبوك بغزوة العسرة لقوله تعالى : « والذين اتبعوه في ساعة العسرة ». وتعرف أيضاً بالفاضحة ، لافضاح المنافقين فيها . (القلقشندي في « نهاية الارب » - طبعة مجلة « البيان » النجفية ، ص ٤٢٨) .

وقال عبد الله فيليبي :

« ... وقد وجدتُ في أحد النقوش على مدخل القلعة (قلعة تبوك) الرئيسي عبارة تقول : « جُدّدت وأصلحت هذه القلعة المباركة بناءً على أمر صاحب الشرف السلطان ابن السلطان ، السلطان محمد خان ابن السلطان ابراهيم خان ابن السلطان ... عثمان حفظ الله ملكه ... طول الزمان ... وقام على تجديدها العبد لله القدير محمد بن ... من دمشق الشام غفر الله له ، في السنة الرابعة والستين بعد الألف للهجرة » (١٦٥٤ م .) - « ارض الانبياء » - ص ١٦٣ - ترجمة عمر الديراوي . بيروت .

(٥) - أذرخ : قال ياقوت : أذرخ من أعمال الشراة ، قبلي فلسطين . فيها كان أمر المحكمين بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص . قال ذو الرمة يمتحن ابن أبي موسى :

أبوك تلافي الدين والناس بعدهما
تساو ، وبيت الدين منقطع الكسر
ورد حرباً قد لقعن إلى عقر
вшداً إصار الدين أيام أذرخ

(٦) - الكرك : مدينة في شرق الأردن . ذكرها ياقوت بأنها « قلعة حصينة جداً في طرف الشام ، من نواحي البلقاء في جبالها ، بين آيلة (العقبة) وبحر القُلُزم (البحر الأحمر) وبيت المقدس . وهي على سنّ جبل عالٍ تحيط بها أودية إلاّ من جهة الربيض » . - معجم البلدان : ١٦ ، ص ٤٥٣ . والكرك قديمة جداً كانت عاصمة مملكة مؤاب في عهد قادتها مشع بن

لكموش ، وهو ملك عظيم رفض الخضوع لاسرائيل وحاربها . وقد ذكرته التوراة في سفر الملوك الثاني .

ثم صارت الكرك بلدة رومانية ومركز مطرانية . استولى المسلمين عليها صلحًا بقيادة عمرو بن العاص . وفي الحروب الصليبية جعلت أمنع معقل فرنجي على الجانب الشرقي للاردن والبحر الميت . سكنها الملك بلدوين الرابع . تارينها في تلك الحروب لا يقل شأنًا عن تاريخ اختها الشوبك . (أنظر رقم ٩ في هذا الملحق) .

في حكم المماليك ، وهو عنوان الفوضى ، جعلوها ملجأً أو سجناً للسلطانين والأمراء .

ثارت على احتلال ابرهيم بن محمد علي باشا وإلى مصر . في أواخر القرن التاسع عشر صارت متصرفية مرتبطة بولي دمشق ، وتضم أقضية العقبة وسمان والطفيلة وناحية تبوك .

بعد انسحاب الأتراك من البلدان العربية (١٩١٨) استرجع المجالى في الكرك سطوتهم عليه (مقتبسة من «تاريخ شرقى الاردن وقبائلها») .

(٧) - جُبَّة : بالضم ثم بالتشديد ، تسب إلى آذْرُح . قال كثير :
وإنك عمري هل ترى ضوءَ بارق
عریض السنا ذي هَيْدِبِ مترجح
قعدتُ لِه ذات العشاء أشيمُه
بَرَّ ، وأصحابي بِجُبَّة آذْرُح
وفي الشرق جُبَّات (او جب) كثيرة ، ذكر ياقوت منها سبعا . وفي
لبنان الشمالي جُبَّة تعرف باسم جبة بشرى ، فيها جبل الأرز ومصايف رائعة .

(٨) - السُّيُوطِي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري .

ولد سنة ١٤٤٥ م . في القاهرة ونشأ يتيمًا . نبغ في التفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والبديع واللغة والتاريخ .

سافر إلى الشام والحجاج واليمن والمهدى والمغرب ، باحثاً دارساً مستطلاً حتى جمع العلوم من أطرافها .

لما بلغ الأربعين اعتزل الناس في منزله على النيل منصراً إلى الكتابة .
وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والمهدايا فيردّها .
وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه ، وأرسل إليه هدايا فردّها .

انافت مؤلفات السيوطي على ٥٥٠ جزءٍ بين كتاب كبير ورسالة صغيرة ، منها :

« طبقات الحفاظ » و « طبقات المفسرين » و « الاتقان في علوم القرآن »
و « الاذدكار في ما عقده الشعرا من الآثار » و « حسن المحاضرة في أخبار مصر
والقاهرة » و « تاريخ الخلفاء » الخ ...

توفي السيوطي سنة ١٥٠٥ م . في القاهرة . من تلاميذه : المؤرخ المصري
ابن اياس مؤلف « بدائع الزهور في وقائع الدهور » .

(٩) - الشوبك : (في المملكة الأردنية) « قلعة حصينة بين عمان وأيلة
(العقبة) والقلزم (البحر الأحمر) قرب الكرك ». ذكر التنوخي : ان
يقدور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ إلى بلاد ربيعة من طيء ، وهي
ياق والشراة والبلقاء والجبلاء ووادي موسى ، ونزل على حصن قديم خراب يعرف
بالشوبك بقرب وادي موسى ، فعمرهُ ورتب في رجاله ، وبطل السفر من
مصر إلى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن » - معجم البلدان
. (١٢ : ٣٧٠).

وفي الحروب الصليبية استولى الأجانب على جنوب شرق الأردن ورموا قلاعه ،

ومنها قلعة الشوبك التي سميت بكرك دي مونرو يال (*) وصار لها شأنها في تلك الحروب .
وعلى مقربة ميل واحد منها خرائب الحوص (العيس) موطن النبي أيبو .
جَدَّدَ الملك الناصر بن قلاون بناء قلعتها .

في سنة ١٩٠٥ ثارت الشوبك على حامية القلعة ففتحت الحكومة العثمانية
بأهلها فتكاً ذريعاً .

من أهم عشائر الشوبك اليوم : الشقيرات والهباشة . والرفاعة واللاحيم
والغنيميون والطورة (بتصرف عن « تاريخ شرق الأردن وقبائلها ») .

(١٠) - يوهان لودفيغ بوركهاردت : Johann Ludvig Burckhardt عالم ، مستعرب ، فقيه ، رحالة ، سويسري المولد ، انكليزي المصير ، مسلم آخرة . ولد في لوزان (١٧٨٤) ودرس العربية ومبادئ الدين الإسلامي في المانيا وإنكلترة ، معداً نفسه لاستكشاف المجهول في العالم العربي .

سنة ١٨٠٩ حققت الجمعية الأفريقية البريطانية في لندن أمنيته وسافر بنفقتها ، متنكراً باسم الشيخ ابراهيم بن عبد الله ، زاعماً أنه تاجر مسلم من الهند - وفي قولِ إن " اسلامه كان صادقاً " لا مطية للأرب - فزار سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز ومصر وببلاد النوبة . إليه يرجع الفضل في اكتشاف الآثار الرومانية في مدينة البتراء (مدائن صالح) من أعمال شرق الأردن فذاع صيته مكتشفاً من الدرجة الأولى .

في طوافه بالعالم العربي ازداد تضلعاً من اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي ووفر اختزانه من بحرهما حتى صدق العلماء إسلامه . وهو أول « مسيحي » وصف مناسك الحج وصفاً كاملاً وصحيحاً . وكذلك كان ما كتبه عن مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين أقام فيها . وقد رأى في البداوة النبل والشهامة . وأحبّ البدو وفضلهم ، في حالات كثيرة ، على الحضريين في الشرق والغرب ،

Kerak de Montroyal - (*)

مؤكدا ان العربي (البدوي) هو أريحي مُسْنَجِدٍ ، يُسْتَجَارُ به فيليّ فيما اذا روَيْتَ كرامته . (ومثله رأى الرحالة قالين مؤلف كتابنا هذا) .

أعجب بوركهاردت اعجابا شديدا بمحمد علي والي مصر « الحاكم المسلم المتسامح » ، بعد أن قربه البasha منه وشمله برعايته . وب بدأت اليوم بعض وثائق مكتشفة حديثا تكشف عن ملامح في تلك العلاقة فتقول ان الرحالة عمل مستطلاعاً حال الحجاز وبلاد النوبة لمصلحة محمد علي الطامع بالاستيلاء على العالم العربي ... والثابت ، أيضا ، ان بوركهاردت عمل في خدمة الانكليز الذين أوفدوه في رحلته . ولم يكن ثمة ما يحول دون ذلك الاستطلاع المزدوج لأن محمد علي كان يومها يغازل الاستعمار الانكليزي ، وهو الذي ساعد الرحالة على الحج إلى بيت الله الحرام فكتب بوركهاردت بالانكليزية البليغة أروع ما كتب في وصف مناسك الحج ، وموسمه ، وعاداته ، وتقاليده ، وحجاجه .

توفي بوركهاردت في خريف ١٨١٧ في القاهرة ، مؤمنا مسلما ، ودفن في القرافة الكبرى ببنقة صديقه محمد علي باشا بعد أن صلي عليه في مسجد الأزهر ومشي في جنازته العلماء وكبار موظفي الوالي مشيعين عالما تقىا خسره أصدقاؤه المسلمين والعرب .

كتب بوركهاردت ، بالانكليزية ، كثيرا عن العالم العربي ، ولعله أغزر كتاب زمانه في ذلك . ووضع مجلدات عن أسفاره طبع منها بعد وفاته الكتب الآتى بيانها :

- ١) « رحلة في سوريا والأرض المقدسة »
- ٢) « رحلات في الجزيرة العربية »
- ٣) « ملاحظات عن البدو »
- ٤) « أمثال عربية »

وترك مذكرات وشروحات قيمة لا تحصى ، وترك أيضا مخطوطات نفيسة وكتبا نادرة اشتراها من مختلف المدن العربية التي أقام فيها ، وقد أوصى بها بعد وفاته لكتبة جامعة كامبريدج .

قلنا : قد يختلف ، اليوم ، في تقدير روعة ما كتبه بوركهاردت عن العرب وببلادهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، ولكنه لا يختلف ، ولن يختلف في كونه أول من توقع – وكان ذلك في مطلع القرن التاسع عشر – ان الحكم التركي سيزول من الحجاز ، وان العرب سيسقطون . (اقتبسنا بعض سيرته من كتاب « ارتياه العربية » لـ كيرنان) .

(١) – **الحوبيات:** هذه رواية اخرى عن أصلهم رواها اللفنت كولونيل فردرريك ج . بيك في « تاريخ شرق الاردن وقبائلها » :

« يختل الحويبيات القسم الجنوبي من شرق الاردن منذ عددة عصور وقد جاء عنهم في كتاب The Handbook of Arabia ما يلي :

« يدعى الحويبيات أنهم شفاء النسب ، أي أبناء النبي من ابنته فاطمة ، لكن قيل عنهم ما يسترجي ويسترجب الدرس والتمحیص ، أي أنهم من بقایا الانباط الذين كانوا مسيطرين على طرق القوافل إلى اليمن – طرق تجارة البهارات – وكانت عاصمتهم بطراء على بعد بضع ساعات من غربى معان . »

والحقيقة التي لا جدال فيها هي أن الحويبيات لم يتمكنوا بعد من إثبات نسبهم الشريف الذي يدعونه ، وقد وصلتنا القصة الآتية عن نسبهم واصلهم : مر ثلاثة حجاج من العقبة قادمين من الحجاز بطريقهم إلى القدس وكان يرافقهم ولد صغير . يقول الحويبيات ان هؤلاء الحجاج كانوا من الأشراف ، أما أعداؤهم فيقولون أنهم كانوا من قبيلة هتيم الوضيعة . ولما كانوا في العقبة مرض الولد ولم يتمكن من متابعة السفر فعهدوا بتطيبه والاعتناء به إلى أسرة عربية كانت تسكن هناك .

ترعرع الولد في أحضان هذه الأسرة وتعلق بها ولما رجع صاحبه من القدس أخفى الولد وقيل لهم إنه مات . انطلت عليهم هذه الكذبة وذهبوا إلى أوطانهم غير عالين أنهم تركوا وراءهم جداً لقبيلة كبيرة لا تزال تتحبّط في تعين نسبها وضبط أصلها .

كان اسم الولد غازي ، واسم رب الأسرة التي تعهّدته معاذ ، جد قبيلة بنى عطيه . توفي معاذ عن ثلاثة أولاد ، وهم : عطيه وعقيلان وخميس . ولما كبر غازي تزوج ابنة عطيه بن معاذ الخ ... (ص ٢٢٨) .

قلنا : وفي الحرب العالمية الأولى كان شيخ الحويطات الشيخ عوده أبو نايه الذي قام بدور جريء في الثورة العربية على الحكم التركي . « فكانت خدماته للحلفاء تفوق الحصر » (فدرريك ج . بيك : ص ٢٣٣) .

(١٢) - الحُمَيْمِة: «يرى موسى MUSIL ان «الحميمية» هي مدينة AUARA النبطية ، ويشير إلى رواية تأسيسها التي ذكرها اورانيوس URANIUS واسطيفان البيزنطي . وخلاصتها ان « حارثة » ابن ملك الانباط حلم ان والده سينشى مدينة AUARA ، من كلمة « حوراء » أي اليضاء . فلما قص حارثة حلمه على والده ، أخذ يفتش عن موضع أبيض ينشى عليه المدينة . وبينما كان يفتش عن هذا الموضع ترافق له شبح رجل أبيض على جمل أبيض استخفى فجأة . فلما دنا من مكان الشبح وجد بقایا شجرة ذات عروق متعددة فأمر أن يكون موضع حوراء » - رواه الدكتور جواد علي في « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » : ج ٣ ، ص ٤٠ - بيروت ١٩٦٩ .

قلنا : والأب موزيل الذي استشهد به الدكتور جواد علي كاهن من تشيكوسلوفاكية ، درس اللغة العربية عند الآباء اليسوعيين ببيروت وعاش سنين طويلة في لبنان وجعل منه منظلاً إلى رحلاته الدراسية في الجزيرة العربية ، فكتب عن قبائلها أبحاثاً قيمة . ولد سنة ١٨٦٨ وتوفي سنة ١٩٤٤ ، وقد عرفناه عالماً جغرافية العربية وأحببنا فيه وداعته واحلامه للعلم .

(١٣) : الجَوْف : المطمئن من الأرض . اسم واد في أرض عاد ، فيه ماء

وَشَجَرٌ ، حِمَارٌ رَجُلٌ اسْمُهُ حِمَارٌ بْنُ طَوْيَلٍ كَانَ لَهُ بَنُونٌ خَرَجُوا يَتَصَبَّدُونَ فَأَصَابَتْهُمْ صَاعِقَةٌ وَمَاتُوا ، فَكَفَرَ أَبُوهُمْ كَفَرَا عَظِيمًا قَائِلًا : « لَا أَعْبُدُ رِبًّا فَعَلَّ بِي هَذَا الْفَعْلُ » — العِيَادُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ! — ثُمَّ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْكُفَرِ فَمِنْ عَصَى مِنْهُمْ قَتْلَهُ وَقُتْلَ مِنْ مَرَّتِهِ مِنَ النَّاسِ ، فَأَقْبَلَتْ نَارٌ مِنْ أَسْفَلِ الْجَوْفِ فَأَحْرَقَتْهُ وَمِنْ فِيهِ وَغَاصَ مَأْوَهُ ، فَضَرَبَتِ الْأَرْضُ بِهِ الْمَثَلَ وَقَالُوا : « أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ ، وَوَادٍ كَجَوْفِ الْحِمَارِ » (عَنْ يَاقُوتَ ، بِالْخَتْصَارِ) — وَهَنَالِكَ جَوْفُ فِي الْيَمَنِ ، وَجَوْفٌ آخَرُ غَيْرُ الَّذِي يَذَكُرُهُ فَالِينِ .

(١٤) — كارستن فيا بوهير (نيبور): (١٧٢٣-١٨١٥) عالم ، مهندس ، مستعرب ، رحاله الماني . أتيح له أن يكون أحد علماءبعثة الاستكشافية التي رعاها وأوفدتها (١٧٦٧) فريدريلك الخامس ملك الدنمارك إلى شبه جزيرة العرب لدرس مناطقها وأراضيها ومياهها ونباتاتها ومناخاتها و מגاجاتها ، وكل ما له علاقة بالكتاب المقدس .

وكان نيا بوهير يعرف بعض العربية فلما وصل إلى اليمن تعرّف إلى رجل ماروني من جبل لبنان علمه لهجة البلاد العامية مما ساعدته كثيراً — إلى كونه يرتدي الزي الشرقي ويتسافر على حمار — على مقاربة الناس والاتصال بهم والتحدث إليهم دون أي حذر . ولكن هذا كلّه لم يمنع من أن تلقىبعثة عذاباً ومشاق لا توصف حتى مات جميع رجالها الخمسة وهم علماء وفانانون ومات خادمهم ولم يبق إلا نيبور الذي وضع بالألمانية كتاباً قيّماً عما رأته ودرسته البعثة عنوانه : « رحلات خلال جزيرة العرب » في ثلاثة مجلدات ، وترجم إلى الفرنسية والإنكليزية وأحدث دويّاً في عالم الاستشراق والاستكشاف لأنّه كان أول دراسة موضوعية علمية تناولت حالات عالمنا العربي وبسطتها بدقة وامانة وفهم ، وامتازت بأنّها باكورة الكتب الرصينة التي وضعها في ذلك الماضي الضيق الافق ، مؤلّفٌ مسيحي عن العرب والاسلام ولم يبدُّ متعصباً ، ولا مخاصماً ، ولا متحالماً ، بل كان يقطا بعيداً عن روح الرحالين الاصفين

الذين عرفتهم القرون الوسطى – في الشرق والغرب – قصيري النظر وضيقي الصدر وصغروي الفكر .

وكذلك امتاز نيابور بأنه أول كاتب توقع النجاح للحركة الاصلاحية الاسلامية التي نادى بها المسلم العظيم الامام الشيخ محمد عبد الوهاب واشتهرت باسم « الوهابية » – هكذا أسمهاه الآتراك وحليفهم محمد علي (ولالي مصر) للتقليل من شأنها الاصلاحي – فأنصصفها نيابور مدفوعاً بايجابية العالم المتفتح العقل وقال عنها إنها من المحتمل أن تزداد نفوذاً في بلاد العرب . وبقي كتاب نيابور ما يقرب من دهر ونصف الدهر المرجع الوحيد الامين لمن رغب في معرفة شيء صحيح عن العرب وال المسلمين . وصحيح ان الظروف لم تسمح لنيبور بان يعرف كل شيء عن العالم العربي ولكن الذي عرفه وكتبه موضوع ثقة وتقدير . (اقتبسنا بعضه عن كيرنان في كتابه : « ارتياض العربية ») .

(١٥) – اولريش ياسبر زيتسن Ulrich Jasper Seetzen : طبيب ، عالم ، مهندس ، مستعرب ، رحالة الماني ، ولد سنة ١٧٦٧ ودرس في جامعة غوتينغن الشهيرة بمستشرقها . اتقن علوم النبات والحيوان والفلك . عين عضواً في جمعية الأبحاث الطبيعية في كل من برلين وڤيانة . رحل سنة ١٨٠٢ إلى الشرق العربي بمساعدة الدوق فون غوتا صاحب مجلة « الرسالة الجغرافية والفلكلورية » ، وهو الذي شجعه ورعى رحلته . وكان مقرراً أن يذهب زيتسن من مصر إلى اكتشاف منابع نهر النيل في افريقيا الغربية – امنية أكثر الرحالة المستكشفين في ذلك الزمان – ولكن أرض اليمن جذبته إليها واستبنته فيها .

اتقن زيتسن العربية في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر ، ومكث في هذه الأقطار سبع سنوات يتجرول في مدنها وقرها دارساً آثارها وطبيعتها متخذداً اسم الحاج موسى اسمأ له . ثم أعلن اسلامه (تموذ ١٨٠٩) وسافر إلى جدّة فمكة المكرمة حاجاً ، ورسم الكعبة رسمًا دقيقاً كاملاً وتتابع سفره إلى صنعاء وعدن فجبلاليمان . ولوسوء حظ الارتياض العلمي قتل زيتسن في آخر سنة ١٨١١ في بلدة تعز مسموماً بأمر من الإمام المتوكّل على الله أحمد بن علي العباس

الذي ارتات في دينه وفي مهمته بعد أن بلغه انه ساحر . (وكتبت شؤون كثيرة في اغتياله) .

والذى لا ريب فيه هو أن أولريش ياسبر زيتزن يعتبر أول رحالة كشف عن الكتابة الأثرية الحميرية ، وان قتله أخسر الاستكشاف العربي رائداً ذكياً وشجاعاً . (اقتبسنا بعضه عن كيرنان في كتابه « ارتات العرب ») .

(١٦) - الدكتور روبنسون (ادوار) : عالم أميركي ، دكتور في الفلسفة وفي اللاهوت . ضليع باللغتين العربية واليونانية القديمة . تخصص بدرس الآثار المسيحية (المقدسة) في المشرق ، ولا سيما في فلسطين ، وتعمق بتفسير نصوص التوراة والإنجيل . زار سنة ١٨٣٨ لبنان وسوريا وفلسطين وجوارها ووضع عن رحلته كتاباً جغرافياً وتاريخياً قيماً بعنوان « التفتيش عن الآثار التوراتية في فلسطين والأقطار المجاورة » بسط في مشاهداته وشروحاته وتقنياته بسطاً وأفياً وطبعه في وقت واحد (١٨٤١) في الولايات المتحدة الاميركية وانكلترة ولمانية في ثلاثة أجزاء ، فأحدث صدوره اهتماماً بالغاً في جميع الاوساط العلمية التي تعنى بهذا الموضوع في العالم . ثم رجع الدكتور روبنسون إلى المشرق بعد أربع عشرة سنة من زيارته الأولى وكتب بحوثاً جديدة ذات آراء جريئة ... وقد يكون من أهم مؤلفاته كتابه « المكتبة المقدسة » BIBLIOTHECA — SACRA . صار مرجعًا ملئ يعني بموضوعه . (١٧٩٤ - ١٨٦٣) .

(١٧) - « تمرد مارد وعزّ الابلق » : مثل يُضرب لكل ما يمتنع عن صاحبه . ويبدو ان رحالتنا قليلين لم يفهم معناه . أما « مارد » فهو حصن أكيدر في دومة جندل ، والابلق حصن منيع آخر في تيماء يخص الشاعر الشهير السموأل ، وقد وصفوه بالابلق لأنه بنى بحجارة مختلفة الألوان . ورووا ان الملكة الزباء قصدت الحصين ولم تقدر عليهما ، فقالت : « تمرد مارد ، وعزّ الابلق ! » - « فرائد اللآل في مجمع الأمثال » ، لا برهيم الاحدب -

ج ١ ، ص ١٠٥ ، المطبعة الكاثوليكية بيروت.

وقال في محيط المحيط (ص ١٢٥) : « الابلق الفرد حصن للسموّل ابن عاديه اليهودي مني من حجارة بيش وسود ، قيل بناء أبوه ، وقيل سليمان ، والأول هو الصحيح بدليل قوله :

بني لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئتُ استقيتُ
وكان له حصن آخر في دومة الجندل مبنى من حجارة سود ، قصدتهما
هند بنت الريان الغساني (ملكة الجزيرة العربية) الملقبة بالزباء لكثره شعرها ،
فعجزت عنهما فقالت : تمرد مارد وعزَّ الابلق . فذهب قوله مثلاً » .

(١٨) — القلقشندى : أبو العباس أحمد ، هو أحد أعلام عهد المماليك بمصر ومن أكثر مؤلفيهم إنتاجاً . ولد سنة ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ م) . في قلقشندة (محافظة القليوبية) ، ويرجع نسبه إلى أصل عربي قع ، فإنه من بني بدر بن فزارة من قيس عيلان . وينو فزارة من القبائل التي وفدت على وادي النيل في الفتح الإسلامي وبعده . نشأ أبو العباس في بلاده الأم وتلقى دروسه الأولى فيها ، ثم رحل إلى الإسكندرية طلباً للمزيد من العلم فنال أوفره من أشهر علماء عصره ، وتفقهه ومهر . ثم أخذ في تدريس علم الفقه ووضع كتابين في شرحه . ولم يلبث أن ذاع نباء حجه وبحراً في المعرفة فاختير كاتباً بديوان الإنشاء في آخر سلطنة السلطان برقوق ، الأولى . ثم ناب في الحكم . وديوان الإنشاء يومئذ هو ديوان كتبة السلطان ، وهو لواء معاونوه الأقربون وكتمة أسراره وأصحاب الدالة عنده في بعض الأحيان .

وفي ذلك المنصب وضع القلقشندى موسوعته الفريدة باسم « صبح الاعشى في صناعة الانشا » ، جمع فيها فاويعى ، اذ ملأها من كل فن خبراً ومن كل علم باباً ، ببساطاً جميع ما يحتاج اليه الكاتب من ثقافة لاتفاق صنعته ، وبساطاً جميع الأساليب الإنسانية التي عرفتها الممالك الإسلامية مشرقاً ومغرباً . وخص مصر ، مسقط رأسه ، بالكثير من أبواب كتابه الصخم فنشر تاريخها بشمول وتناول سير حياتها في مختلف العصور فوصفها وصفاً جاماً « لم يدع صغيرة

ولا كبيرة إلا ذكرها ، ولم يغادر شاردة ولا واردة إلا أحصاها ، فصار كتابه كتاب تاريخ وسير ، ولغة وأدب ، وفقه وتفسير القرآن والحديث ، وشرح للأمثال والحكم العربية ، وبسط لنظام الحكومات عامة والحكومة المصرية خاصة » (محمد عبد الرسول إبراهيم ، في التعريف بصبح الاعشى ، ج ١ ، ص ١٨) .

وصرف القلقشندي عشرين سنة تقريباً في وضع موسوعته هذه ، مستنداً إلى مصادر لا تختص من اليابس التي كتبها أعلام العربية والاسلام . ثم أوجز « صبح الاعشى » للذين لا يقونون على قراءة مجلداته الكثيرة واختصره بكتاب أسماء » « ضوء الصبح المسفر وجني اللوح الشمر » ، ولكن الموسوعة ظلت وحدها المعروفة المشهورة ، وظلت وحدها المرجع لكل باحث .

وقد أعادت الحكومة المصرية طبع « صبح الاعشى » طبعاً علمياً انيقاً وألحقته بتصاويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية ، فأحسنت صنعاً وكانت مشكورة .

والقلقشندي كتاب آخر ذو قدر عظيم ، مثل الكثير من مؤلفاته ، اسمه « نهاية الارب في معرفة أنساب العرب » ، رجم اليه الرحالة قاليين مراراً في تنسيب القبائل التي ذكرها في كتاب رحلته . ولكن القلقشندي لم يكن ، على ما بدا ، شديد الارتياح إلى « نهاية الارب » فوضع كتاباً جديداً عنوانه « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان » ، استدراكاً على الكتاب الأول وعمل فيه يد الحذف والتوصيب والزيادة حتى عُدّ في زمانه من أكمل المؤلفات في التنسيب العربي .

وتوفي أبو العباس القلقشندي ليلة السبت في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٨٢١ھـ (١٤١٨ م) وكان ، إلى علمه ، مفضلاً وقوراً ، وعلى تواضع ومرءة وخير . رحمه الله .

(١٩) - هامر ، يوسف (من أسرة هامر برغستال Hamer Purgstall النمساوية) ولد بقيانه سنة ١٧٧٤ ، شاعر ومؤرخ ومستشرق يتقن من اللغات

الشرقية العربية والتركية والفارسية . ترجم بعض أجزاء من القرآن الكريم . عين سنة ١٨٠٢ سكرتيراً للبعثة (السفارة) النمساوية في استنبول ومكث ستين أطلاع فيما على مخطوطاتها القيمة . وفي سنة ١٨٠٧ ، وكان قد ذاع تمكنه من لغات الاستشراق الثلاث ، الحق بالباطل الملكي بقى يناله ترجمانه .

في سنة ١٨٤٧ أسس أكاديمية العلوم واختير رئيساً لها .

أشهر كتبه : « تاريخ السلطنة العثمانية » في عشرة أجزاء ويعد من المصادر الرئيسية لمعرفة حوادث الشرق . ووضع كتابين آخرين عن « استنبول والبوسفور » في جزئين وعن « الدستور والإدارة في السلطنة العثمانية » في جزئين . ولهم « علم البلاغة الفارسية » . عاش اثنين وثمانين عاماً محافظاً على قواه العقلية ، توفي سنة ١٨٥٦ .

(٢٠) - ريتter Karl Ritter : مؤرخ ، جغرافي ، ولد في كوادلينبرغ بالمانية سنة ١٧٧٩ ونشأ يتيمًا فلجأ إلى وجيه موسر من فرنكفورت اسمه Hollweg فأدخله جامعة مدینته حيث تخصص بالتاريخ والجغرافية ثم صار استاذًا فيها . وذاع صيته فنقل رئيساً لتدريس الجغرافية بجامعة برلين واستاذًا للتاريخ في الكلية الحربية (من تلاميذه فيها المرشال مولنكه الاب) .

وريتر أول عالم عالج أبحاثه الجغرافية على أساس فلسفية وتاريخية واقتصادية ، وأنحرج « موضوع » الجغرافية من نطاقه البدائي الضيق (الكتالوغ !) إلى ميادين « العلم » الحديث وجعله فرعاً كاملاً من فروع هذا العلم . وكarl Ritter من أوائل الرواد الذين قالوا إن طول السواحل الشاطئية في بلد ما من شأنه تسهيل الأسفار البحرية ، وهذه الأسفار تؤدي ، وبالتالي ، إلى اتساع الاحتلال الفكري بين الشعوب وإلى تبادل المعرفة والمصادر المادية (المواد الخام) والتجارة له مؤلفات كثيرة أهمها وأضخمها موسوعته « اردىكته » (أنظر رقم ٣ في هذا الملحق) في تسعه عشر مجلداً . توفي سنة ١٨٥٩ .

ويعرف الاستشراق الألماني عظيماً آخر باسم ريتter هو Hellmut Ritter العالم بالمخطوطات الشرقية . وهو الذي دل إلى المخطوطات العربية القيمة في استنبول .

(٢١) — أرمان بيير كوسان دي برسقال : مستشرق فرنسي ولد سنة ١٧٩٥ ودرس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ثم صار استاذًا فيها . « جال ثلاث سنوات في بلاد الشام وعكف على دراسة آثار العرب وتاريخهم قبل الاسلام » ، ووضع في ذلك كتاباً بثلاثة مجلدات أسماه :

Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme.

وهو الكتاب الذي استشهد به أوغست فالين مؤلف هذه الرحلة في كلامه على الحجاز .

ولكوسان دي برسقال هذا بحوث في ترجم الموسقيين العرب ، وأصلح القاموس العربي الفرنسي لبقطر وأعاد طبعه . (عن « الاعلام » بابحاز) . وكان والده جان جاك كوسان دي برسقال ، مستشرقاً هو أيضاً ، ولعله العامل الأول الذي شجّع ولده على افتقاء أثره بعد أن قام بدور رئيسي في الاستشراق . ولكنّه لم يملاً عينَ أحمد فارس الشدياق فسخر منه في « الفاريق » في فصل « ذنب الكتاب » ص ٩ و ٢٤ .

(٢٢) — الصنم وَدْ : كان بواطي القرى ، بدُومة الجندل ، وكان عامر الأجدار بن عوف القصباوي سادناً له . ولما جاء الاسلام بعث الرسول (صلعم) خالد بن الوليد من غزوة تبوك لدمه فحال السدّة بينه وبين هدمه فقاتلهم خالد حتى قتلهم . ورأت والدة ابنها بين القتلى فقالت :

ألا تلك السودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم ...

وقالت :

يا جاماً ، جامِ الاحساء والكبدي يا ليت أمك لم تولد ولم تلد
وهدم خالد الصنم .

ووصفه مالك بن حارثة الأجداري ، قال : كان أبي ييعني باللبن إلى وَدْ قائلًا : إسقه الملك ، فكتبت أشربه . ثم رأيت خالد بن الوليد يكسره وجعله جُذذاً ... وكان وَدْ تمثالاً لرجل كأعظم ما يكون من الرجال ، نُقش عليه حُلّتان ، وهو مُتَّزِر بحلّة ، مرتدٍ بأخرى ، وعليه سيف قد تقلّده

وتكتب قوساً ، وبين يديه حرفة فيها لواء وجعنة فيها نبل » – عن « كتاب الاصنام » بتصرف ، ص ٥٥ ، تحقيق الاستاذ أحمد زكي باشا (المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٤) .

(٢٣) – ابو زياد : يزيد بن عبدالله الكلابي اديب عراقي عاش في أيام المهدى العباسي . له كتاب « التوادر » أخذ عنه ياقوت .
من شعره :

له نار تشبّ على يفاع إذا النيرانُ ألبست القناعا
ولم يكُ أكثر الفتیان مالاً ولكن كان أرجهم ذراعاً
توفي سنة ٨١٥ م في قطيعة العباس بن محمد .

(٢٤) – قناتا ، (وكتب قني ، وعرفت) : جبل في شرقى الحاجز ،
ووصل ليه مرة من فزارة . قال اسحق بن ابراهيم الموصلى : « وقف (الشاعر)
نصيب على بيوت واستنسقى ماءً فخرجت اليه جارية بلبن وماء وسقته ، وقالت
له : شبّتْ بي . فسألها : وما اسمك ؟ أجابت : هند . فنظر إلى جبل وسأله :
وما اسم هذا العلم ؟ قالت : قنا . فأشد :

أحبّ قنَا من حبّ هند ولم أكن ابلي ، أقرباً زاده اللهُ أمّ بعداً
أروني قنَا آنذُرْ إليه فأنّي أحبّ قنَا ، اني رأيت به هندا !
وشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أجلها » (عن « معجم البلدان »
بتصرف) .

(٢٥) – « الخليج الفارسي » : الرحالون الاوروبيون والاميركيون – ومن
بعدهم الكتاب جمياً – أطلقوا خطأ على الخليج الذي بين الشواطئ العربية
والایرانية اسم « الخليج الفارسي » أو « خليج العجم » أو « البحر الفارسي » –

وكلها تسمية غير صحيحة – والارجح في هذا الخطأ أن واحدا من الرواد الاولين عرف شاطئ الخليج الشرقي الذي استولى الفرس على بعض أرضه ولكنه لم يعرف شواطئه العربية ، ولا سيما التي في الساحل الغربي – جنوبي ايران – فوهم ان الخليج ، كله ، فارسي وأطلق عليه هذا الاسم الخطأ . وكان ان أخذ بهذا الوهم من كتب بعده عن الخليج . وحتى العرب بأكثربهم وقعوا في الخطأ . أما كون التسمية خطأً وكون الخليج عربيا في أكثر شواطئه ، فحقيقة يثبتها التاريخ والجغرافية . وأول من أصاب وأعلن عروبة المؤرخ الروماني الأشهر PLINE سيد مؤرخي الغرب القديم ، فسمى الخليج باسمه الحقيقي وأكد أنه « الخليج العربي » .

وذُكرت هذه الحقيقة التاريخية في الخاراتات الجغرافية الاولى التي وضعها العلماء الغربيون في القرون الوسطى . ونجده مجموعة منها معروضة في احدى قاعات الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس (شارع سان جرمان) تعرف باسم ناشرها ميركاتور MERCATOR مبتكر وضع مساقط الخرائط ، ويرجع وضع احدها إلى سنة ١٥٩٥ وقد ذكر فيها اسم الخليج باسمه العربي « سينوس أرابيكوس » SINUS ARABICUS

ونحن في هذا التصويب لا نملك السياسة ، ولا نقرب منها . ولا ننكر ان بعض الخليج في ساحله الشرقي يتصل بالأرض الإيرانية ، الا اننا نحسن إلى الحقيقة في تصحيح الخطأ . ولا سيما ان الأرضي التي يكتب عنها الرحالة جورج أوغست ثالين وضع هذا الكتاب انما هي عربية قحة ، في قلب العالم العربي ، فمن الصواب والحق أن ينعت خليجها بها .

وللباحثة الاستاذ قدرى قلعجي كتاب قيم في هذا الموضوع اسمه « الخليج العربي » نشرته دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٥٦ ويُعدّ أكمل مؤلف في بابه حتى اليوم .

(٢٦) - يَبْرِين : هو رمل لا تُدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حَجْر اليمامة . وقال السكري : « يَبْرِين بأعلى بلادبني سعد »

قال جرير :

لما نذكرتُ بالديرينِ أرقني
صوتُ الدجاج وضربَ بالتوافيسِ
فقلت للركب اذ جدَ الرحيل بنا
يا بُعدَ يَبْرِين من بابِ الفراديسِ

(٢٧) - الجوهري : أبو نصر اسماعيل بن حماد : ذكره الزركلي في «الاعلام» بقوله : «أول من حاول الطيران ومات في سبيله . لعنوي . من الأئمة .. خطبه يذكر مع خط ابن مقلة . وله كتاب في العروض ، وكتاب في النحو . أصله من فاراب ودخل العراق صغيراً ، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية . وعاد إلى خراسان ثم أقام في نيسابور . وضع جناحين من خشب وربطهما بحبل وصعد سطح داره ونادى في الناس : «لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة .» فازدحمر أهل نيسابور ينظرون إليه ، فتأبّط الجنائن ونهض بهما فخانه اختراعه فسقط إلى الأرض قتيلاً .» (الاعلام : ١ : ٣٠٩) .

قلنا : وكانت وفاة الجوهري سنة ٣٩٣ هـ . (١٠٠٣ م) ولم يذكر الزركلي تاريخ ولادته . وفي «النجوم الزاهرة» - عن مرآة الزمان ، وابن كثير - أن الجوهري مات ابن ست وسبعين سنة ، فيكون مولده سنة ٣١٧ هـ . (النجوم الزاهرة: ج ٤ ص ٢٠٨) .

له «الصحاح» ، وهو معجم مرتب على حروف الهجاء .
وأنخطأ الاستاذ الزركلي في قوله ان الجوهري أول من حاول الطيران ... في حين أن الاستاذ ذكر في الجزء الرابع من «الاعلام» ان عباس بن فرناس المخترع الاندلسي المتوفى سنة ٢٧٤ هـ «أراد تطوير جثمانه فكسا نفسه الريش ، ومدد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة (...) فهو أول طيار اخترق الجو الخ ...» (ص ٣٧)

(٢٨) - اللقيطة : ضبطها ياقوت بكسر القاف وقال : « هي بئر بأجأ في

طرفه ، وتعرف بالبويرة . وقيل : القيطة ماء " غني " (*) بينها وبين ميد عايمان إلا قليلا .

(٢٩) - الهيثم بن عدي : أديب ومؤرخ سوري عالم بالنسبة ولد في منيذ (٧٣٢ م .) وأقام بالكوفة وجالس الحلفاء المنصور والمهدى والهادى والرشيد وروى عنهم . قيل فيه انه من المدرسین . له تأليف كثيرة منها « بيوتات العرب » و « بيوتات قريش » و « نسب طيء » و « تاريخ الأشراف » الخ ... أخذ عنه كثيرون من كبار المؤرخين الذين جاؤوا بعده . توفي قرب واسط بالعراق سنة ٨٢٢ م .

(٣٠) - ابرهيم باشا : هو ابن محمد علي باشا مؤسس الأسرة العلوية التي حكمت مصرً مئة وثمانين وأربعين سنة، ابتداءً من ولاية المؤسس في ١٨٠٥ م . وختاماً بالملك الطفل أحمد فؤاد الثاني (١٩٥٣) ابن فاروق اللذين خلعتهما ثورة ٢٣ يوليو . والأفراد الذين تولوا من هذه الأسرة حكموا بارادة أجنبية عن مصر وعن الشعب المصري .

اشتهر ابرهيم باشا بمهارة استراتيجية وأعمال جريئة ، وبحربه في اليونان وال Hijaz ونجد والسودان وفلسطين ولبنان وسوريا وتركية — ولا مصلحة لشعب المصري في واحدة منها — معتمداً على ضباط فرنسيين اقتبس منهم بعض نزعات أوروبية عصرية .

وحروب ابرهيم باشا في الحجاز ونجد — وهي مؤلة جداً وقاسية ومؤسفة جداً — ضد الحركة الاصلاحية الوهابية ، زاعماً أنها دفاع عن الاسلام (!) ولسلامة الحج ، لم تكن أول اعتداء من محمد علي باشا على تلك البلاد وتلك الحركة ، فقد سبق له أن جهز لحاربتهما حملة من ثمانية الاف ألف ألباني من أشجع رجاله بقيادة ابنه طوسون باشا فانكسرت شر كسرة وقتل منها خمسة آلاف جندي في معركة الجديدة ، ثم طارد « الاخوان » فلوطا حتى ينبع . ولم يكن محمد علي وابنه طوسون وابرهيم إلا ممثلين أوامر السياسة

(*) - غني بن اعصر : بطن من قيس بن عيلان

التركية التي زعزعت الحركة الاصلاحية الوهابية نفوذها في الجزيرة العربية المترامية الاطراف . وقد بذلك استتبول ما في وسعاها لترجع ذلك النفوذ إلى الجزيرة ، ولا سيما بعد أن استطاع البطل العربي ، الاصليل ، سعود الثاني أن يوحد بلدانها حتى دانت له الجزيرة كلها ، فخاف الترك أن تستيقظ « العنصرية العربية » في مختلف أقطارها ويحيا الحكم العربي ، فأمرروا محمد علي بالزحف على الجزيرة والقضاء على الدولة السعودية . ولبي ولبي مصر رغبة استتبول ليكسب رضاها عنه ويبقى ولبياً على وادي النيل ، فدفع المسلمين إلى قتل المسلمين وخرب ديارهم ، وحلّ « البلاء على الجميع !

(٣١) — تدمير الدرعية : في الثالث من شهر ذي القعدة ١٢٣٣ هـ .
 (٥ من أيلول ١٨١٨ م.) بدأ الجيش التركي وجيش ابرهيم باشا بن محمد علي ولبي مصر هجومهما على الدرعية ، مقرّ الحركة الاصلاحية الوهابية ، واستبيست المدينة طوال أربعة أيام في ردّ الغزاة عنها ودافعتهم دفاع الأسود حتى كاد أبناؤها يستشهدون جميعاً فأكرهت على الاستسلام . وفي شعبان ١٢٣٤ (حزيران ١٨١٩) أمر ابرهيم باشا جنوده بتدميرها وقطع التخيل فيها ، « فتحولت إلى ركام من الأنقاض وأصبحت بلقعاً وخراباً ، وتفرق أهلها ... » — (صلاح الدين المختار في « تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها » : ج ١ ، ص ١٥٩) .

(٣٢) — فالين وآل الرشيد: الرحالة فالين أحب الأمير عبد الله آل الرشيد حاكم شمر ، وأحب ولديه ، وأخلص لهم إخلاصاً صادقاً في ما كتبه عنهم . ويلاحظ القارئ أنه حاول دائماً أن يقلل من سلطان آل سعود عليهم ، لعله يستطيع اظهارهم أنهم زعماء « مستقلون ». إلا أن فالين لم يستطع النكran ان أصحابه تابعون — وإن إسمياً — للزعامة السعودية ، فكان بارعاً في التوفيق بين هواه والواقع .

(٣٣) - مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب : ذكر ثالين (ص ١٠٨)
خمسة من مؤلفات الشيخ محمد عبد الوهاب . ولم ينقل عنوانينها بنصها ، بل
ترجمتها بكلام يدل على مواضيعها . فرجعنا إلى « تاريخ نجد » للإمام العلام
الشيخ حسين بن غنام – وهو خير من أرّخ للحركة الاصلاحية التي قادها المصلح
الكبير – ونقلنا عنه أسماء المؤلفات التي ذكرها ثالين . وهناك مؤلفات لم يشر
إليها رحالتنا وقد ذكرها الشيخ ابن غنام ، منها : « كتاب السيرة المختصرة »
و « كتاب السيرة المطولة » و « كتاب مختصر المدى النبوى ، الخ ... » ولم
نجد بينها اسم كتاب « بساتين الاتقياء » الذي ذكره ثالين بالإنكليزية
Nجد بينها اسم كتاب « بساتين الاتقياء » الذي ذكره ثالين بالإنكليزية
The gardens of the pious.

(٣٤) - أسباب حملات محمد علي (باشا) على الوهابيين : قلنا في تعليق
سابق (رقم ٣٠) ان تلك الحملات لم تكن إلا بأمر استنبول – ومن السلطان
عبيه – وقد البيتها السياسة التركية طابعاً مذهبياً ، تحريضاً ، في الظاهر ، على
الدعوة الاصلاحية . ثم أثبتت الحوادث والأيام أن المحرّك الحقيقي لغضب الترك
على الدعوة إنما هو خوفهم من يقظة القومية العربية . فلم يكن محمد علي باشا ،
والحالة هذه ، في حملاته التي أشار إليها ثالين إلا منفذاً غaiات أجنبية ومطاعم
شخصية ، أهمها مشيئة السياسة التركية الخروج دون ابتعاث العرب . قال
العالمان المصريان عمر الاسكندرى وسليم حسن ، وهما يذكران في تاريخهما
تلك الحروب المشؤومة ، إنها : « في الحقيقة ، كانت حرباً بين العنصرين
التركي والعربي ، وكلاهما يودّ لو يضعف الآخر أمامه فيميل عليه ميله واحدة
يكون فيها القضاء المبرم عليه ... ». – تاريخ مصر من الفتح العثماني ... ص
١٤٠ ، من ط ٥ ، مطبعة المعارف بمصر ١٩٢١ .

(٣٥) - عباس الأول : هو ابن طوسون بن محمد علي باشا وإلي مصر.
 وسلم مقادير الحكم سنة ١٨٤٨ بعد وفاة عمّه إبراهيم باشا . قُتل سنة ١٨٥٤ ،
وقيل في قتله انه بتدبّر من أفراد أسرته لأنّه كان يكرههم وقد أقصاهم عن

الحكم وطبع بالقسم الأكبر من ميراث جدهم محمد علي، فدفعوا خصيّين من خصيّائهم قتلاه وهو نائم بقصره في بها . وكم النّبا بضعة أيام ثم نقلت جثته إلى القاهرة. قال عمر الاسكندرى وسليم حسن في « تاريخ مصر من الفتح العثمانى » ما ملخصه : ان عباس باشا بدأ حكمه بهدم كل ما بناه جده محمد علي ، فأنقض الجيش المصري وأغلق المعامل ، وأغلق المدارس ، واستسلم للمطاعم الانكليزية . امتاز حكمه بأنه أنشىء فيه أول خط حديدي في الشرق كله – وهو الممتد بين الاسكندرية والقاهرة – امثالاً لشيء حكومة لندن كي يسهل نقل البريد والمسافرين بين الهند وأنكلترة ، بطريق مصر . (ص ٢١٢ ، من ط ٥) .

(٣٦) – الفيروزبادى ، بكسر الفاء: الامام القاضى محمد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ، المشهور بالفيروزبادى ، كان إماماً في اللغة والفقه والحديث والتفسير والتاريخ . ولد بقرية كازرون سنة ٧٢٩ هـ . (١٣٢٩ م) من أعمال شيراز في الجزء الجنوبي من ايران اليوم . درس في شيراز أولاً ثم في العراق والشام . وسافر إلى بلاد الروم (تركية) ومصر ومكة المكرمة والمهدى واليمن ، وحط رحاله عام ٧٩٦ هـ . في زبيد عاصمة تهامة اليمن وهو ابن سبع وستين سنة فرحب به ملكها وسأله أن يفتقهه فوافق الفيروزبادى على طلبه . وكافأه الملك وعيّنه قاضياً ولقبه بمحمد الدين اعجاباً بعلمه ، فأقبل عليه الطلاب من كل جهة وصار المقصد والمرجع والمفتى . عاش في زبيد اثنتين وعشرين سنة مكرماً محترماً حتى توفي في شوال من سنة ٨١٩ هـ .

وضع الفيروزبادى كتاباً ووسائل عالج فيها كثيراً من شؤون الدين واللغة والتاريخ ، منها : « سفر السعادة » في الحديث والسيرة النبوية ، و « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » و « تاريخ أصحابه » الخ ... وأشهر كتبه معجم ضخم اسمه « القاموس المحيط » طبع في أربعة أجزاء . وفي قول أنه مختصر لمعجم أول وضعه في خمسة وستين جزء .

ولم يسلم « القاموس المحيط » من النقد ، رغم استناد صاحبه إلى « صحاح »

الجوهري وغرفه منه و « تبجّحه عليه » ، وكان أقدسى النقاد إمام العربية في عصره أحمد فارس الشدياق اللبناني الذي وضع فيه مجلداً ضخماً في صفحة ٦٩٠ من القطع الكبير ، أسماء « الجاسوس على القاموس » (*).

وعلى ما رأه جميع أئمة اللغة من نقص وخطأ في معجم الفيروزابادي - وهيهات أن يستطيع فرد واثنان وثلاثة في ذلك الزمان وضع معجم عربي كامل لأوسع لغة عرفها البشر - ففضل الفيروزابادي عظيم ، وأثره كريم ، رحمة الله !

(٣٧) - المدائني : أبو الحسن علي « راوية مؤرخ ، كثير التصانيف ، من أهل البصرة . سكن المدائني . ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي . أورد ابن النديم أسماء نيف وعشري كتاب من مصنفاته في المغازي والسيرة ، النبوية وأخبار النساء وتاريخ الخلفاء وتاريخ الواقع والفتح ، والباحثين ، والشعراء والبلدان . قال ابن تغري بردي : « وتأريخه أحسن التواريخ ، وعنه أخذ الناس تواريختهم » . بقي من كتبه « المردفات من قريش » (مطبوع) و « التعازى » (مخطوط) . ولد ٧٥٢ م . وتوفي ٨٤٠ م . - « الأعلام » : ٥ : ١٤٠ (ط ٢) .

وفي « المنجد » : مؤلفاته العديدة من أهم مراجع تاريخ آسية الوسطى على أيام الفتوحات . عنه أخذ الطبرى والبلاذرى - ص ٤٨٧ .

(٣٨) - الواقدي : محمد بن عمر ، من أقدم المؤرخين في الإسلام . ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ . تاجر بالخنطة وضاعت ثروته فانتقل إلى بغداد سنة ١٨٠ هـ (٧٩٦ م) وتقرب من الخليفة الرشيد فولاه القضاء واستمر فيه أكثر من ربع قرن ، توفي سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٣ م) .

(*) مطبعة « الجواب » في استنبول سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢).

من مؤلفاته : « المغازي النبوية » و « فتح افريقيا » و « فتح العجم » و « فتح مصر والاسكندرية » الخ ... وعرف بأنه صاحب « فتوح الشام » ولكن خير الدين الزركلي يقول ان « أكثره مما لا تصح نسبته إليه » (« الاعلام » : ٧ ، ص ٢٠٠ - ط ٢) . وقال الخطيب البغدادي : « كان الواقدي كلما ذكرت له واقعة ذهب إلى مكانها فعاينه ، وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد » صاحب كتاب الطبقات الكبير . وقال محمد بن اسحق : « قرأت بخط عتيق قال : خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر كتاباً ، كل قطر منها حِمْلَ رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهر » (الفهرست : ١ ، ص ٩٨) .

(٣٩) - ابن إياس : أبو عبد الله محمد بن احمد ، أبو البركات ، مؤرخ مصري من المالكية الجراكسة الاصل . ولد في القاهرة في الثامن من حزيران (يونيو) ١٤٤٨ وأخذ عن العالم المصري جلال الدين السيوطي . وضع تاريخ « بدائع الزهور في وقائع الدهور » في خمسة أجزاء وتناول في أكثرها تاريخ مصر المالكية . وله أيضاً « نشق الأزهار في عجائب الاقطار » (لم يطبع منه إلا خلاصة) وهو الذي رجع إليه ثالين في هذا الكتاب .
توفي ابن إياس سنة ١٥٢٤ بعد أن شهد في سنين الأخيرة انتصارات حكم المالكية وسيطرة بنى عثمان على أكثر بلاد العرب ، فدُونَ ذلك كله في الجزء الأخير من « بدائع الزهور » .

(٤٠) - السبوت : عشيرة من العطبيات المنحدرة من الجد الأعلى عطيه . وقد زحف ، تدريجاً ، قسم كبير من مصاربهم في الحجاز إلى الشمال . ويقول فرديريك بييك ان « بعض السبوت يقطنون بجوار الكرك (شرقي الأردن) وينقسمون فريقين : الأول ، فريق البريكات وهم القرعان والرواين والرويعات والسواريا الذين منهم الشيخ حمد الفرحان . والفريق الآخر ، المراعية ، هم النجارات

والسلامات والمواسات والزله . » - تاريخ شرق الاردن وقبائلها ، ص ٢٢٤
(مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية بالقدس) .

ويقول القلقشندي في « نهاية الارب » ان السبوت « بطن من ليد من سليم
من العدنانية ، منازلهم في برقة » .

(٤١) - **الحسيني** : كذا أدخل عليها التعريف ، وفي جميع المراجع
العربية التي بحثنا عنها فيها قرأتها بدون الا . ياقوت ضبطها بكسر الحاء وسكون
السين والألف المقصورة . وهي جبال وأرض ترثها جذام . قال ياقوت : « ...
ويقال : آخر ماء نصب من ماء الطوفان : حسني ، فبقيت منه هذه البقية إلى
اليوم . فلذلك هو أحيث ماء . وفي أخبار النبي وحكاية مسيره من مصر إلى
العراق قال : « حسني أرض طيبة تؤدي لين النخلة من لينها وتبنيت جميع
البيات ، مملأة جبالاً في كبد السماء متناوحة ملس الحوانب ، اذا أراد الناظر النظر
إلى قلة احدها فتل عنقه حتى يراها بشدة ، ومنها ما لا يقدر أحد أن يراه ولا
يصلحه . ولا يكاد القتام يفارقها الغ ... » - (معجم البلدان ، ص ٢٥٩) .

(٤٢) - **السلطان سليم الأول** : هو تاسع السلاطين العثمانيين . تمدد غير
مرة على والده السلطان بايزيد بقوة الجنود الانكشارية الذين كانوا يناصرونه . وقد
أرغموا السلطان الوالد على الاستقالة لابنه سليم فتولى هذا الحكم سنة ١٥١٢
وكان سفاكاً للدماء قتل أبناءه وقتل سبعة من وزرائه . وحارب ايران وقصد احتلال
العالم العربي فاستقبله سكانه باللواط وبابيعه (١٥١٦) ولقبه خطيب الجامع
الاموي بخادم الحرمين الشرifين فبكى غير مصدق هذا الشرف . توفي سنة
١٥٢٠ بعد أن حكم ثمانين سنوات وخلفه ابنه المعروف باسم السلطان سليمان
القانوني .

(٤٣) - **جبل قطيفي** : لم نقع في ياقوت على هذا الاسم ، وإنما هنالك

قرية باسم القطيف بلذيبة عبد القيس . قال الشاعر العبدى :
 وتركنَ عتَّرَ لا يقاتِلَ بعدها أهلَ القطيفَ قتالَ خيلَ تنفع
 « ولما قدم وفد عبد القيس على النبي (صلعم) سألهم عن البلاد ، فقالوا
 له : هل دخلتها يا رسول الله ؟ فأجاب : نعم ، دخلت هجر وأخذت أقليدها
 (فتحها) » .

وأقالين يشير إلى جبل قطيفة وينذهب إلى أنه قد يكون اسم جبل أم سلمان
 الذي في جبة (أنظر ص ٧٧ وما بعدها) .

(٤٤) — السياهي : أو : سياهي زاده ، محمد بن علي البروسوي ، أديب
 وঁغرافي تركي شهير ، ولد بيروسة من أعمال تركية ، ولا تعرف سنة مولده .
 درس العربية بدمشق وألف بها . له « انموذج الفنون » (لم يطبع) وله « أوضح
 المسالك إلى معرفة البلدان والممالك » ، وهو كتاب « تقويم البلدان » لأبي الفداء ،
 رتبه السياهي على الحروف الإيجيدية وزاد عليه وعدّل فيه . وهذا الكتاب لم
 يطبع وخطوطه محفوظ في مجموعة ريش بالمتحف البريطاني بلوندرة تحت رقم
 ٧٥٠٥ . توفي سياهي زاده سنة ١٥٨٩ في بيروسة .

(٤٥) — احمد الدمشقي : أبو العباس أحمد بن يوسف القرمانى ، المعروف
 بالدمشقي . أجمع الذين أرجعوا له على أنه ولد سنة ١٥٣٢ م بدمشق وعاش
 فيها ، وببلاده تبدأ حياتها بالسيطرة العثمانية بعد انفراص حكم المماليك .
 درس على علماء مدينته ودرس في حلقاتها ومساجدها . وصفه المحبى بأنه
 « كان حسن المحاضرة رقيق المعاشرة ، تولى النظر (في دمشق) في وقف
 الحرمين . » (خلاصة الأثر : ١ ، ص ٢٠٩) . وضع كتاب « أخبار الدول
 وأثار الأول » في خمسة وخمسين جزءاً مع مقدمة طويلة .
 وجاء في « الاعلام » (١ : ٢٦١ ، ط ٢) أن الدمشقي ، هذا ، توفي
 سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠) ، وإن له كتاباً آخر اسمه « الروض النسيم في مناقب

السلطان ابرهيم » لم يطبع . وإنْ صح هذا القول كان تاريخ وفاة الدمشقي خطأ : فالسلطان ابرهيم تولى سنة ١٠٤٩ هـ (١٦٤٠) وقتل خنقاً سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨) . والمعقول أن يضع الدمشقي كتابه عن السلطان المذكور في إبان حكمه ، على الأقل ، لا قبل توليه العرش بثلاثين سنة في الحد الأدنى ! والارجح أن كتاب « الروض النسيم» وضعه « دمشقي » آخر غير القرماني.

(٤٦) – السلطان سليمان القانوني هو عاشر السلاطين العثمانيين ، والثاني منهم على العالم العربي . خلف أباه السلطان سليمان على العرش سنة ١٥٢٠ وبدأ حكمه في الحروب ولم يرتع منها يوماً ، فكافح شرقاً وغرباً ، واحتل المجر وأيران ورودس وبغداد وعدن الخ ... وحذا حذو والده فقتل أبناءه وأحفاده وزراءه . وكان إلى بأسه ضعيفاً أمام زوجته السلطانة روكسان ووالدة ابنه سليم الذي خلفه على العرش . وطال حكم السلطان سليمان ستاً وأربعين سنة وبلغت السلطنة في عهده ذروة السُّودَد والتَّوْسُع وصارت الدول تهابها . من أخطائه الكثيرة منحه صديقه وحليفه فرنساوا ملك فرنسا امتيازات قنصلية صارت بعده شيئاً ووبالاً على الشرق كله ... كان يستهل كتبه إلى شيخ العرب بالآية الشريفة : « إِنَّهُ مِنْ سَلِيمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ». توفي سنة ١٥٦٦ .

(٤٧) – الانكشارية : تحريف الكلمة « يكيجاري » التركية ، ومعناها : الجيش الجديد . وأفراده من الشبان أسرى الحرب ، كان السلطان يفصلهم عن كل ما يذكرهم بأصلهم ثم يربّيهم تربية إسلامية بحيث لا يعرفون لهم أباً إلا السلطان ، ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله . وصاروا المعلول الأول عليهم في الحروب ، ولكنهم خرجوا مع الأيام عن حدودهم وتعدوا واستبدوا وصاروا يخلعون السلاطين والوزراء ويقتلون من لا يرثاون إليه ، وعاشوا في السلطنة العثمانية فساداً فقضى عليهم السلطان محمود الثاني (١٨٢٦) .

ومن طريف ما كتبه عنهم محمد فريد ، رحمه الله ، في « تاريخ الدولة

العلية العثمانية » ان ضباطهم كانوا « يُلقّبون باللقب غريبة في بابها ، ولكنها تدل على أن أولئك الجنود كانوا عائشين من انعامات السلطان ، وأنهم كانوا لاده . فمن ألقابهم « شوربجي باشي » و « عشي باشي » و « سقا أغاسي » و « أوده باشي » إلى غير ذلك . وهذه الألقاب كانت عندهم بمثابة العنوانات الخاصة بالرتب العسكرية . ثم انهم كانوا يعظمون ويجلون القدور (جمع قدر) التي كانت تقدم اليهم فيها المأكولات ، فكان الانكشارية لا يفارقون تلك القدور حتى وقت الحرب ، وكانوا يدافعون عنها دفاع الجنود عن أعلامهم ، حتى كان يعتبر ضياعها في القتال أكبر اهانة تلحق بأصحابها العار والفضيحة . وكانوا اذا أرادوا إظهار عدم الرضى عن بعض أوامر رؤسائهم قلبوا القدور أمام منازلهم ... » - (ص ٤٢ ، ط ٣ ، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر ١٩١٢) .

(٤٨) - ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، ولد سنة ٥٥٥ هـ . (١١٦٠ م) في جزيرة ابن عمرو ، على دجلة ، قيل له : ابن الأثير الجزار . (*) .

نشأ في بيت علم وحكم وواجهه من الموصل . عاش محدثاً عالماً موثقاً برأيه ومؤرخاً نقاداً موثقاً بحكمه ، حتى ذُكر بأنه من أعظم مدوّني أخبار العالم الإسلامي - ان لم يكن أعظمهم - وصارت موسوعته « الكامل في التاريخ » المرجع الرئيسي لجميع كتاب الشرق والغرب . (انتهى بحوادث سنة ٦٢٨ هـ ١٢٣١) .

وكان ابن الأثير على خلق كريم وأمانة ودين عزّ نظيرها . روى ابن الطقطقي عنه : ان السلطان صاحب الموصل كلف أخا عز الدين أبي الحسن أن يذكر له أميناً دينياً يكون موضعأ للسر حتى يرسله في مشافهة سرية إلى الخليفة في بغداد ،

(*) له أخوان عمالان أيضاً ، عرفوا مثله باسم ابن الأثير .

فأجاب الأخ : يا مولانا ، ما أعرف أحداً بهذه الصفة مثل أخي عز الدين فكلّفه السلطان أن يرسل أخيه إليه .

وحضر عز الدين وشافهه السلطان بالمراسلة وأمره بالسفر حالاً . فذهب ابن الأثير يودع أخيه ووجده في الدليل يتظره . فلقاءه هذا بالسؤال عن مهمته ، فقال عز الدين : « الساعة شهدت لي يا أخي عند السلطان بالدين والأمانة وحفظ السر ، فهل يجوز أن أكذبك في الحال ؟ أني لا أقول شيئاً إلا من أمرني السلطان بأن أقوله له . »

فبكى الأخ ودعا لأخيه . » (*)

وامتاز ابن الأثير في كل ما كتبه بأنه كان فيه بحثاً وازناً ومعقباً ذا وجдан ، لم يكتف بنقل الأخبار وإنما قمى بها وحلل أسبابها ، وأبدى رأيه في أصحابها بكثير من الانصاف . وانتقد الحكم الایوبي انتقاداً حقداً وجريئاً . فتلك الصفات العاقلة وضعته في المكانة الأولى بين المؤرخين الحقيقيين ، وجعلت « الكامل في التاريخ » موضوع تقدير المستشرقين والمستعربين .

وعاصر ابن الأثير الغزو التترية الوحشية وبعض الغزوات الاوروبية المخجلة فكتب عنها كتابة الفاحم ، وإن هو أخذ بانفعالات فيها ، وكيف لا يفعل وهو انسان مسلم قبل كل صفة .

ول örرخنا عدة توارييخ قيمة أهمها « الكامل في التاريخ » وله « أسد الغابة في معرفة الصحابة » جمع فيه أسماء الابطال الذين رافقوا رسول الله (صلعم) ، واختصر كتاب « الانساب » لسماعي (أنظر رقم ٥٠ في هذا الملحق) وسماه « الباب في تهذيب الانساب » بعد أن « استدرك عليه في مواضع ، ونبه على اغلاط ، وزاد أشياء أهلها » (*). ووضع ابن الأثير أيضاً « تاريخ الدولة الاتابكية »

وأخذوا الرحالة ثالين ونسب له كتاب « تحفة العجائب » (أنظر ص ١٧٤) ويبدو أن هذا الخطأ وقع فيه كثيرون منهم الاستاذ الزركلي صاحب « الاعلام » .

(*) - اعلام التاريخ والمغرافيا عند العرب للدكتور صلاح الدين المنجد : ٣ ، ص ٦٨ .

وقد نبه الدكتور صلاح الدين المنجد إلى ذلك في « اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب » : ٣ ، ص ٧٦) .

(٤٩) — وادي القرى : (بضم القراء) : من أعمال المدينة . سمي كذلك لأن الوادي من أوله إلى آخره كان قرى منتظمة . وبعض آثارها ظاهرة . لما فرغ الرسول (صلعم) من خير امتد إلى وادي القرى فغزاه ونزل فيه . وفيه كانت مضارب بني عدرة الذين اشتهر منهم الشاعر العاطفي الشهير ، جميل بن معمر . وقصة هيامه بحب نسيته بُشَيْة مدونة في كتب الأدب . وقد نظم فيها أرق شعره وتناقلته الناس . منه قوله :

« أقول لداعي الحب ، والحجر يبتنا

ووادي القرى : لبيك ، لما دعانيا ... »

وقال ياقوت : وفي وادي القرى « منازل قضاعة ثم جهينة وعدرة وبل ، يمر بها حاج الشام . وكانت قديماً منازل ثود وعاد ، وبها أهلكم الله . ونزل بعدهم اليهود واستخرجوا كظائهما (أقنيتها) من بطون الأرض وأساحوا (أجروا) عيونها وغرسوا نخلها ، فلما نزلت بهم القبائل عقدوا بينهم حلفاً وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل في كل عام ، ومنعوا لهم على العرب ودفعوا عنها قبائل قضاعة ...

قال جميل :

ألا ليت شعري هل أبستان ليلة
بوادي القرى ؟ إني إذاً لسعيد
وهل أرىن جُملًا به وهي أيم
وما رأث من جبل الوصال جدید !

(٥٠) — السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد المروزي ، ولد سنة ٥٠٦ هـ . (١١١٣) في مرو بخراسان ، بلدة أبي مسلم الخراساني ، (من تركستان السوچياتية اليوم) وما أن شب حتى رحل سائحاً وطالب علم في طول البلاد الإسلامية وعرضها ، فزار العلماء وأخذ عنهم ، وصار حجة في التاريخ .

من أشهر كتبه «الأنساب» ، وهو معجم تراجم طبع في ليدن (المدينة الهولاندية المشهورة بجامعةها ومدرسة الاستشراق) سنة ١٩١٢ ، و « تاريخ مرو » و « تذليل تاريخ بغداد الخطيب » الخ ...

ونقل في «الاعلام» : قال ابن قاضي شهبة : « ان السمعاني له خمسون مصنفًا ، منها كما نقل ابن النجار من خطه: التذليل على ابن الخطيب اربعمائة طاقة ، وتاريخ مرو خمسمائة طاقة ، والأنساب ثلاثة وخمسمائة طاقة الخ ... وقال الذهبي : يقع لي ان الطاقة نصف كراس » (بتصريف عن الاعلام : ٢٤ ص ١٧٩).

واختصر ابن الأثير «كتاب الأنساب» وجعل عنوانه «الباب في تهذيب الأنساب» .

توفي السمعاني سنة ٥٦٢ هـ. في بلدة مرو التي ولد فيها .

(٥١) - العلا ، بضم العين : موضع في وادي القرى على الطريق إلى الشام. نزل الرسول (صلعم) محلة العلا وهو يقصد تبوك وصلى "فيها وبني مكان مصلاه مسجد .

(٥٢) - ضبا : قرية صغيرة على البحر الأحمر كان الأوروبيون يقولون في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحالي : من احتل ضبا استولى على منطقة العقبة كلها وسيطر على منتهى جميع الطرق التي تأتيها من ولاية سوريا والحجاج وما اليهما ، ومن ملك العقبة ساد على البحر الأحمر . وكان ان نشب في سنة ١٩٠٦ أزمة خطيرة بين حكومتي استنبول ولندن أفلقت الدول بسبب ضبا وجاراتها الوجه ومويلح والعقبة وحدود سيناء . وقيل في حل الأزمة لمصلحة الانكليز انه خطوة من هؤلاء إلى «امتصاص» شبه جزيرة العرب كلها إذ لا يشق عليهم بعدها سد مدخل الخليج العربي في وجه سكة حديد بغداد (الالمانية) التي تهدد رغيفهم الحيوي في الهند . وكانت منطقة العقبة ، وسكة حديد بغداد ، والنفط العربي ، من أسباب الحرب العالمية الأولى .

(٥٣) - **الحرّة** : وجمعها : الحرّات والاحرون والحرار والحرون .
قال الاصمعي : « الحرّة الأرض التي أبستها الحجارة السود ». والحرار
في بلاد العرب كثيرة ، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام . ذكر ياقوت منها تسع
وعشرين . (ص ٢٤٥ - ٢٥٠) .

(٥٤) - **ثُمُود** : احدى قبائل العرب البائدة قبل الميلاد . كانت تعيش
في الحِجْر بين الحجاز والشام ناحية بيتها في الجبال . في غزوة تبوك مر
نبي (صلعم) على وادي ثُمُود فقال لصحابه : « اسرعوا السير فانكم في واد
ملعون ! » .

وعن المسعودي ، بایحاز : بعث الله صالح نبيا إلى ثُمُود فلم يحبه الا نفر
قليل . وسألوه المعجزات وأظهروا أوثانهم وتحذوه قائلين : « يا صالح ، إن
كنت صادقاً بأنك معتبر عن ربك فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ، ولتكن
وبراء سوداء عشراء ، تتوجأ حalkة صهابية ، ذات عُرف وناحية وشعر
ووبر . » فاستغاث صالح بربه فتحركت الصخرة وتمللت ، وبدأ منها أنين
وحنين ، ثم انصدعت من بعد تحرك شديد ، كتمخض المرأة حين الولادة ،
وظهرت منها ناقة على ما طالبها من الصفة ، ثم تلاها سَقْب (ولد الناقة ساعة
يولد ، والكلمة خاصة بالذكر) . هو مثلها في الوصف . وأقامت الناقة يحملون
من لبنها ما يعم شربه ثُمُوداً كلها ، وضايقتهم في الكلا والماء فقتلوها مع سَقْبها .
ونظر صالح ما فعلوه فوعدهم العذاب من ربها فقالوا له مستهزئين : « ومن
يكون ؟ » وأجابهم : « تصبح وجوهكم يوم مؤنس (يوم الخميس) مصفرة ،
وبيوم عروبة (يوم الجمعة) محمرة ، ويوم شيار (يوم السبت) مسودة . ثم يصبحكم
العذاب يوم أول (يوم الاحد) . وقد صدق الوعيد ووقع العذاب بهم . وخرج
صالح ليلة الاحد من بين ظهرانهم مع من خفّ معه من المؤمنين ونزل موضع
مدينة الرملة من أرض فلسطين .

وآثار ثُمُود باقية إلى يومنا ويقال لها مدائن صالح . وفيها اعتقل المغفور لهم
الشهداء عبد الغني العريسي وعمر حمد وعارف الشهابي في الحرب العالمية الأولى

وسيقوا إلى سجن عاليه وأعدموا شنقا في السادس من نوار ١٩١٦ .
ولشود تاريخ بالفرنسية هو الأول في بابه ، وضعه المستشرق اليسوعي ألب
فن دن براندن وطبعته الجامعة اللبنانية (بيروت ١٩٦٦) ، وفيه أسانيد كثيرة
ومراجع قيمة ، وآراء أثرية جريئة .

(٥٥) **أيلة** : واسمها اليوم العقبة ، فرضة على القلْزُم (البحر الأحمر)
من شواطئ المملكة الأردنية ، كانت قبل الميلاد في الأراضي السورية منذ
الملك رصين (٧٠٠ ق . م .) وسكنها الانباط ، وهم عرب ، ثم احتلها
الرومانيون .

في فجر الاسلام كتب الرسول (صلعم) إلى أميرها يوحنا بن رؤبة يعرض
عليه الاسلام أو أن يدفع الجزية فاتاه يوحنا إلى تبوك بهدايا ثمينة ودخل عليه
وعلى صدره صليبه الذهبي ، فبشنَّ (صلعم) له مرحبًا . وفي تلك الزيارة كتب
الرسول ليوحنا هذا العهد :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

هذه امنة من الله و محمد النبي و رسول الله ليُحْنَه
ابن رؤبة وأهل أيلة : سفتهم وسيارتهم في البر
والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ، ومن كان
معهم من أهل الشام واليمن وأهل البحر . فمن
أحدث منهم حدثاً فانه يحول ماله دون نفسه ،
وانه طيب ملئ أخذه من الناس ، وانه لا يحل أن
يمنعوا ماءً يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .
كتبه جheim بن الصلت وشرحبيل بن حسته ، بأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة
للهجرة . »

وفي ياقوت ، عن أبي زيد : أيلة مدينة صغيرة عاصمة بها زرع يسير .
وقد خالف اليهود فيها دينهم وأصطادوا السمك يوم السبت الذي حرم فيه العمل

فمسخوا قردة وختاير .

واشترط الرسول (صلعم) على يوحنا بن رؤبة في عهده له قري من مرت
بهم من المسلمين ، وقرر على كل حالم بارضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلاثة دينار
دينار . وكان عمر بن عبد العزيز لا يزداد على أهل أيلة عن الثلاثمائة دينار
شيئاً .

فيها قوم يذكرون أنهم من موالي عثمان بن عفان .
ويُنسب إلى أيلة جماعة من الرواة ، منهم يونس بن يزيد الابلي صاحب
«الزُّهري» ، واسحق بن اسماعيل بن عبد الأعلى الابلي .
وفي رضوى بالحجاز جبل اسمه أَيْلَة .

(٥٦) — أبو الفداء : اسماعيل ابن الملك الأفضل علي الايوبي ، من
الفرع الايوبي الذي حكم حماة . ولد بدمشق سنة ٦٧٢ هـ . (١٢٧٣). كان قد
جامعًا لاشتات العلوم ، ماهراً في الفقه والتفسير والأصولين والنحو والعروض وعلم
المبقات والفلسفة والمنطق والطب والتاريخ .

شارك من صغره ، بقيادة المماليك ، في مواجهة الفربجة لاخراجهم من
الديار العربية وكوفة على حسن بلائه باستعادة حكم حماة بعد أن كان قد
خرج من بيته وتولاه أحد المماليك ، فعيّن أبو الفداء على نيابة حماة وأصاب
الخدمة فيها فرقى إلى سلطان عليها (٧١٢ هـ) وعرفت حماة باسمه « مدينة
أبي الفداء » .

من أهم آثاره : « المختصر من أنباء البشر » المعروف بتاريخ أبي الفداء ،
استقاه من مؤلفات كبار المؤرخين الذين سبقوه (وكثيرون منهم فقدت كتبهم
فضار لتأريخه قدره) . وأما الأحداث التي جرت في عصره وقد اشترك في أكثر
التي وقعت منها في محيطه فكتبيها كلها كاشفاً عن تفاصيلها بكل دقة ، وكان
لتاريخه لها شهادة العيان من رجل كبير عرف بالصدق .

ولأبي الفداء كتاب آخر هو « تقويم البلدان » في جغرافية العالم الإسلامي ،
و فيه نصوص « من مؤلفات ليست بين أيدينا ، وهذه القول يجعل لكتاب بعض

الاصلالة والشأن(*). وقد اختصره أكثر من واحد ، أو لهم الذهبي فمحمد السپاهي
(أنظر رقم (٤٤) من هذا الملحق).

توفي أبو الفداء سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢) في حماة ودفن بها « ولم ير الناس
— على قول ابن الوردي — في الملوك أفضلي منه بعد المؤمن ، من جمع الملك
والعلم معاً » .

(٥٧) — أصحاب الايكة : الأيكة غيبة تبت ناعم الشجر . والفيلسوف
محمد فريد وجدي يقول في تفسيره إن أصحاب الايكة هم قوم شعيب ، وأيكتهم
كانت بقرب مدین . وقد أراد شعيب اصلاحهم فقالوا له : « إنما أنت مختلٌّ
العقل بالسحر المتكرر ، وما أنت الا بشر مثلنا فأسقط علينا قطعاً من السماء
ان كنت صادقاً . » فأخذهم عذاب يوم الظلة ، يوم استظلوا من الحر المنبعث
عليهم تحت سحابة فأمطرهم ناراً فأحرقهم .

(٥٨) — برغهوس ، هرمان ، Berghaus : جغرافي الماني ولد سنة ١٨٢٨
وكان من أوائل الذين طوروا « موضوع » الجغرافية وقالوا بوجوب بنائه على أساس
« علمية » جديدة فيها فلسفة وتاريخ واقتصاد واجتماع ، بعد أن كانت الجغرافية
في القرون السابقة « تخمينات » وقياسات غير صحيحة ، وشيئاً مثل السحر !
وضع برغهوس « الاطلس الطبيعي » الذي اشتهر باسمه ، وساعد في الاطلس
الجغرافي الالماني الكبير . توفي سنة ١٨٩٠ في غوتا .

(٥٩) — بسيطة : ضبطها ياقوت بالضم ، تصغير بسطة . وقال أنها

(*) اطلب سيرة أبي الفداء في « اعلام التاريخ والجغرافية عند العرب » الدكتور صلاح الدين المنجد :
ج ٣ .

«أرض في الباذية بين الشام وال العراق . حد ها من جهة الشام ماء يقال له «أمر»
— بتشديد الراء — ومن جهة القبة موضع يقال له قعْبة العَلَم ، وهي أرض
مستوية ، فيها حصى منقوش أحسن ما يكون ، وليس به ماء ولا مرعى . أبعد
أرض الله من السكان . سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر إلى العراق ،
فلمما توسطها قال أحد عباده وقد رأى ثوراً وحشاً : « هذه منارة الجامع » ،
رأى آخر نعامة فقال : « وهذه نخلة » فضحكوا وقال المتنبي :

بُسِيطةٌ مَهْلَأً سُقْيَتِ القطارا تركت عيون عبيدي حياري ...
وقيل: بُسِيطةٌ على طريق طيء إلى الشام . جاء في الشعر: بُسِيطةٌ وبُسِيطةٌ .

(٦٠) — **البَلَادُرِي** : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر داود المصري
الأصل . من أسرة عريقة في العلم . ذكره فالين (ص ٦٤) باسمه الأول
— احمد بن جابر — (والأصح : أحمد بن يحيى بن جابر) ، ثم أشار إليه
بأنه « ابن جابر » ، ولم يذكر لقبه البَلَادُرِي الذي شهر به . ثم ذكر كتابه
باسم « الفتوح » وهو « فتوح البلدان » الذي يُعدّ من أصدق المصادر للفتوحات
الإسلامية ، فقد بسط فيه أخبارها مفصلاً ودون الأحكام التي سار عليها
الخلفاء ، وعني باثبات أحكام الخراج والعشر والختام والتقويد والخط ، وأشار إلى
حضارات البلدان المفتوحة وإلى نظمها الادارية والمالية والاجتماعية ، وإلى
تواريختها قبل الاسلام ، مبتدئاً بالجزيرة العربية فالشام فارمينية وبلدان افريقيا
والأندلس وفارس وما إليها وخراسان والستان الخ ... وقال فيه المسعودي : « لا نعلم
في فتوح البلدان (كتاباً) أحسن منه » .

وطبع هذا السفر الضخم ، كاملاً أو موجزاً أو متقطعاً ، في ليدن (هولاند)
وباريس والقاهرة وبيروت ، وترجمه إلى الانكليزية فيليب حتى (نيويورك)
وإلى الالمانية او . ريشر (ليزيغ) ولعل أصح طبعاته العربية تلك التي نشرها

(*) « مروج الذهب ومعدن الجوهر » (١ : ١٤) — نشره شارل بلا — المطبعة الكاثوليكية —
بيروت ١٩٦٦ .

العالم البحاثة الدكتور صلاح الدين المنجد (١٩٥٧) وقد استندنا إلى ارشاده في بعض كلامنا على البلاذري .

وفي قولِ إن صاحبنا أصله فارسي . والمرجح أنه ولد في بغداد، ولا تعرف سنة ولادته بالضبط ولكن المؤثر أنها في أواخر القرن الثاني للهجرة، وأخذ عن علمائها ثم سافر إلى سوريا وطاف بها طولاً وعرضاً ، مستمعاً دارساً جاماً مدوّناً مجادلاً ، « فجمع إلى علم أهل العراق علم أهل الشام » ، إلى معرفة كاملة بالفارسية وآدابها وتاريخها .

ولما رجع البلاذري إلى مسقط رأسه ملآن الصدر بعلمه نال حظوة لدى الخلفاء العباسيين ، واحداً بعد آخر ، وأكثرهم الخليفة المستعين بالله الذي عطف عليه عطفاً جميلاً . وما يروى من معروف الخليفة عليه أنه جباه بسبعة آلاف دينار أرققتها بهذا الكتاب :

« قد أنقذتُ إليك سبعة آلاف دينار . وأنا أعلم أنك ستُجفني بعدي ، وتطرح ، وتحتدى فلا يُجدى عليك ، فاحفظ هذه الدنانير عندك ، فإذا بلغت بك الحال إلى هذا فانفق منها ولا تتعرض لاحداً فيبقى ماءً وجهك عليك . ولك علي أن لا تحتاج ما عشتُ إلى شيء في أمر دنياك ، ، كبير أو صغير ، على حسب حكمك وشهوتك » (*).

وعاش البلاذري سنوات مشمولاً برعاية المستعين ، ثم المعتر ، وقد أدى بـ لهذا ابنه عبد الله . وبعد وفاة المعتر أصاب صاحبنا فقر وضيق ، فلجمأ إلى عبيد الله بن يحيى وزير المعتمد ، قال البلاذري :

« كانت بيبي وبين عبيده الله بن يحيى بن خاقان حرمة منذ أيام المتوكل ، وما كنت أكلفه حاجة لاستغنائي عنه ، فنانى في أيام المعتمد على الله إضافة فدخلت إليه وهو جالس للمظالم ، فشكوت إليه تأخر رزقي وثقل ديني وقلت: « إن عيياً على الوزير - أعزه الله - حاجة مثلي في أيامه وغض طرفه عني ... » . وقع لي بعض ما أردت » .

(*) - « أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب » ، ص ٢٠ ، للدكتور صلاح الدين المنجد .

ولكن ابن خاقان لم يكرر المساعدة . ومات البلاذري وهو في عوز وشيخوخة كثيبة .

وللبلاذري أيضاً : « انساب الاشراف » وهو كتاب قيم حققه الدكتور محمد حميد الله ، و « كتاب عهد أردشير » (نظمه شعراً)

وقيل ان اسم البلاذري غلب عليه لأنه شرب عصارة البلاذر في آخر أيامه وأصابه مس . وكان شاعراً فحلاً ومؤرخاً مدققاً يتقن الفارسية والعربية معاً .

قال في « محيط المحيط » ، ج ١ ، ص ١١٨ : البلاذر نبات ثمره شبيه بنوى التمر ، ولبه مثل لب الجوز . حلّ وقشه متخلخل متثقب . قيل : يقوّي الحفظ ولكن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون . كما يحكى عن جماعة أنهم كانوا يحضرون الدرس في مدرسة الشيخ يعقوب السيرافي فانقطعوا أياماً ثم حضر واحد منهم على رأسه عمامة كبيرة لها عَذَبة تمس الأرض ، وبباقي جسمه عريان ليس عليه ستر بالكلية ، فابتوج الشیخ من منظره وقال : « يا فلان ، ما بالكم انقطعتم عنا كل هذه الأيام؟ » .

قال (المعمم) : يا مولاي ، كنا نسمع الدرس ولا نحفظ شيئاً ، فوصفو لنا حَبَّ البلاذر فاستكثروا منه فجنّ أصحابي كلهم ، وما سلم إلا أنا

(٦١) - حاجي خليفة : (ورد ذكره ص ٤٣ ، الهاشم) هو مصطفى بن عبد الله كاتب Чلبي ، المعروف بال حاج خليفة لأنّه عمل في وظيفة « الخليفة » أي الدائرة المالية في استنبول . من أكبر أدباء الترك المستعربين . تنقل موظفاً في العراق وسوريا والجهاز وعرفها معرفة صحيحة وكتب أبحاثاً قيمة فيها . من أعظم كتبه : « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » (مجلدان) و « تحفة الكبار في أسفار البحار » و « تقويم التواريخ » ، وكلها بالعربية ومطبوعة . وفي سنته الأخيرة انقطع للتدريس . ترك كتباً مخطوطة بالتركية في الأدب والشعر والتصوف والتاريخ والفقه . ولد سنة ١٦٠٩ في استنبول وتوفي فيها سنة ١٦٥٧ . تجد مراجع عن حياته ومؤلفاته في « الاعلام » لخير الدين الزركلي : ج ٨ ، ص ١٣٩ ، الهاشم ١ من الطبعة الثانية .

(٦٢) - قبيلة الشَّمَّاجِي : قال عمر رضا كحاله في « معجم قبائل العرب القديمة والحديثة » إن الشَّمَّاجِي : « بطن من طيء بن أدد ، من بي زيد بن كهلان . من مياههم : موقف . » - عن الاشتقاء لابن ديد ، ص ٢٣٣ ، ومعجم البلدان لياقوت ، ٣ : ٥١٨ .

قلنا : ان مياه بي زيد بن كهلان التي أشار إليها هي موقّق ، وليس « موقف » . وهذه خطأ مطبعي في الأرجح . أنظرها في ياقوت : ج ١٨ ، ص ٢٢٦ . ولم نجد للشَّمَّاجِي ذكراً في « أنساب الأشراف » وإنما ذكر البلاذري بني الجشمي (بالجيم) وذكر منهم بالتفصيص اباأسامة زهيرًا بن معاوية الجشمي بأنه قتل عمير بن عبد عمرو الخزاعي في بدر . وابو اسامه هذا هو الذي حمل التهديد من ابي سفيان الى رسول الله (صلعم) في يوم الخندق ، وقد اتي على ذكره غير مرة في مغازي النبي ، فرأينا (الجشمي) في صف الذين عادوا المسلمين كافرين .

فهل اراد فالين اسم الجشمي وقع في التحريف ؟

(٦٣) - الفرغاني : احمد بن محمد بن كثير ، فلكي ، من فرغانة ، (في تركستان السوفياتية اليوم) درس في بغداد وعاش فيها . لا يعرف تاريخ ولادته ولكنه عاش في المنتصف الأول من القرن التاسع . قال صاحب « المنجد » ان المتوكل الخليفة العباسي أرسل الفرغاني إلى مصر « ليناظر عناية مقياس النيل » . وضع « كتاب الحركات السماوية وجامع علم النجوم » وترجم إلى العبرية واللاتينية وأعيد طبعه مراتاً ، أهمها طبعة يوليوس ، الكثيرة الحواشي الجغرافية في Amsterdam سنة ١٦٦٩ .

واه رسالة في « الاسطرباب » . قال كراتشوفسكي ان الفرغاني « ساق بعض البراهين المتدلولة في أيامنا لاثبات كروية الأرض ، كاختلاف مواعيد طلوع نجم معين أو اختلاف الكسوف باختلاف الأماكن الخ ... (تاريخ الادب الجغرافي العربي : ١ ، ص ٤٧) .

(٦٤) - ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ، ولد ، على الترجيح ، سنة ٥٧٥ هـ . (١١٧٩) في بلاد الروم (تركية اليوم) وأسر صغيراً مع جماعة من قومه وحملوا إلى بغداد فاشتراه تاجر اسمه عسکر الحموي وأطلق عليه اسم ياقوت الذي كان يُطلق على الرقيق ونسبه إليه وعلمه القراءة حتى يضبط له أعماله. ولما كبر أعتقه . وكان ياقوت قد جاب أكثر بلدان الشرق في خدمة مولاه وزداد إقبالاً على طلب المعرفة وجمع كثيرة فنون وصار من فحول النايني والبغراوية ، عاش سنين الأخيرة في حلب التي أحبها متهنا نسخ الكتب . وفي العاصمة الحمدانية وضع تحفته « معجم البلدان » وبوبه على الحروف الأبجديّة ناهجاً فيه نهجاً علمياً جديداً كما هو هذا النهج اليوم ، جامعاً فيه فوائد الجغرافية واللغة والتاريخ والأدب حتى جاء آية في بابه (*).

ولياقوت أيضاً « إرشاد الاريب إلى معرفة الاديب » المعروف بمعجم الادباء ، جمع فيه أخبار كل من عمل بالأدب ، معتمداً على كنوز مكتبه . وكثير من تلك المصادر هي اليوم مفقودة ، وهذا مما يزيد في قدر الكتاب . ثم اختصر « جمهرة النسب » لابن الكابي ، وألف « معجم الشعراء » و « أخبار المتبي » و « المشترك وضعاً والمفرق صقاً » الخ ... وبعضاً منها مجهول المصير .

لم يعمر ياقوت كثيراً ، ومات ابن خمسين (في ٢٠ من رمضان ٦٢٦ هـ . - ١٢ من آب ١٢٢٩) وعاش آخر عمره بائساً معوزاً . وأوصى بأوراقه ومجموعاته إلى ابن الأثير اينقلها إلى بغداد .

(٦٥) - مدین : بفتح أوله وسكون ثانية ، مدينة قوم شعيب سميت بمدین وهو اسم ابن ابرهيم . وقال أبو زيد : أنها بلدة على القلزم محاذية لتبوك وفيها البر التي استقى منها موسى لسامحة شعيب . وقال انه رأى تلك البر مغطاة « قد بُني عليها بيت ، وماء أهلها من عين تجري ، ومدين اسم القبيلة

(*) - نشره المستشرق الألماني وستيفيل بعد جهد في تحقيق المنسوخ الذي عثر عليه ، ونشرته « دار صادر وبيروت » في طبعة متنقنة اعتمدنا عليها في شرحنا لكتبه ، من أسماء الاماكن .

قال الله تعالى : « وإِلَى مَدِينٍ أَخْاهُمْ شَعِيبًا » (*) .

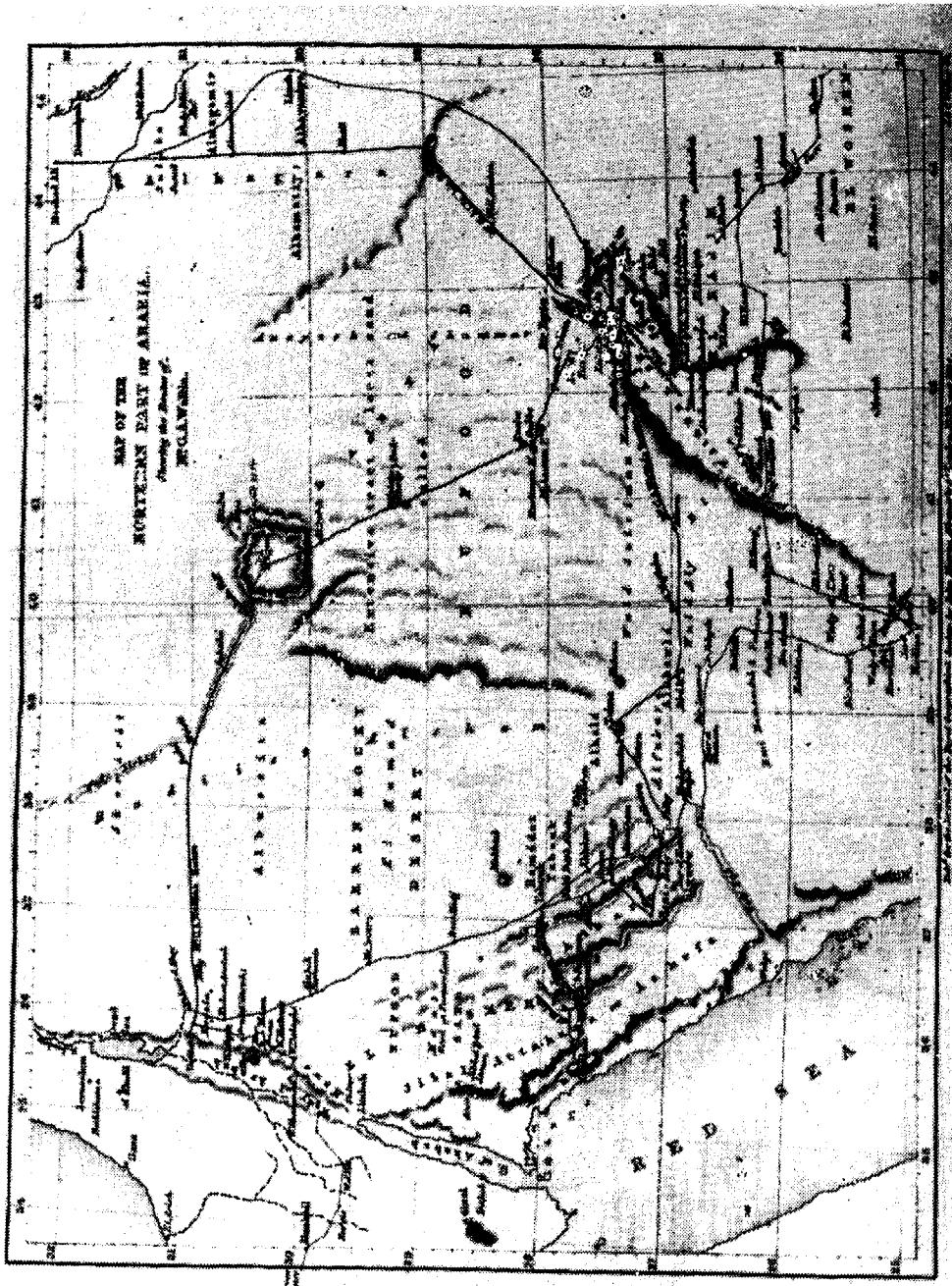
وقيل ان مدین هي كثیر مَنْسَدْه من أعمال طبرية ذكرها كثیر بشعره :
رهانُ مدین والذین عَهِدْتُمْ يَكُونُونَ مِنْ حَذَرِ الْعِقَابِ قَعُوداً
لَوْيَسْمَعُونَ، كَمَا سَمِعْتُ، حَدِيثَهَا خَرّوا لَعْزَةَ رَكْعَانَ وَسَجَدُوا
(من ياقوت بتصرف) .

وتسكن اليوم مدین فرق مختلفة من عشيرة المجالي أكبر عشائر الكرك .

انتهى

(*) - الأعراف ٨٤ ، وهود ٨٣ ، وقال محمد فريد وجدي في تفسيره : « أَيْ أَرْسَلْنَا إِلَى أَوْلَادِ مدین بن أبِرْهِيم شَعِيبَ بْنَ مِيكِيلَ بْنَ يَشْعُورَ بْنَ مدین .. فَنَصَحَّ لَهُمْ وَأَمْرَهُمْ بِتَوْفِيقِ الْكِيلِ وَالْمِيزَانِ وَعَدَمِ أَكْلِ حَقْوَقِ النَّاسِ إِلَخَ .. » : ص ٢١٣ - أنظر رقم ٥٧ في هذا الملحق عن أصحاب الآيكة .

خريطة شمالي جزيرة العرب في القرن التاسع عشر وفيها الملاطق التي زارها المؤلف



EL CORTE
DE APPELLES
A LA CIUDAD DE
MEXICO

ESTADO DE MEXICO

اسماء البلدان والاحياء والجبال والأودية والعيون والآبار والبحار والشجر وايام
الأسابيع وشهور السنة الخ ...

الألف

آب (شهر) ٢٣١	، ٩٥ ، ٩٢ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦
ابريل (انظر نيسان ، شهر)	، ١٠٩ ، ١٠٢ ، ٩٧ ، ٩٦
الابلق ٢٠٣ ، ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٠٢ ، ١٨٠	، ١٢٣ ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١١٣
ابن حسيني (حي) ٤٦	، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٢٤
ابن عمرو (جزيرة) ٢١٩	، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٩
ابن قعید (حي) ٤٦	، ١٨٢ ، ١٧٧ ، ١٤٤ ، ١٣٤
ابو حنيب (مضيق) ١٧٥	٢٠٩ ، ١٨٤
الاثل ، الاسل ، الاسليات (شجر)	الاحد (يوم) ٢٢٣
الاحساء ٧٥	، ١٠١ ، ٩٠ ، ٨٢ ، ٣٧
١٥١	١٠٨
أجاؤ وسلمي (أجاؤ ، سلمي ، جبل)	الاحرون (جمع حرّة) ٢٢٣
أجاؤ ، جبل سلمي ، الجبلان) ٤٠	الاحفاف ٩٠ ، ٨٩
٤٨	الاخضر ١٥٣ ، ١٢٢

افريقية الشمالية (شمالي افريقيا)	أد سرح ٢٩
اذرح ٢٨ ، ٢٩ ، ٦٨ ، ١٦٢ ، ١٢١ ، ٧٠ ، ١٤٤ ،	
١٥٤	
افريقية الغربية ٢٠١	الاردن (شري الاردن، المملكة الاردنية)
اكاسيا (شجر) ١٨٦	١٥٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
اكتوبر (شهر ، انظر تشرين الاول)	٢٢٤ ، ٢١٥
اكري ١٧٢ ، ١٧٣	الارز (جبل لبنان) ١٩٥
الاقحوان (زهر) ٢	الارض التحتا ٤٩
الاقماع ٨٩	أرض الحجارة ٨٩
ألاء (شجر) ٢	الارض المنبسطة ٢٦
المانية ٢٠٢ ، ١٩٦	الأرطى (شجر) ١٧٦
امستدام ٢٣٠	ارمينية ٢٢٧
ام جديلة ١٤٥	اريحا ١٥٩
امر ٢٢٧	الازرق ٥٩
ام سلمان (جبل) ٧٧ ، ٧٥ ، ٧٤	الاائم ١٤٤
٢١٧ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨	الازهر (الجامع) ١٩٧ ، ١٠٨ ،
أم سليم (عين) ٦٣	٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٥ ،
ام قيلان ١٣٣	اسطبل عنتر ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
الانبار ٩٩ ، ٦٧	١٧٣
النجارة (عين) ٢٤	الاسكندرية ٢١٣ ، ٢٠٣
الاندلس ٢٢٧	آسية (قاره) ١١ ، ٩١ ، ١٢٠
انكلترة ٢١٣ ، ٢٠٢ ، ١٩٦	آسية الوسطى ٢١٤
الاهوار ٩١	اشوان (عشوان ؟ اصحوان ؟) ٤٦
آورة (الحوراء ، البيضاء) ١٩٩	الاطواع (آبار) ٨٧ ، ١٨٤ ، ١٨٦
ارروبة ١١ ، ٣ ، ٢٣ ، ١١٠ ،	افريقية ١٣ ، ١٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ،
اول (يوم الاحد) ٢٢٣	٢٢٧

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------------|
| أيوان | (فارس ، البلاد الفارسية) ٧٠ |
| أيلول (شهر، سبتمبر) ٧ | ٦٧٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٩٥ ، ١٧٤ ، ١٦٥ |
| أيلة (بالحجاز) ٢٢٥ | ٢٢٥ ، ٢٢٤ |
| أيلة (العقبة) ٦٨ ، ٢٢٧ ، ٢١٨ | ٢١٦ ، ٢١٣ ، ٢٠٨ ، ١٠٧ |
| أيلول (العقبة) ٦٨ ، ٢٢٧ ، ٢١٨ | ٢١١ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٤ |

الباء

- | | |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| بائور ٣٩ | بدر (معركة) ٢٣٠ |
| باب نجد ٤٥ | البدع ١٤٣ |
| بادية الشام ٤٢ ، ٤٠ ، ٣٨ | بر العجم (مصر) ١٤٠ |
| باريس ٢٢٧ | برد (جبل) ١٨١ |
| باعج ٣٩ | برد زيدى (نبع) ٤٨ |
| البحر الاحمر (الفلزُم) ١٢ ، ١٥ | برقان (جزيرة) ١٤١ |
| برقة ٣١ ، ٣٠ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ١٥ | برقة ١٥٤ |
| بركة المعظم ١٢٣ ، ١١٠ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٣٢ | برقان (جزيرة) ١٤١ |
| برلين ١٣٤ | بروسة (تركية) ٢١٧ |
| برون ١٥٣ | البروك (وادٍ) ١٣ |
| البريدة ١٧٢ | البريدة ١٣١ |
| البحر الفارسي ٢٠٧ | بسطة (عين) ٣٤ ، ٢٠ |
| البحر المتوسط ٢٤ | بسطة ٢٢٧ |
| البحرين ١١٤ | البسطة ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٤٠ |
| البحر الميت ١٩٤ | البصرة ٥٧ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ |
| بنخاري ١٢١ | ١١٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ٩١ |

بلعيم المغاربة	١٣	٢١٤ ، ١٥٩	
البقاء	٢٩ ، ١٩٤ ، ١٩٦	البطحاء	٨٢
البلاد العربية— التركية	٥٥ ، ١٠٧	البطرا (البراء)	٣٨ ، ١٤٦ ، ١٩٦
البلادر (نبات)	٢٢٩		١٩٨
البنفسج (زهرة)	٢	بطرسبورغ	٥
بنها (بمصر)	٢١٣	بطن الرمة	٨٦ ، ٨٥
البويرة	٢١٠	البطين (واد ، سهل)	٤٢ ، ٨٦ ، ٩٦
بيت الله الحرام (انظر : مكة المكرمة)			٩٥
بيت المقدس	١٩٤		
بئر التيس	١٨٤	بغداد	٥٧ ، ٦٩ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٢٤
بئر السلطان	١٤٣		، ١٤٤ ، ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢١٤
البير الصغيرة	٩٢		٢٣١ ، ٢١٩ ، ٢٢٨
بيروت	٧ ، ١٩٣ ، ١٩٣ ، ٢٠٣	بغداد (سكة حديد)	٢٢٢
	٢٢٧ ، ٢٢٤	البكار (سهل)	١٥٦

التابع

تبوك العتيقة	١٦٢	تبوك	٢٥ ، ٢٥ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٠ ، ٨٠
تركمستان السوفياتية	٢٣٠ ، ٢٢١		، ١٣٠ ، ١٢٢ ، ١٢٩
التركي (قمة)	٧٧ ، ٧٣		، ١٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥٠
تركية	٢٣١ ، ٢١٧ ، ٢١٣ ، ٢١٠		، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣
تشرين الاول (شهر ، اكتوبر)	١٤٢		، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧
تشيكوسلوفاكية	١٩٩		، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٠
تعز	٢٠١		، ١٩٨ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٣
تموز (يوليو ، شهر)	٢٠٤ ، ٢٠١		، ٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢
الثمامنة (جبال)	٣٢ ، ٣١ ، ٦٣		، ٢٣١

٧٣ ، ٦٣ ، ٦٠ ، ٥٧ ، ٤٠	١٥٠ ، ١٤٥ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٧٠
١٢٢ ، ١١٤ ، ٨٢ ، ٧٩ ، ٧٥	، ١٦٩ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١
، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٣٠	٢١٣
، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٣	تونس ١٢١ ، ١٢٨
، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨	٢٦ ، ١٣٩ ، تيران (جزيرة) ١٣٩
٢٠٢ ، ١٨٣ ، ١٨٢	١٤٠
١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ (وادي)	الشيم (بئر) ٨٧

الثاء

ثعيلة الدراوיש (جبل) ١٣	الشاج ٨٨
ثمود ١٧٤	٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢١

الجيم

الجلان (أجا وسلمى ، منطقة)	الجامع الاموي ٢١٦
، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٠ ، ١٠٩	جال الجوف (جبل) ٤٢ ، ٤١
، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥	٧١ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٠ ، ٤٣
، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩	الجبل ١٩٦
١٢٨	جبل حسن ١٣
جنة ٧٣ ، ٧١ ، ٥١ ، ٤٨ ، ٢٩	جبل موسى ١٣٨
، ٧٩ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤	جبل الناقة ١٧٤
، ١١٣ ، ١٠٩ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٠	الجبل ٣٧
، ١٦٦ ، ١٦٢ ، ١٣٣ ، ١٢٢	الجبل الداخلي ٥٠

جمادى الآخرة	٢٠٤	٢١٧ ، ١٩٥ ، ١٩٤
الجمعة (يوم)	٢٢٣	الختامية ١٨٣ ، ١٣٣
الجو (منطقة ، ارض)	١٦٨ ، ١٦٩	الحدادية (قمة) ١٨٤
	١٧٤ ، ١٧٥	جدة ٢٤ ، ٢٤ ، ١٩٨ ، ١١٠ ، ٩١ ، ١٩٨
الجوز (شجر)	٢٢٩	٢٠١
جوف الدنيا	٥٩	الحدثبة ٢١٠
الجوف	٦ ، ٢٦ ، ١٧ ، ١١ ، ١٧ ، ٢٦	جربى ٢٩
	، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٣٨ ، ٢٧	الخرعاوى (حي) ٥١ ، ٥٠
	، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥	الحرف ١١٥
	، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١	جزيرة ابن عمرو ٢١٩
	، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦	الخزيرة (في سوريا) ٥٨
	، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٥ ، ٦٢ ، ٦١	الخزيرة العربية (جزيرة العرب ، شبه)
	، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠	، ٩١ ، ٣ ، ٢ ، ١
	، ٩٠ ، ٨٦ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١	، من ١١٨ إلى ١٢١ ، ١٠٤
	، ١١٢ ، ١١١ ، ١٠٦ ، ٩٦	، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٧٤
	، ١٢٧ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٦	، ٢١١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠ ، ١٧٧
	، ١٦٥ ، ١٦٣ ، ١٦٠ ، ١٥٩	٢٢٧ ، ٢٢٢
	، ١٨٥ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٥	جُفُرة العراق ١٨٧
	٢٠٠ ، ١٩٩	الحفرية ٤٦
الجي	٣٨	جلدة ٨١
		جم ١٤٥

الخطاء

، ١٢٢ ، ١١٠ ، ١٠٦ ، ١٠٥	٥٦ ، ٥٤ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢
، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤	، ٩٦ ، ٩٢ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٧٧
، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨	، ١٠٤ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٧

- الحَرَّات ٢٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٤
 الحَرَار ٢٢٣ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 الحَرَّة (جبل) ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦
 ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣
 الحَرَّة (نبات) ١٦٨
 حَرَّة بْنِ بَلِي ١٧٣
 حَرَّة بْنِ سَلِيم ١٧٣
 حَرَّة النَّار ١٧٣
 حَرَب (ديار بني ، جبل) ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٥
 الحَرْقان (حي) ٦١
 الحُرْمَان الشَّرِيفان ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٧
 الحُرُون ٢٢٣
 حَرِيرَة ٦٠
 حَزَل (حزيل ، بُر) ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٧
 حُزُوْي (جبل) ٨٧ ، ٨٥
 حَزِيرَان (شهر ، يونيور) ٢١١ ، ٢١٥
 الحَسَا (قلعة) ٣٩
 الحِسْمِي ١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥٩
 ، ١٨١ ، ١٧٩ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٩٢ ، ١٩٢
 حَسَن (جبل) ١٣
 الحَفَافِير ٦٠
- ، ١٤٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٢
 ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 الحاجر (الحاجز) ٨٦ ، ٨٥ ، ٨١ ، ٨٦
 ٢٠٧
 الحازم ٥٩
 الحالة (سهل) ١٧٦ ، ١٧٧
 الحاوي (شيخ الفليحان) ٥٨
 الحَبَشَة ٥١
 الحجارة ١٨٦ ، ١٨٥ ، ٨٨ ، ٨٧
 الحجاز ٥٩ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٧٠ ، ٥٩
 ، ٩١ ، ٩٠ ، ٧٠ ، ٦٩
 ، ١١٠ ، ١٠٥ ، ١٠٠ ، ٩٦
 ، ١٣٤ ، ١١٧ ، ١١٤ ، ١١٣
 ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤١ ، ١٣٧
 ، ١٦٠ ، ١٥٦ ، ١٥١ ، ١٥٠
 ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٦٤
 ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩١ ، ١٧٤
 ، ٢١١ ، ٢٠٩ ، ٢٠٦ ، ١٩٧
 ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢١٥
 ٢٢٩
 الحِجْر ٣١ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٦٠
 ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٥٠
 ، ١٥٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١
 ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٢ ، ١٨٠ ، ١٨٠
 ، ٢٢٣ ، ٢٢١
 حجر اليمامة ٢٠٨
 حَدْبَة (قمة) ٩٦
 الحَدَّات (لبنان) ٧

الحملة (سوق)	٧٥	حضر بني سعد	٨٥
الحماميات (هضبة)	٤٣	الحفنة	١٢٣ ، ١٣٢
حمص	١٧٠ ، ٧٩	الحُفَير (ماء)	١١٥ ، ١٢٣ ، ١٣٣
حميرة (جبل)	١٣	حلب	١٩١ ، ٢٣١ ، ١٧٠
الحميمة	١٩٩ ، ٣٨	حلوان (اكة ، جبل)	٨٣ ، ٨٢ ، ٨٣
حوراء	١٩٩		١٨٢
حوران	٤٩ ، ٥٨ ، ١٠٠ ، ١١٩	الحلوة (تمر)	١٧٩
	١٢٢	الخليفة	١٣٤
الخصوص (خرائب ، العيس)	١٩٦	الحُلْقِيَّة (واد)	١٤٨
الحوطة	١٣٠	حماة (مدينة)	٢٢٥ ، ٢٢٦
الحيانية	١٨٤	حَمَاطَان (جبل)	٨٥ ، ٨٦ ، ٨٦
الحيرة	١١٦ ، ٦٧ ، ٦٥ ، ٦٤		٨٨ ، ٨٧
		الحِمَاطِيَّة	١٨٤

النَّحَاءُ

الخطي (سهل)	١٨٤ ، ٨٧	خان الزبيب	٢٩
الخل (درب)	٧٣	الخبراء	٨٨
خليج العجم	٢٠٧	خدمـا (حي)	٤٩ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٥١
الخليج الفارسي (الخليج العربي)	٨٢ ، ٨٢		٥٤
		خراسان	٢٢٧ ، ٢٢١ ، ٢٠٩
		الخزامي (زهر)	٢
		الخريطة	١٩١
		خشاخش (جبل)	٨٨ ، ٨٧ ، ٨٥
الخليل	٣٤ ، ٢٥ ، ٢٣	خُضَر (الوادي الاخضر)	١٦٧

خبير	١٦٥ ، ١٢٢ ، ١١٤	الخميس (يوم)	٢٢٣
	٢٢١ ، ١٨٠	خمم (ديار)	١٧٢
الخيري	(نبات) ٢	الخندق (معركة)	٢٣٠
		الحولة (ارض)	١٨١

الدال

الدار الحمراء	١٧٥ ، ١٧٨	الدار الحمراء	١٩١ ، ١٧٧ ، ١٧٠ ، ١٦١
الداما	١٤٣ ، ١٧٢	الداما	٢٢٥ ، ٢١٧ ، ١٩٤ ، ١٩٣
الدانمارك	٢٠٠	الدانمارك	٢٤
دجوج (قمة)	٧٣	دجوج (قمة)	الدهناء
دجلة	٨٤ ، ١٠٩	دجلة	٤٢ ، ٤٣ ، ٨٢ ، ٨٣
درب البكرة	١٦٧ ، ١٧٥	درب البكرة	١١٢ ، ١١٩ ، ٩٠ ، ٨٩
درب الحج	١٣٠	درب الحج	١٨٥ ، ١٢٢ ، ١١٧ ، ١١٦
درب زبيدة	٨٤ ، ٨٩	درب زبيدة	دومة (دوماء ، دومان ، حصن) ٦٢
الدرع (سوق ابن الدرع ، حي)	٤٦	الدرع (سوق ابن الدرع ، حي)	٦٤ ، ٦٣
	٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣		دومة انوش (بن شيت بن آدم) ٦٢
الدرعية	٤٦ ، ٥٣ ، ١٠١	الدرعية	دومة الجندل
	، ١٢١		٥١ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣
	١٢٢		٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨
الداع (بلقة)	٢٧	الداع (بلقة)	٢٠٢ ، ١٩٨ ، ٧٣ ، ٦٩
دقّي (سهل)	١٨٤	دقّي (سهل)	٢٠٦ ، ٢٠٣
اللطمية (حي)	٥٤ ، ٥١ ، ٥٠	اللطمية (حي)	دومة الحيرة (دومة حير ، دومة حور) ٦٥
دمشق	٧ ، ٢٣ ، ٤٠ ، ٤١	دمشق	٦٦ ، ٦٨ ، ٦٦ ، ٦٥
	، ٤٢		٦٣ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٤٧ ، ٤٢
			٦٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٢١ ، ١٢٣

الذال

ذات الحج ١٥٣ ، ١٦٢ ،
٦٣ ذو القارة

ذو القعدة (شهر) ٢١١

الوااء

الرمث (جبل)	٨٧ ، ٨٥	الراحة (جبل)	١٣
الرملة	٢٢٣	رأس الخيمة	١٨٥ ، ٨٢
رمضان (صوم ، شهر)	٣٧ ، ٣١	رأس محمد (شاطئ)	١٣٨
الرّمة	٨٥	الربع الخالي	٩٠
رودس	٢١٨	ربيع الاول (شهر)	٦٩
روضة قراقر	١٢٨	رحيبة	٤٩
الروضة	١٣١ ، ١٢٨	رخام (قرية)	٤٨
الروم (بلاد ، تركية اليوم)	٢١٣ ، ٢٣١	رُزْدلي	٦٠
الرياض	٦ ، ٦٠ ، ٩٠ ، ٦٠ ، ١٠١	الرشاد (نبات)	١٦٩ ، ١٦٨
١٨١ ، ١٠٨ ، ١٠٦ ، ١٠٣ ، ١٠٢		رضوى	٢٢٥
		الرماح	٨٨

الزاي

زيبد	٢١٣	الزاوية	١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٩
زعبل (حصن)	٦١	زبالة	١٣٠

السين

- الساحل ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧
 سميرقند ١٢١
 سميرة ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١١٥
 سنام (جبل) ١٨٧
 السنانية ١٨١
 السند ٢٢٧
 السنط ١٤٩
 سوي (واد) ٨٥
 السودان ٢١٠
 سوريا ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٥ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٥ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٥ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٠ ، ٥٩ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٠ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ٩١ ، ٩٠ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٩ ، ١٥٦ ، ١٥٠ ، ١٤٥ ، ١٣٢ ، ١٧٧ ، ١٧١ ، ١٦٥ ، ١٥٩ ، ٢٠١ ، ١٩٦ ، ١٩١ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٢ ، ٢٢٩
 سوق الشيخ ١٥٩
 سوق الريبيين ٤٩
 سوق الكلاب ٤٨
- سان بطر سبورغ ٨٦ ، ٦٦
 السبت (يوم) ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ١٥٣ ، ١٤٩ ، ١٤٧
 سبّة (جبل) ٥٠
 سبتمبر (شهر ، انظر ايلول)
 السبعان ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٣
 السخيان (حي) ٦١
 السدر (شجر) ١٨٧
 السراح (حي) ٤٨ ، ٥١ ، ٥٠
 السراحية ٤٨
 السروات ٩٠
 السعد (قمة) ٧٣
 السعودية (البلاد) انظرها في فهرس الاشخاص
 السعیدان (حي) ٥٢ ، ٥٠
 السعیدین (سوق) ٤٨
 سکاکة ١٢٢ ، ٧١ ، ٦٣ ، ٦١
 سلمی وأجأ (انظر أجأ)
 سلمی (جبل ، انظر أجأ وسلمي)
 السلال (سوق) ٧٥
 السمر (شجر) ١٤٥ ، ١٥١
 سمراء حائل ١٢٥ ، ٩٦

السويس (بلدة ، خليج) ، ١٢ ، ١١	سيناء (شبه جزيرة ، جبل) ، ١٢ ،
، ١٣٧ ، ٣٢ ، ٢٦ ، ١٧ ، ١٤	١٤٦ ، ١٣٩ ، ١٣٧
، ١٤٧ ، ١٤٤ ، ١٤٠ ، ١٣٩	السويقية ١٤٨
١٦٤	سويد (جبل) ١٤٦
سينوس ارابيكوس (الخليج العربي) ٢٠٨	السيق (وادي موسى) ٢٣

الشين

شار (جبل) ١٤٥ ، ١٥٢	، ٥٨ ، ٤٠ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥
شارع سان جرمن (بياريس) ٢٠٨	، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٥
الشام ٦٥ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٦٤	، ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٦٢ ، ١٥٦
، ١٩٤ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٧٣	، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٩١
، ٢١٣ ، ٢٠٦ ، ١٩٦ ، ١٩٥	الشرق ٦
، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١	شرقي الأردن (انظر الأردن)
، ٢٢٨ ، ٢٢٧	الشرقية ٣٤ ، ٣٣
الشام الكبيرة ٥٩	الشرم ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٤٠
شاما ١٤٣	، ١٤٤
الشامية ٢٦ ، ٢٥	شروعى ١٩٢
شباط (شهر ، فبراير) ٧ ، ١٤٧	شعبان (شهر) ٢١١
١٤٩ ، ١٤٨	الشفا (جبل) ٣١ ، ١٤٥ ، ١٥٠
شتار (شعب) ٢٣٠	، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٥
شجرة النيار ٣٠	، ١٧٧
الشراة (جبل) ١١ ، ١٧ ، ١٩	الشقراء ٤٨
، ٢٩ ، ٢٧ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢٠	الشقيق (بئر) ٥٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧
، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠	٨٤ ، ٧٧

شوشة (جزيرة)	١٤٠	الحقيقة	٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧
الشوكة (شجرة مصرية)	١٤٦	شوال (شهر)	٢١٣
الشفوان (حب)	١٧٩	الشوبك	٣٨ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ٢٠
شيراز	٢١٣		
شيار (يوم السبت)	٢٢٣		١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤
الشيخ (نبات)	٣٢ ، ١٣	الشوحط (شجر)	١٩١

الصاد

الصحراء الكبيرة	٧٧	صالح (النبي)	١٧٤
صدر (سهل)	١٤٨ ، ١٤٥	صويرتنا	٨١
صديع (آبار ، ماء)	٤٠ ، ٣٩	صبيحة (بئر)	٤١
صَيْت	١٨٦	الصحراء السورية (بادية الشام)	٤٠
صناع المرعي (حي)	٤٦		٤١ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ١٢٣
صناعة	٢٠١		
صَيْلة (جبل)	١٨٤		١٨٠ ، ١٣٠

الصاد

ضحي (الضحى)	١٥٢ ، ٨٢	ضبا	١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٥ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٣ ،
ضيقه السأول (او السعلول ؟)	١٤٩		٢٢٢

الطاء

طابة	١٣١	الطائف	١٧٧ ، ١٥٠
------	-----	--------	-----------

الطلع (شجر)	١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٦	طاووس	١٨٤ ، ٨٢
١٥١		طبرية	٢٣٢
طنطا	٣٤	طرابلس (الغرب)	١٤٤
الطاول (سلسلة جبال)	٧٢	الطرفاء (شجر)	٧٥
الطور	١٣٧ ، ١٣٨	الطريف (سوق)	٧٥
الطفان	٢١٦	الطفيلة	٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٤
الطوية	١٣٣	١٥٩ ، ١٤٤ ، ٤٩ ، ٤٢ ، ٣٨	
			١٩٤ ، ١٧٧ ، ١٦٢

الظاء

الظاهرية ١٥

العين

العدبة (حب شجر الايل)	٧٥	عاد (ارض)	١٩٩ ، ٢٢١
العراق (وما بين النهرين)	٤٠ ، ٣٣	العارض (جبال)	٨٩ ، ٩٠ ، ١٧٧
، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٤٥		عاليه (لبنان)	٢٢٤
، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٠		العبوثران (نبات)	١٣
، ٩٦ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٧٧ ، ٧٠		عجرود	١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١
، ١٠٩ ، ١٠٥ ، ٩٩ ، ٩٧		عجلون	١٥٩
، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٠		عجمة	١٥
، ١٣٣ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢١		عدن	٢١٨ ، ٢٠١
، ١٨٣ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٤٦		العدوة	١٣٢

عُشْلَة (صهريج)	١٨٠	١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ،
العلا	٢٢٢ ، ١٧٩ ، ١٧١	٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢١٦
العلاج (حي)	٤٩	عربة (وادٍ) ٣٤
العليم (قمة)	٧٣	العربيّة الحجرية ٤٠
عليمة (وادي)	٢٩	العرفج (شجر) ٢
عمان	١١٤ ، ١١١ ، ٩٠	عرنان ١٨١
عمّان	٢٩ ، ١٩٥	عروبة (يوم الجمعة) ٢٢٣
العمران (حي)	٦١	العروس (نبع) ٤٩
العمري	٦٠	العرش ١٤ ، ١٥
عمود الخيمة	١٨٥	عسفان ١٩١
العناب (شجر)	١٧٦	عسير ١١٧ ، ٣٧ ، ١٠٨ ، ١١٧
عينز (ماء)	١٨٢	العضادة (شجر) ١٤٥
عنيزة (قمة)	١٣١ ، ٧٥	العصيري ٤١ ، ٦١
العارض (جبال)	٣١	العظيم ١٣٢
الورج	٦٠	العقبة (بلدة ، خليج) ١١ ، ١٥ ، ١٦
الورجاء (قمة)	١١٣ ، ٩٦	، ٢٤ ، ٢٣ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦
العيس (خرائب الحوص)	١٩٦	، ١٣٠ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٣٠
عين ام سليم (حي)	٤٦	، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣٨
عين التمر	٦٧ ، ٦٥ ، ٦٤	، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٩٤ ، ٢٢٢
عين الحمل	٤٨	(انظر أيضاً : ايلة) ١٩٨ ، ١٣٠ ، ٢٢٤
العيون	١٧٢ ، ١٤٥ ، ٣١	العقبة الشامية ١٣٠
العيون البيض	٦٠	عقدة ١٣٠ ، ١٢٤

الغين

غراب ٥٩

غدير الراشد ١٦٧

الغضا (واد)	١٥١	الغرب ٥
غطّي (حي)	٥٠	الغرب (حي) ٤٦ ، ٥٠
غَنْرَة (نبع)	٤٩	غرقده (بركة) ١٢
غُنْيم (قمة)	١٨١	الغزاله ١٣١
غوتا (بالمانية)	٢٢٦	غزة ١٤ ، ١٤ ، ٣٤ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ١٥ ، ١٤
غوتغن (بالمانية)	٢٠١	غزوة العسرا ١٩٣
الغوطه (قمة)	٨٠ ، ٧٩ ، ٧٤	غزوة الفاضحة ١٩٣
الغوطه (واد)	١٨٢	الغضا (شجر) ١٥١

الفاء

فاراب ١٠٩	
الفاؤ (شعب) ٤٣	
فبراير (شهر ، انظر شباط)	
الفرات ٨٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٧٧ ، ١٧٧	
فراشات الريح (واد) ١٣	
فرغاته ٢٣٠	
فرنكفورت (بالمانية) ٢٠٥	
فلسطين ٣١ ، ٥٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٩	
فِيَانَة (عاصمة النمسا) ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥	

الفاء

فيانة (عاصمة النمسا) ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

الكاف

قارة	٦٢
قاع	٨١
القاهرة	١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٤٧
القصبة	١٣٢ ، ١٣١
القصير	(بلدة ، قلعة ، خربة) ٤٨
القصيم	١٧١ ، ١٦٤ ، ١٦٢ ، ١٤٢
القطيف	٥٨ ، ٥٦ ، ٤٨ ، ٣٧
القطيفة	٩ ، ١٢٢ ، ١١٦ ، ١٠٠ ، ٦٠
قطيّة العباس	٢٠٧
قطيّة	٢١٧ ، ١١٠ ، ٣٧
قطيّة ، قطيّة ؟ (جبل)	٧٧
قطيّة (قرية)	٢١٧ ، ٢١٦ ، ١٦٢ ، ٧٩
قطيّة (قرية)	٧٩
قَعْدَة القلم	٢٢٧
قفار	١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٠٤ ، ١٠٢
القلُزُم	(انظر البحر الاحمر)
قلقشندة	(بمصر) ٢٠٣
القلبيّة	(بمصر) ٢٠٣
قنا	٢٠٧ ، ١٣٣ ، ٩٢ ، ٨١
قناة شابور	١٨٧
قيس	(ديار) ١٣١
قيسي	(جبال) ١٨٤ ، ٩٦ ، ٨٧
قصر الطوير	٦٢
قصر عشراء	١٣٢
القراءة	١٩٧
القتاد (شجر)	٢
القدس	١٩٨ ، ١٥
القراطين (حي)	٥٠
القرافة الكبرى	(مدافن بالقاهرة) ١٩٧
قراجر (آبار ، ارض)	٨٥ ، ٥٩
القرَّاظ	(نبات للصباغ) ١٩١
القرىات	٦٣
القرية	١٦٤ ، ١٦٢
قريس (جبال)	١٦
القصب (عين)	١٧٣ ، ١٧٢
القصب الفارسي	١٧٢
قصر الرحيمي	١٨٧
قصر السليمي	١٣٢ ، ١٣١ ، ١٠٢
قصر الطوير	١٣٣

الكاف

الكشكشة (لمجة)	١٧١	كازارون	٢١٣
كفرمندة	٢٣٢	كانون الثاني (شهر)	٧
الكلاب (سوق)	٧٥	الكبرى (نبع)	٤٨
الكهفه	١٣٣ ، ١٣١	كرباء	٩٩ ، ١٠٩
كواولينبغ (المانية)	٢٠٥	الكرخ (قرب نجد)	١١٥
الكوفة	١٢٩ ، ١٢٢ ، ١١٦ ، ٨٦	الكرك	٢٧ ، ٤١ ، ٢٩ ، ٥٩
	٢١٠ ، ١٨٣		٦٠ ، ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٩٤
			٢٣٢ ، ٢١٥ ، ١٩٥
			كرك دي مونريال
			١٩٦

اللام

لندن (لوندرا)	١	لُبْدَة (طريق)	١٢٧
٢١٣ ، ١٩٦ ، ٦٦ ، ١		لبنان	٤ ، ٧ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ،
٢٢٢ ، ٢١٧			٢١٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠
لوزان	١٩٦		
ليزيغ	٢٢٧	لبنان الشمالي	١٩٥
ليدن (في هولاندة)	٢٢٧ ، ٢٢٢	اللجنون	٦٠
ليفه (آبار ، ارض)	٨٤ ، ١٨٤	لقيطة	٩٢ ، ١٣٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
لينينغراد	٦٦		

الميم

ما بين النهرين (انظر العراق)

ماتب ٢٩

- مِنْدَعَا (ماء) ٢١٠
 مِرَو ٢٢٢ ، ٢٢١
 المَرِيْحَة (وادٍ) ١٤٩
 مُرْبَيْرَة ٥٩
 مَسْتَجِدَّة ١٣١ ، ١٢٨
 الْمِسْمَى ١٨٢
 الْمُشْرَفَة ٦٢
 الْمُشْرَق ٢٠٣ ، ٢٠٢
 مَشْهُدٌ عَلَى ١٠٠ ، ٩٩ ، ٨٧ ، ٥٩
 ، ١٢٢ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٧
 ، ١٨٧ ، ١٨٣
 الْمَشِيقِيْق (الشقيقين؟) ١٨٦ ، ٨٨
 مصر ١٤ ، ١٢ ، ١١ ، ٦ ، ٣
 ، ٣٣ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ١٦ ، ١٥
 ، ٩١ ، ٧٠ ، ٤٩ ، ٣٥ ، ٣٤
 ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٧ ، ١٠٥
 ، ١٣٢ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٦
 ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٧
 ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣
 ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٦١ ، ١٥٤
 ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٨١ ، ١٧٩
 ، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٩٦ ، ١٩٤
 ، ٢١٥ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢١٠
 ، ٢٣٠ ، ٢٢٧ ، ٢١٦
 بَصَرُ الْكَبِيرَة ٥٩
 الْمَصِيق ١٧٣
- الْمَارِد ، مَارِد (قلعة ، حصن) ٤٣ ،
 ، ٥٣ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧
 ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٦٨ ، ٦٣
 مَاوِيَة ٨٨
 مَايُو (شهر ، انظر نوار)
 مَعْوِق (عين) ١٤ ، ١٣ ، ١٢
 مَبْقَوْع ٦٠
 الْمَجَامِر (سهل) ١٨٦
 الْمَجَر ٢١٨
 الْمَجَعَلَات (سوق) ٧٥
 الْمَحِير ١٦٨
 الْمَخْطَب (جبل) ١٦٣
 الْمَدَائِن (قرب بغداد) ٢١٤
 الْمَدَائِن صَالِح ٢٢٣ ، ١٩٦
 الْمَدَيْن (بلدة) ١٧٤ ، ١٦٤ ،
 ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٦ ، ١٩٢
 مدِيَّة ابْنِ الْفَدَاء (حماة) ٢٢٥
 الْمَدِيَّة (النبوية ، المنورة) ٦ ، ٤٧ ،
 ، ٦٦ ، ٦١ ، ٥٩ ، ٥٤ ، ٥٣
 ، ٨٥ ، ٧٧ ، ٦٨ ، ٦٧
 ، ١٠٦ ، ١٠٢ ، ٩١ ، ٩٠
 ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٤ ، ١١١
 ، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٢٧ ، ١٢٢
 ، ١٥١ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٣٤
 ، ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٣
 ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٧٤
 ، ٢٢١ ، ٢١٤ ، ١٩٦ ، ١٩١

معان	١٧ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ٢
المكحول	١٣٢ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤
منبع	٢١٠ ، ١٥٢ ، ١٢٩ ، ٤٠ ، ٣١
المنتور الاصفر (نبات)	١٩٨ ، ١٩٤ ، ١٦٣ ، ١٥٦ ، ١٥٣
متزل الحاج	١٦٧ ، ٨٧ ، ٨٥ (جبل)
المنقع (المنقع)	١٧٥ ، ١٦٨ ، ١٦٨ (قياس)
منبع (واد)	٨٥ ، ٢٥ (المغارة)
مؤاب (ملكة)	١٩٤ ، ١٢١ ، ١٩٥ ، ١٤٤ ، ٢٠٣ (المغرب)
الموصل	٢١٩ ، ١٨٢ ، ١٢٩ (المغيرة)
موقف (وهي خطأ)	٢٣٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ (مقنا)
موقع	١١٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٣ ، ٥٩ ، ٤٣ (مكة المكرمة (بيت الله الحرام))
	٢٣٠ ، ١٨٢ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٤٩ ، ٤٣
مؤسس (يوم الخميس)	٢٢٣ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٥ ، ٧١ ، ٦٨ ، ٩١
المولى	٦ ، ١٣٧ ، ١٢٩ ، ٣٣ ، ٢٦ ، ١١٤ ، ١١١ ، ١٠٣ ، ١٠١
	، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٨ ، ١٢٨ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١١٥
	، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣٧ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٢٩
	، ١٧٩ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٤٢ ، ١٤٠
	، ٢٢٢ ، ١٧٢ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٨٣ ، ١٦٢

النون

٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦١ ، ٦٠	التَّبَعُ (شجر) ١٩١
٨٩ ، ٨١ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٢	النَّبِكٌ ٥٩ ، ٤٩
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩١ ، ٩٠	نجد ٢ ، ٣١ ، ٢٦ ، ٢١ ، ٥ ، ٣ ، ٢
، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠	، ٥١ ، ٤٥ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٣
، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٤	، ٥٩ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢

- . ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥
 نفوذ الجو ١٧٥
 نفوذ نجد ١٧٧ ، ١٧٨
 التفودين (جبل) ١٨٤ ، ٨٧ ، ١٧٨
 تقب درب البكرة ١٦٦
 تقب الخلقة ١٤٨
 تقب الصواوين ١٤٩ ، ١٥١
 تقد الشام (حوران) ٥٨ ، ٥٩
 فوار (شهر ، مايور) ٢٧ ، ٢٩
 ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
 ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥
 ، ٢٢٤ ، ١٨٦
 التوبة (بلاد) ١٩٦ ، ١٩٧
 نوى التمر ٢٢٩
 نيسابور ٢٠٩
 نيسان (شهر ، ابريل) ١٤٢
 ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٧٦
 ، ١٨٢ ، ١٨١
 النiger (نهر) ٢٠١
 النيل ٨٦ ، ١٥٣ ، ١٩٥
 نيويورك ٢٢٧
- ، ١١٨ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣
 ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩
 ، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٢٨ ، ١٢٣
 ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٣٤
 ، ١٧٣ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٥٦
 ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦
 ، ٢١٠ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨١
 نجد العريض ٤٨ ، ١٣٠
 نجران ٩٠
 النجف ٥٩
 النجم القطبي ٧٤ ، ١٨٦
 النخل ، النخيل (*)
 النخل (قلعة) ١٤ ، ١٥ ، ١٦
 نخيل ١٢٩
 نصار ١٥
 النفط العربي ٢٢٢
 التفود ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦١
 ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧
 ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤
 ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٦
 ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨
 ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١
 ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٨٢

(*) - لم يفهرس كلمة نخل ونخيل (الشجر) لكثرتها ورودها في غالب الصفحات.

الهاء

المند	١١ ، ٦٩ ، ٥١ ، ١١٠ ،	هَجَر ٢١٧
	٢٢٢ ، ٢١٣ ، ١٩٦ ، ١٩٥	الْهَدَاج (بُر) ١٧٩
هولاندة	٢٢٧	هَشْم الْفَرْوَة (وَاد) ١٣
		هَلْسِنْكِي (فَنْلَنْدَةً) ٧٠٥ ، ٤٠٣
هيدلبرغ	١٦٨	هَمَادَة تَبُوك ١٦٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩

الواو

وادي دلاغة	١٩ ، ٢٠ ، ٣٤	وَادِي (حِي) ٥٠
وادي الدواسر	٣٧	وَادِي الْأَخْضَر ١٦٧
وادي رويان	١٥٢	وَادِي أَرْلَم ١٤٦ ، ١٤٥
وادي سرحان (او السرحان)	٢٧ ، ٤٩ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٢	وَادِي أُورْش ١٧١ ، ١٧٠
	، ٨٣ ، ٨٢ ، ٦١ ، ٥٩ ، ٥٨	وَادِي أُوْيِسْطَ ٨٢
	، ١٤٥ ، ٨٩ ، ٨٦ ، ٨٤	وَادِي الْبَكْرَة ١٦٩ ، ١٦٧
	١٧٧ ، ١٦٥ ، ١٥٢	وَادِي تَرِيم ١٤٦ ، ١٤٥
وادي صدر	١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤	وَادِي الْجَوْف ٧١ ، ٤٣
وادي صواوين	١٤٩	وَادِي الْحَاجِر (الْحَاجِز) ٨٥
وادي العاط	١٤٠ ، ١٣٩	وَادِي حَفْل (هَفْل؟) ٤٨
وادي العربة	١٤ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٤ ، ١٨	وَادِي الْحَمَاد ١٨
	٣٢ ، ٣١ ، ١٩	وَادِي الْحَمَاطِيَّة ٨٧
وادي عويند	١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥	وَادِي الْخَلَاء ٤١
	، ١٦٩ ، ١٦٦	وَادِي دَامَا ١٧٣ ، ١٤٥

وادي نجد	١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٧ ، ، ١٧٠	وادي غرندل	١٩
	١٧٤	وادي الفرا	١٧١ ، ١٤٥
وادي نجل	٢٩	وادي القامرة	١٤٧
وادي النيل	٣٣ ، ١٥٤ ، ٢٠٣ ، ، ٢٠٣	وادي القرى	٦٣ ، ٦٤ ، ١١٦ ، ، ٦٣
واسط	٢١٠		١٧٣ ، ١٦٥ ، ١٣٤ ، ، ١٣٤
الوجه	٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١١٠ ، ، ١١٠		٢٢٢،٢٢١،٢٠٦ ، ١٩٨ ، ١٧٤
	١٤٥ ، ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٤	وادي الكحالة	١٤٨
	١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٤٦	وادي اللثم	٣١ ، ٢٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠
	٢١١ ، ١٧٩ ، ١٧٤ ، ١٧٣	وادي ليف	١٤٦
	٢٢٢	وادي مبرك	٢٠
الورد (زهرة)	٢	وادي مبهل	٧٩
وريق (وادٍ)	١٨٢	وادي مرارة	١٣٨
الوسطية	١٢٧	وادي مرطى	١٧٦
وعر	٨١	وادي مهرة	٩٠
الوقيد	٩٢	وادي موسى	١٨ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ، ٢٧
الولايات المتحدة الامريكية	٢٠٢		٣٨ ، ٣٥ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ، ١٥٣
وبُوي (وادٍ)	١٤٨		١٦٢ ، ١٧٤ ، ١٧٠ ، ١٩٦

الياء

ياق	١٩٦
يَبْرِين	٨٢ ، ٨٩ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ، ٩٠
يَبْعا	٩١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ، ٩١
(جزيرة)	١٤١
اليامة	١١٦
اليمن	٣ ، ٣٨ ، ٥١ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ، ٣

يُنسوعة	٩٠ ، ٨٨ ، ٨٥
يُنسوعة القف	٨٨
ينبع	٢١٠ ، ١٧٩ ، ١٧٤
يُونان	٢٢٣
يُوم اول (الاحد)	٢١٠
يُوم مؤنس (السبت)	٢٢٣
يُوم عروبة (الجمعة)	٢٢٣
يُوم شيار (السبت)	٢٢٣

فهرسة الأشخاص والقبائل والأسر والأصنام الخ ...

الألف

- | | |
|----------------------------|----------------------------------|
| ابن خلدون ٧٠ | ابراهيم (السلطان) ١٩٣ ، ١٩٨ ، |
| ابن داما (شيخ المواهب) ١٧١ | ابراهيم باشا (ولي مصر) ١٠١ ، ١٩٤ |
| ابن زياد (الكلابي) ٨١ | ابراهيم بن عبدالله (الشيخ) ١٩٦ |
| ابن سعيد (البغراوي) ١١٧ | ابراهيم (محمد عبد الرسول) ٢٠٤ |
| ابن الطقطقي ٢١٩ | ابليس ١٠٥ |
| ابن قاضي شهبة ٢٢٢ | ابن الاثير ١٦٥ ، ١٧٤ ، ٢١٩ ، |
| ابن كثير ٢٠٩ | ٢٣١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ |
| ابن الكلبي ٢٣١ ، ٦٥ ، ٦٣ | ابن اياس ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، |
| ابن مقلة ٢٠٩ | ٢١٥ ، ١٩٥ |
| ابن النجار ٢٢٢ | ابن تغري بردي ٢١٤ |
| ابن النديم ٢١٤ | ابن جابر (انظر البلاذري) |
| ابن الوردي ٢٢٦ | ابن حوقل ٢٠ |

- | | |
|---|---|
| أسلم ١٠٨
اسماعيل ٦٣
الاسماعيلية ١٦٥
اشرس (بن شوير) ٦٣
الاشعري (ابو موسى) ١٩٣
اصحاب الايكة ٢٢٦، ١٩٢، ١٦٤
الاصمعي ٢٢٣، ٧٩
اكدر ٦٤
اكيدر (الاكيدر ، الملك) ٥٢
، ٦٧ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٥٣
، ٢٠٢ ، ١٦٣ ، ٦٩ ، ٦٨
الباني ٢١٠
امرؤ القيس ١٠٧ ، ٧٩
امية (بنو) ٢٠
الانباط ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٢١ ، ٣٦
، ٢٢٤
الانصاري (المؤلف) ٢٦
انكشاري ١٦٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨
، ٢١٩
الانكليز ٢٢٢
آورة (المدينة النبطية) ٩٩
اورانيوس ١٩٩
الاوروبيون ٢٢٢
اولاد الشيخ ١٠٨
ايكة (انظر اصحاب الايكة)
الابلي (اسحق بن اسماعيل عبد الاعلى)
، ٢٢٥ | ابو بكر (الخليفة الصديق) ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٧
ابو تايه (الشیخ عودة) ١٩٨
ابو ثامة ١٩٨
ابو زياد (يزيد الكلابي) ٢٠٧
ابو زيد (المؤرخ) ١٩٢ ، ٧٩ ، ٢٣١ ، ٢٢٤
ابوزيد (الهملاي) ٨١
ابو سعد ٦٣
ابو سفيان ٢٣٠
ابو الفداء ٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢١٧ ، ٢٩ ، ٢٢٦
ابو منصور (الجغرافي) ٨٥ ، ٦١ ، ٨٨
أجأ (بن عبد الحفي) ٩٧
الاجدار (بنو عامر) ١٩٨
الاحدب (ابراهيم) ٢٠٢
احمد بن جابر (انظر البلاذري)
احمد فؤاد (ملك مصر) ٢١٠
ارمال ٥١ ، ٨١ ، ٧٦ ، ١٠٨
ازد (الأزد ، بنو) ١١٥ ، ١٣٠
اسحق (محمد بن) ٢١٥
اسد (بنو) ٨٥ ، ١١٤ ، ١١٥
اسد (خلدية) ١١٤
الأسدی (عمرو بن شاص) ١٢٨
اسرائيل ١٩٤
الاسكندری (عمر) ٢١٣ ، ٢١٢ |
|---|---|

أيوب (النبي) ١٩٦	الأيلي (يونس بن يزيد) ٢٢٥
الايوبى (الحكم) ٢٢٥ ، ٢٢٠	ابناكيم ١١٤

الباء

باليدين (الملاك) ١٩٤	بايزيد (السلطان) ٢١٦
بنـي (بنو ، ديار) ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤	بشـنة (محبوبة جميل) ٢٢١
بورـكـهـارـدـت ٦٦ ، ٥٥ ، ٤٦ ، ٣٣ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١٩٦ ، ١٢١ ، ١١٣	بـدرـ (آل) ٦٩
بـهـةـ (منـ بـنـيـ سـلـيـمـ) ١٧٣	بـدرـ بـنـ فـرـاءـ (بنـوـ) ٢٠٣
بـيـزـنـطـيـوـسـ (الـبـيـزـنـطـيـ،ـ اـسـتـفـانـ) ٣٨	بـرـغـهـوـسـ ١٧٣ ، ٢٢٦ ، ١٧٤
بـيـكـ (فـرـيـدـرـيـكـ جـ .ـ) ١٩٨ ، ٢١٥ ، ١٩٩	بـرـقـقـ (الـسـلـطـانـ) ٢٠٣
	البرـيـكـاتـ ٢١٥
	بشـرـ ٧٧ ، ١٨٠ ، ١٢٢ ، ٨٤ ، ١٨١
	بلاـ (شارـلـ) ٢٢٧
	البـلـاذـريـ (احـمـدـ بـنـ جـاـبـرـ) ٦٤ ، ٢٢٧ ، ٢١٤ ، ١٩٢
	٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨

الباء

پـلـينـ (الـمـؤـرـخـ الـرـومـانـيـ) ٢٠٨	پـروـپـيلـيـومـ (معـابـدـ مـصـرـيـةـ) ٧٥
---	--

الباء

التـراـيـنـ ١٥ ، ١٤	التـرـتـيرـيـةـ (الـغـزـوـةـ) ٢٢٠
الـتـرـكـ ٢١٢	تجـراءـ (بنـوـ) ١٤٩ ، ١٥٣

تعمر (عور)	١٨٥
الشنجي	١٩٥
تومان	١٠٨
تونس (شيخ تعمر)	١١٣
التيها	١٥٣ ، ٣٤ ، ١٥ ، ١٤
تعمر (بنو)	٧٩ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١١٩
تعمر (بنو)	١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٢٩

الشاء

شمود (اطلبهما في فهرسة البلدان) ٣٠ ثياب (اولاد ابن)

الحيم

جابر (احمد بن - انظر البلاذري)	
الحاذر (ابن)	١٧٠
جازي (اولاد ابن ، بنو)	٣٤ ، ٣٠
جازي (حسين بن)	٣٠
الجبارية	١١٤
جدام	١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢١٦
جذيمة عبد القيس	٢١٧
الحرافين	١٤٦
الحراسة	٢١٥
الحرباء	١٠٩
الحرهائيون	١٢١
جلبي (انظر حاجي خليفة)	
جميل بن معمر (الشاعر)	٢٢١
الحوابرة	١٥٩
الحواثمة	١٨٥
جودي (حاكم)	٦٧

الجوهري (ابو نصر اسماعيل) ٩١ ، جheim (بن الصلت) ٢٢٤
 جهينة ١٦٥ ، ٢٢١ ، ٢١٤ ، ٢٠٩

الحاء

حمدة	١٧٨	ال حاج موسى	٢٠١
حملة المناصبة	٤٦	حاجي خليفة	٢٢٩ ، ٤٣
حميد بن مالك	٢	حارثة (ابن ملك الانباط)	١٩٩
الحميدات	١٥٩	حافظ احمد	١٧٣ ، ١٧٢
حميد الله (الدكتور محمد)	٢٢٩	حي (الدكتور فيليب)	٢٢٧
الheimerية	٢٠٢	المجايأ	٣٤ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠
حنبل (الحنيلي ، الامام احمد)	٥٥	١٦٥ ، ١٤٣ ، ٤٢ ، ٣٨ ، ٣٥	
	١٠٦	الحدثان	٩٧
الحنيلي (المذهب)	١٧٨	حريث (اخو الملك أكيدر)	٦٤ ، ٦٥
الحنفي (المذهب)	١٨٧	حسان (اخو الملك أكيدر)	٦٣
حنينة (ابو)	٣٧ ، ٢٧	حسن (السلطان الملالي)	٨١
الخويطات	٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧	حسن (سليم)	٢١٣ ، ٢١٢
	٢٠ ، ٣٢ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٧	حفصة بن قيس	١٧٣
	٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٦	الحركك	١٥ ، ١٤
	١٤٨ ، ١٥١ ، ١٧٠ ، ١٧٢	الخلسae	٥٨
	١٩٨ ، ١٩٩	Hammar bin طويق	٢٠٠
حبا	١١٦	حمد (الشهيد عمر)	٢٢٣
حبي	١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩	الحمداني	١٥ ، ١١٦ ، ١٤٤
حي (بنو)	١٥		١٧٢

النخاء

خاقان (عبيد الله بن يحيى) ١١٣ ، الحضررة ١٥٣	٢٢٨ ، ٢٢٩
الحضريري (انظر السيوطي) الخطيب البغدادي ٢١٥	٦٤ ، ٦٣ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢١٥
خميس ١٩٩	٢٢١ (ابو مسلم)
الخزاعي (عمير بن عبد عمرو) ٦٨	٢٣٠ (مؤرخ)

الدال

در (بنو) ٤٨	
درية ٥٠	
دعجة (ابن) ١٦٥	
دعية (ابن) ٥٨	
الدمي ٦٢	
الدمشقي (المؤرخ) ١٦٥ ، ١٧٩ ، ١٩٣	الديراوي (عمر)

الذال

الذهبي ٢٢٦ ، ٢٢٢	دو القرنين (الاسكندر) ٥٣
دو الرمة (الشاعر) ١٩٣	

المراء

الرشيد (متعب)	١٠٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤	ربيع (بنو)	١١٤
الرشيد (الخليفة ، انظر هارون الرشيد)		ربيعة	١٥٤ ، ١٩٥
رشيد الدين (فضل الله الحمداني ، المؤرخ)	٦٨ (*)	الربيلات	١٥٣
رشيد الدين (الملك)	٢٢٤	الرشيد (آل ، ابن)	١٤ ، ٥١ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١١٢ ، ١٠٧ ، ١٠٥ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ٢١١ ، ١٧٠
الرايضة	١٩٦	الرشيد (صالح بن علي)	١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٢
الروابين	٢١٥	الرشيد (طلال)	١٠٤ ، ١٠٢
رؤبة (يوحنا بن)	٢٢٥ ، ٢٢٤	الرشيد (الشيخ عبدالله)	١٠١ ، ٥٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٢ ، ٢١١ ، ١١١
روبنسون (الرحالة)	٤٩ ، ٢٠٢	الرشيد (عبيد او عبيدة الله)	٥٤ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢
روكسلان (السلطانة)	٢١٨	الرشيد (عيسى)	١٠٢
الروكّة	٣٤ ، ٤٦ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ١١٩ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٧٧ ، ٧٧		
	١٢٢		
الروم	١٩٢		

(*) - هو الطبيب ابو الفضل فضل الله بن ابي الخير الحمداني الملقب برشيد الدين . ولد بهمدان سنة ١٢٤٧ . يعد من اعظم مؤرخي الاسلام . اصله يهودي واعتنق الاسلام وصار وزيراً للسلطان محمود غازان المغولي الذي غزا سوريا ورافقه فيها . وضع رشيد الدين كتاباً خطيراً اسمه « جامع التواريخ » . كتب الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد (مصر) سفراً جليلًاً بعنوان « مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الحمداني » اعتبره فيه من عظماء الاسلام . مخطوطاته محفوظة بمعهد الدراسات الشرقية بموسكو . قتل رشيد الدين ظلماً بدس من حсадه سنة ١٣١٨ م.

الروماني	١٤٠
الرويّات	٢١٥
الريان الغساني (أبو الزباء)	٢٠٣
ريتر (كارل)	٤٦ ، ٢٩ ، ٢٤
الريحاني (أمين)	٣٧
ريش	٢١٧ ، ١٦٤
ريشر (او.)	٢٢٧
ريشه (جد الحويطات)	١٤٦
١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢١ ، ١١٧	، ٩٦ ، ٩٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ٩٦ ، ٩٠
٦١ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٠	، ٤٨
٢٤ ، ٢٩ ، ٤٦	، ٢٩ ، ٢٤ ، ٤٦

الزاي

الرباء (المملكة هند)	٢٠٣ ، ٢٠٢
زكى باشا (احمد)	٢٠٧
الزلة	٢١٦
زبيدة (زوجة هارون الرشيد)	١٨٣
الزجاجي	١٢٩
الزركلي (خير الدين)	٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
زيتسن (سيتسن)	٢٠٩
٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٦٦	٢٢٩ ، ٢٢٠ ، ٢١٥

السين

ساعدة (بنو)	١١٦
السباهي (وليس السباعي *)	٢٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤
السبوت (بنو سبت)	١٥٤ ، ١٥٣

(*) - طبعت في ص ٢٠ «السباعي» خطأً. يرجى تصحيحها.

السكوني (ابو عبدالله ، ابو عبيد)	١٥٤
١٣٢ ، ٨٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٦٣	١٠٩
سلابة ٨٤	٤٦
السلامات ٢١٦	سعادة (السعادة ، بنو) ١١٢
سلامان ١٣٠	سعد (بنو) ٢٠٨ ، ٨٧ ، ٨٥
سلامة (ابو ، من همدان) ١٢٩ ، ١٣٠	سعد (محمد بن) ٢١٥
سلمي (عشيقه أجأ) ١١٣ ، ٩٧	سعود (ابن ، آل ، ديار ابن ، السعوديون ، الدولة الخ...) ٣٦ ، ٦٥ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٦ ، ٣٧
سلمان (ولد) ٤٨ ، ٤١	، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠١ ، ١٠٠
السلميون ١٤٦	، ١٧٠ ، ١١١ ، ١٠٦ ، ١٠٥
سليم (السلطان) ٢١٨ ، ٢١٦ ، ١٦١	، ٢١١ ، ١٨٢ ، ١٨١
سليم ١٩١ ، ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٥٤	سعد الثاني ٢١١
سليم بن عاشر ٣٠	سعد (تركي بن) ١٠١ ، ٣٦
السلم ٥٨	سعد (عبد العزيز) ٣٧ ، ٣٦
السليمات ١٥٣	سعد (فيصل بن تركي) ٣٧ ، ٣٦ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١
سليمان (النبي ابن داود) ٥١	سعد (فيصل بن عبد العزيز الاول) ٣٦
٢٠٣ ، ١٨٣ ، ١٨٥	سعد (مشاري) ١٠٢ ، ١٠١
سليمان (السلطان) ٢٩ ، ٢٥ ، ٢٩	سعد (الملك) ١٢٣
٢١٨ ، ٢١٦ ، ١٦٥	السعيدبن ٤٨
السعاني (المؤرخ) ١٧٤ ، ١٧٠	السعیديون ١٥٣
٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠	سكري ٢٠٨
السؤال ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ١٨٠	سكون ٦٨ ، ٧٠
السواريا ٢١٥	السكوني (وليس السكوفي *) ٦٣
السويفلة ١٦٤	
السيرافي (الشيخ يعقوب) ٢٢٩	
سيتسن (انظر زيتسن)	
السيوطى ٢١٥ ، ٢٩ ، ١٩٥	

(٥) – طبعت في ص ٦٣ «السكوني» خطأ. يرجى تصحيحها.

الشين

شميجي ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٣٠	شابرور ١٨٧
شمر بن العموق (الملك) ١١٧	شلبي ٥٨
الشمر (قبيلة ، جبل ، ديار ، أرض) ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٤ ، ٥١	شلبي سمير ٥
، ٧٦ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ٨٤ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١١٩ ، ٩٩ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٧٠ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٨٢ ، ١٨٠ ، ١٧٨ ، ١٧١ ، ٢١١ ، ١٨٦ ، ١٨٣	الشدياق (احمد فارس) ٢٠٦ ، ٢١٤
الشهاني (الشهيد عارف) ٢٢٣	شديد (ابن) ٣٤
شوشان ٥٨	الشراطات ٣٢ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٠ ، ٥٦ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٨
الشيرازي محمد الدين محمد (اطلب : الفير وزبادي) .	، ٨٤ ، ٧٧ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٥٨ ، ١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١١٢ ، ١٧٥
	شرحبيل بن حسنة ٢٢٤
	الشريمان ١٤٦
	الشعلان ٥٨
	شعب (النبي) ١٦٤ ، ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٦
	الشقيرات ١٩٦

الصاد

الصفوي ١١٩ ، ١٠٩	صالح (النبي) ٢٢٣
الصلبة (بنو) ١١٢ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٢٧	صخر (بنو) ٢٧
الصوى (الشيخ حسين زعيم الحجايا) ٢٣١	١٦٥
	الصُّغِيون ١٤٦

الضاد

الصغير ٨٤
الضيوفية ١٥٣

الضباعين ٥٨

الطاء

الطبع (الأخوان عبد الله وعمرانيس) ٦٥
الطبرى ٢١٤ ، ٦٧
الطبقات ١٤٦
الطورة ، الطوراء (بدو) ١٧ ، ١٩٦ ، ٣٤
طوسون (بن محمد علي والي مصر) ٢١٢ ، ٢١٠ ، ١٨١
طيء بن أدد ٢٣٠

الظاء

ظفر (بنو) ١٩١

العين

عاديا (أبو المسؤول) ١٨٠ ، ٢٠٣ عامر بن صعصعة ١٦١

عبيد الله بن يحيى (وزير المعتمد)	عاملة ١٩٢
٢٢٨	عباس باشا (ولي مصر) ١١١ ،
عبيدة بن الحجاج ١٩١	١٨١
العيّات ١٤٦	عباس بن فرناس ٢٠٩ ، ٢١٢ ،
عثمان بن عفان ٢٢٥	٢١٣
عثمان (سلاطين بني) ٢١٥	العباس ٤٨
عدنان (العدنانيون ، العدنانية)	العباس (الامام المتوكّل على الله
٤٥ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٥ ،	أحمد) ٢٠١
١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٥٤ ،	العباسي (المهدي) ٢٠٧
١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ٢١٦	عبد الله بن حويشد ٣٠
العدوان ٧١	عبد الله (بن المعتز) ٢٢٨
عُذْرَة (بني) ٦٦ ، ٦٦ ، ٢٢١	العبدة (او عبيدة) ١١٢ ، ١٠٨ ،
العارضات ١٧١	عبد القيس ٢١٧
العربيّات ١٤٦	عبد الملك بن عبد الرحمن ٦٣
العربيّات العرب ٢١٢	عبد ود ١٩٨
عز الدين (أنظر ابن الأثير)	عبد الولي (مؤلف هذا الكتاب . أنظر فالين)
العَزَّام ٥٨	عبد الوهاب (حسين بن محمد) ١٠٨
عزة (صنم) ٢٣٢	عبد الوهاب (عبد الرحمن بن حسن) ١٠٨
عسكر الحموي ٢٣١	عبد الوهاب (عبد الرحمن بن محمد) ١٠٨
عطية (العطية ، العطيات ، ابن ، بنو) ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ،	عبد الوهاب (عبد اللطيف) ١٠٨
١٩٩	عبد الوهاب (عبد الله بن محمد) ١٠٨
عُقُبة (بني) ٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،	عبد الوهاب (علي بن محمد) ١٠٨
١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٥ ، ١٧١	عبد الوهاب (الشيخ محمد) ٥٣ ،
عقيل (بني) ١١٦	٢١٢ ، ٢٠١ ، ١٠٨
عقيلان ١٩٩	العبيدي (شاعر) ٢١٧
عكرمة (بن حفصة) ١٧٣	

العلوية (الأسرة)	٢١٠ ، ١٩١
العلاوين	٣٤ ، ١٦ ، ١٤
علي بن أبي طالب	٦٨ ، ٥٣ ، ٤٧
	١٨٧ ، ١٦٣
علي (بطن من شمر)	١٧٨
علي بن مسلم الميّم	١٩١
علي (الدكتور جواد)	١٩٩
العليان	١٥٣
العماليق	١١٤
عمر (ال الخليفة)	٦٤ ، ٥٣ ، ٤٦
	٦٧
العمر	٤٨
عمر بن عبد العزيز	٢٢٥
ال عمران (عمران)	١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٧ ،
	١٤٦ ، ٣٤ ، ٣٢
العمرياني (الشيخ حميد)	٢٠

الغين

غازى	١٩٩
الغريقان	١٦
غزية	١١٦
غطفان	١١٦ ، ٨٥
غطفان (عبد الله بن)	٧٩
الغيم	٩٧

القاء

فريديريك (ملك الدانمارك) ٢٠٠	فاروق (الملك) ٢١٠
الفاطمي (العهد ، الفاطمية) ٥٣ ، ٣	فريدر (الفرير ، الفريري) ١١٢ ،
فاید ١٦٢ ، ١١٥	فاید ١٢٩ ، ٩٧
فرارة (بنو) ٢٠٧ ، ٢٠٣	فاضل توفيق ٤ ، ٥
فضل (أمير سوري) ١١٦	فراير (شهر ، انظر شباط)
الفضل ١٥	فَدَكَ ٩٧
القراء ٤١ ، ١٢٢ ، ١٢٢	الفرحان (الشيخ حمد) ٢١٥
٨٠ ، ١٦٠ ، ١٦٠	الفرس ٢٠٨
١٨١	الفرغاني (فلكي) ٢٣٠
الفَوِيْدَة ١٤٧	الفرنجة ٢٢٥
فَيَدَ (بن حام) ١٢٩	فرنسوا (ملك فرنسا) ٢١٨
الفیروزابادی ٢١٤ ، ٢١٣ ، ١٥٠	فَرِيد (محمد) ٢١٨
فیلبي (عبد الله) ٧ ، ١٩٣	

القاء

، ١٩٨ ، ١٩٦ ، ١٨٥ ، ١٧٢	ثالين (مؤلف هذا الكتاب ، عبد الولي) ١ ،
، ٢٠٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠	٢ ، ٣ ، ٤ ، ٣٦ ، ٧ ، ٦٠٥ ، ٤
، ٢١٥ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٨	، ٨٤ ، ٧٩ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٥٣
٢٣٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٠ ، ٢١٧	، ١٠٢ ، ٨٩ ، ٨٦ ، ٨٥
فن دن براندن (الاب) ٢٢٤	، ١٤٣ ، ١٣٢ ، ١١٨ ، ١١٤
	، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٤ ، ١٦٣

القاف

- | | | | |
|-------------------------|--------------------|------------------------------|--------------------|
| قريش | ١١٤ | القبة (الشيخ أحمد) | ٢٧ |
| قشير (القشيريون، بنو) | ٨١، ١٦١ | قططان (القططانيون، القبائل | |
| قضايا | ٢٢١، ١٧٢ | القططانية) | ١١٥، ١١٤، ١١٠ |
| قلاؤن (الملك الناصر بن) | ١٩٦ | | ١١٩، ١٤٤، ١٢٠، ١٦٥ |
| قلعجي قدرى | ٢٠٨ | | ١٧٨، ١٧٢، ١٦٦ |
| القلقشندى | ١٥، ٥٧، ٦٨، ٦٩ | قداعة (بنو) | ١٢١ |
| | | القراريط | ٤٨ |
| | ١٥٤، ١٤٤، ١١٧، ١١٦ | قراءة | ٤٩ |
| | ١٦١، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٣ | القرعان | ٢١٥، ١٤٦ |
| | ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٦ | القرماني (أنظر أحمد الدمشقي) | |
| قيس (بنو) | ١١٣، ١١٤، ١١٧ | | |
| قيس عيلان | ٢٠٣، ١٧٣، ٢١٠ | قروط | ٤٨ |

الكاف

- | | | | |
|----------------------------------|-----|--------------------------|------------------------|
| كلاب (بنو) | ٤٨ | كثير (الشاعر) | ١٩٤، ٢٣٢ |
| كلاب (عمر بن) | ٧٩ | كحالة (عمر رضا) | ١٤٤ |
| الكلابي (أبو جابر) | ٧٩ | كراتشوفسكي | ٢٣٠ |
| كلاس | ٥٨ | كارسيكوف (يوحنا اهتينين) | ٧ |
| كتانة (بنو) | ٦٣ | كب (بنو) | ١٥٩ |
| كندة | ٦٣ | الكعبة | ٢٠١ |
| كهلان | ١٣٠ | كب (بنو، منهم كنانة) | ٦٣، ٨٥، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٥ |
| كوسن دي پرسفال (أرمان وجان جاك). | | | ١٩٨، ٨٦ |

كيرنان	٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١١٣ ، ١١٤
٢٠٢٠٢٠١ ، ١٩٧ ، ٦ ، ٣ ، ٢	١١٦ ، ١٥٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٦

اللام

لوط (بني) ١٧١	لاسيلا (السفير) ٤
ليث (بني) ١٩١	لبيد ١٥٤ ، ٢١٦
	نجم ١٩٢ ، ١٦٥

الميم

المنبي (أبو الطيب) ٢١٦ ، ٢٣١ ، ٢٢٧	محمد (صلعم ، النبي ، الرسول) ٥١ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٢٠ ، ١٠٥ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ١٢٨ ، ١٦٥ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ١٢٠
التوكل على الله (ال الخليفة) ٢٢٨ ، ٢٣٠	١٩٢ ، ٢٠٦ ، ١٩٨ ، ١٩٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣
المولدون ١٦٠ ، ١٥٩ ، ٤٩	ماريا تيريزا (دولار) ١٤٢
المجالي ١٩٤ ، ٢٣٢	مالك (بن حارثة الجداري) ٢٠٦
مجد الدين (لقب الفيروزابادي) ٢١٣	مالك بن الريب ١٥١
المحبّي (المؤرخ محمد أمين) ٢١٧	المؤمن (ال الخليفة) ٢٢٦
محمد (السلطان ، ابن السلطان ابراهيم) ١٩٣	مايو (شهر ، انظر نوار)
محمد بن ... ١٩٣	

محمد علي (ولي مصر) ٦ ، ٢٢٠ ، ١٥٣ ، ١٤٩ ، ١٤٨	٥٤ ، ١١١ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦
١٥٥ ، ١٥٤	٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١
المعاقلة ١٧١	٢١٨ (السلطان) ٢١٨
المعتر (ال الخليفة) ٢٢٨	٢١١ (صلاح الدين) ١٤٤
المعتمد على الله (ال الخليفة) ٢٢٨	١٥٠ ، ١٤٦
معروف ١٤٣	١٦٤ (بن ابرهيم) ٢٣١
المعروف (الاشيدياكون توما ديب) ٧	٦٦ (دليل الرسول (صلعم))
المعينيون ٢٢١	٢١٥ (الراعية)
المغازي ٣٠	٢٠٧ (بني ، من مزارة)
مقبول (الشيخ ، زعيم العمزان) ٣٠	١٣٩ ، ١٣٨ (مزينة)
الملائحة ١٩٦	١٤٦ (مسايدة)
الملكي (يوسف) ٤٦	١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ (مسالة)
المماليك ٢٢٥ ، ٢١٧ ، ٢٠٥	٢٢٨ (المستعين بالله (ال الخليفة))
مناجي ٥٠	٢٢٣ (السعودي)
المتفق ٨٤	٣٠ (ال سعوديون)
المنجد (الدكتور صلاح الدين) ٢٢٠	١٤٦ (المشاهير)
٢٢٨ ، ٢٢١	١١٥ (المشترك *)
منصور (بن عكرمة) ١٧٣	١٩٤ (مشع بن لقموش)
المنصور (ال الخليفة) ٢١٠	٩٧ (المضل)
المهدي (ال الخليفة) ٢١٠	١٠٩ (مطير)
المواسات ٢١٥	١٩٩ (معاذ)
الموالي ٤٨	١٤٢ ، ٣٤ ، ٣٢ (معازة)
الموهاب ١٧١	
موزيل (كاهن) ١٩٩	
موسى (نبي) ٥٣ ، ١٦٤ ، ٢٣١	
الموصلي (اسحق بن ابرهيم) ٢٠٧	
مولتكه (المرشال الالماني) ٢٠٥	

(*) طبعت خطأ بالقاف في بعض النسخ الأولى . يرجى تصويبها .

النون

- | | |
|---|---------------------|
| نوار (شهر، مايو) ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ | النایف ٥٨ ، ٢٧ |
| نياهور (نيبور) ٤٥ ، ٦٦ ، ٢٠٠ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٠ | نبهان (من طيء) ١٢٩ |
| نيابوهر (نيبور) ٤٥ ، ٦٦ ، ٢٠٠ ، ٣٩ ، ٤١ | النجرات ٢١٥ |
| نيسان (شهر، أبريل) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١٤٢ | التجدي (علي بن) ١٤٣ |
| | نصيّب (الشاعر) ٢٠٧ |

الماء

- | | |
|---|----------------------------|
| هلال (بنو) ١٤ ، ٨١ ، ١١٤ | الهادي (الخليفة) ٢١٠ |
| هارون الرشيد ١٢٨ ، ١٢١ | هارون الرشيد ٢١٠ ، ١٨٣ |
| همدان ١٢٩ ، ١٣٠ | هاماكر ٨٦ |
| هند الزباء ٢٠٣ | هامر (يوسف فون) ٦٠ ، ٢٠٤ |
| هند (القنوية) ٢٠٧ | هاني ١١٦ |
| هزازم (هوازن) ٧٧ ، ٧١ | الهباية ١٩٦ |
| هوغارث (المستشرق) ٦ | المحبوب ٤٨ |
| هولوينغ ٢٠٥ | هَتَّيم ١٥ ، ٣٥ ، ٨٤ ، ١٣٩ |
| المُحِمَّمْ بن عدّي ٢١٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٨٥ ، ٨٦ | ١٩٨ ، ١٨٤ ، ١٦٦ |

الواو

- | | |
|-------------------------|------------------------|
| الواقدي ١٥٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ | واصل بن عقبة (بنو) ١٤٤ |
|-------------------------|------------------------|

التعاليم ، الحركة الاصلاحية)	٢٢٦
، ٥٤ ، ٤٦ ، ٣٧ ، ٦ ، ٥	١٩٨ ، ٧٠ ، ٦٩ ،
إلى ١٠٣ ، ١٠١ ، ٧٦ ، ٥٥	٢٠٦
، ١٢٨ ، ١١٨ ، ١١١ ، ١٠٩	٢٣١
، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٥٥	ولد سليمان (من عترة) ١٨٠
، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠١ ، ١٧٨	ولد علي (من عترة) ١٨٠
٢١٢	وهاب (بنو . من عترة) ١٨٠
	وهابي (الوهابي . الوهابيون ، الدعوة ،

الياء

ياقوت (الجموي) ٦١ : ٦٣ ،	٦٥
٦٥	٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
يقدور (الملك) ١٩٥	٨٤ ، ٨٥ ، ٨١ ، ٧٩
يكيجاري (اطلب انكشاري)	٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٢ ، ٨٨
اليمانية ١٣٠	١١٣ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
يهود ٣٦ ، ١٦٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،	١١٥
يوحنا (يسحنة) بن رؤبة ٢٢٤ ،	١٣٢ ، ١٩١ ، ١٥١ ، ١٣١
٢٢٥	١٩٤ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٠ ، ١٩٤ ،
يوليوس ٢٣٠	٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢١ ، ٢١٦ ،
يوم الظلّة ٢٢٦	٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٦
اليونان ١٤٠	٧
	يزبك (يوسف ابراهيم)



فهرسة الكتب والمطبوع ودور النشر والمتاحف والجامعات الخ ...

- | | |
|---|---|
| (معجم الأدباء)
٢٣١
أرض الآباء
١٩٣ ، ٧
الاذدكار في ما عقده الشعراء من الآثار
١٩٥
استبول والبوسفور
٢٠٥
أسد الغابة في معرفة الصحابة
٢٢٠
الاسطرلاب
٢٣٠
الاشتقاد (لابن دريد)
٢٣٠
الأطلس الطبيعي
٢٢٦
الأعراف (سورة)
٢٣٢
أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب
٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٠
الأعلام (لزركلي)
، ٢٠٩ ، ٢٠٦
، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤
٢٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠
أقرب الموارد
١٤٦
أمثال عربية
١٩٧ | التوراة ١٩٤ ، ٢٠٢
الكتاب المقدس (الانجيل) ١١٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠
القرآن الكريم ١٠٦ ، ٧٦ ، ٧٠ ، ٦
٢٠٥ ، ١٧١ ، ١٠٨ ، ١٠٧
الانقان في علوم القرآن ١٩٥
أحسن التواريخ (للمدائني) ٢١٤
أخبار الدول وأثار الأول ١٦٥ ، ١٧٩
أخبار النبي ٢٣١
ارتياض العربية ٢٠١ ، ١٩٨ ، ٦ ، ٥
٢٠٢
اردكند (ارضكند) ١١٥ ، ٦٠ ، ٤٨ ، ٢٩ ، ٢٤
، ١٣٢ ، ١٢٩ ، ١٢١ ، ١١٧
٢٠٥ ، ١٩٢
إرشاد الاريب إلى معرفة الاديب |
|---|---|

- | | |
|---|--|
| تاریخ ثمود ٢٢٤ | أنساب الأشراف ٢٣٠ ، ٢٢٩ |
| تاریخ الخلفاء ١٩٥ | الأنساب (*) ١٥ ، ٦٩ ، ٦٨ ، |
| تاریخ الخمیسی ٦٨ | ١١٧ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، |
| تاریخ الدولة الاتابکية ٢٢٠ | ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ١٧٤ |
| تاریخ الدولة العلیة العثمانیة ٢١٨ | أنموذج الفنون ٢١٧ |
| تاریخ رشید الدین (جامع التواریخ) ٦٨ ، ٦٦ | أوضح المسالك (إلى معرفة البلدان
والملالك ، لمحمد السپاهی) ١٦٤ |
| تاریخ السلطنة العثمانیة ٢٠٥ | ٢١٧ ، ١٧٤ |
| تاریخ شرقی الاردن وقبائلها ، ١٩٤ | پایو (دار نشر بیاریس) ٢ |
| ٢١٦ ، ١٩٨ ، ١٩٦ | بحث في تاریخ العرب قبل الاسلام ٢٠٦ ، ١٥٠ ، ٦٧ |
| تاریخ مرو ٢٢٢ | بدائع الزهور في وقائع الدهور ٢١٥ |
| تاریخ مصر من الفتح العثماني إلى
قبل الوقت الحاضر ٢١٣ ، ٢١٢ | بساطین الاتقیاء ١٠٨ ، ٢١٢ |
| تاریخ المملكة العربية السعودية في
ماضيها وحاضرها ٢١١ | بصائر ذوي التميیز في لطائف الكتاب
العزيز ٢١٣ |
| تاریخ نجد ٢١٢ | البلغة في شذوذ اللغة ٢٦ |
| تاریخ نجد الحديث وملحقاته ٣٧ | بيوتات العرب ٢١٠ |
| تحفۃ العجائب ١٦٥ ، ١٧٤ ، ٢٢٠ | بيوتات قریش ٢١٠ |
| تحفۃ الكبار في أسفار البحار ٢٢٩ | بیلیوتویکا ساکرا ٢٠٢ |
| پذیل تاریخ بغداد للخطیب
التعازی ٢١٤ | تاریخ أبي الفداء ٢٢٥ |
| التعریف بطبع الأعشی ٢٠٤ | تاریخ الأدب الحغرافی العربي ٢٣٠ |
| | تاریخ الأشراف ٢١٠ |
| | تاریخ أصحابهان ٢١٣ |

(*) هو «أنساب العرب» للسمعاني ، ذكره فاليين مختصرًا ، على عادته في اختصار
أسماء بعض الكتب والمؤلفين والمصطلحات العلمية .

- | | | | |
|---------------------------------------|-------------------------------|--|-----------|
| الخليج العربي | ٢٠٨ | التفتيش عن الآثار التوراتية في فلسطين
والأقطار المجاورة | ٢٠٢ |
| دار صادر ودار بيروت للنشر | ٦٥ ،
٧٣ ، ٨٤ ، ١٥١ ، ١٩٣ ، | تقويم البلدان | ٢٢٥ ، ٢١٧ |
| | ٢٣١ | تقويم التواريخ | ٢٢٩ |
| دار الكتاب العربي بيروت | ٢٠٨ | الباسوس على القاموس | ٢١٤ |
| الدستور والادارة في السلطنة العثمانية | ٢٠٥ | جامعة برلين | ٢٠٥ |
| رحلات في الجزيرة العربية | ١٩٧ | جامعة غرونبلن | ٢٠١ |
| رحلة في سوريا والأراضي المقدسة | ١٩٧ ، ٦٦ | الجامعة اللبنانية | ٢٢٤ |
| الرسالة الجغرافية والفالكية(مجلة) | ٢٠١ | جامعة ليدن (مدرسة الاستشراق) | ٢٢٢ |
| الروض النسيم في مناقب السلطان ابراهيم | ٢١٧ | جامعة هيلسنكي | ٧ ، ٥ ، ٣ |
| الزهري | ٢٢٥ | جريدة (مجلة) الجمعية الجغرافية الملكية | ٥ ، ١ |
| سفر السعادة | ٢١٣ | جمعية الأبحاث الطبية ببرلين | ٢٠١ |
| سفر الملوك الثاني (بالتوراة) | ١٩٤ | جمعية الأبحاث الطبية ببيانة | ٢٠١ |
| صبح الأعشى في صناعة الانسا | ٢٠٤ ، ٢٠٣ | الجمعية الأفريقية البريطانية | ١٩٦ |
| الصحاح | ٢١٣ ، ٢٠٩ ، ٩١ | الجمعية الجغرافية الفرنسية | ٢٠٨ |
| ضوء الصبح المسفر وجئي الدوح المشر | ٢٠٤ | جمهورة النسب (لابن الكلبي) | ٢٣١ |
| طبقات الحفاظ | ١٩٥ | الجمهور (مجلة) | ٧ |
| طبقات المفسرين | ١٩٥ | جيوجرافيا ساكرا | ٦٦ |
| | | جييهان نامه | ٤٣ |
| | | حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة | ١٩٥ |
| | | خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (للمحي) | ٢١٧ |

القاموس (المحيط) ٤٨ ، ٢٩ ، ١٦	العبر (*) ١٤٤ ، ١٧٣
٢١٣ ، ١٨٥ ، ١٥٢ ، ١٥٠ ، ٧٩	علم البلاغة الفارسية ٢٠٥
القانون (**) ١٦٤	الفارياق ٢٠٦
قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب	فتح افريقيا ٢١٥
الزمان ٢٠٤	فتح العجم ٢١٥
الكامل في التاريخ ٢٢٠ ، ٢١٩	فتح مصر والاسكندرية ٢١٥
كتاب الاصنام ٢٠٧	الفتوح (فتح البلدان) ٦٤ ، ٦٥
كتاب البلدان (لبيقوبي) ١٧٣	فتح الشام ٢١٥
كتاب التوحيد في ما يجب من حق الله على العبيد ١٠٨	فرائد اللآل في مجمع الأمثال ٢٠٢
كتاب الحركات السماوية وجامع علم	الفهرست ٢١٥
	القاموس العربي الفرنسي (لقطر) ٢٠٦

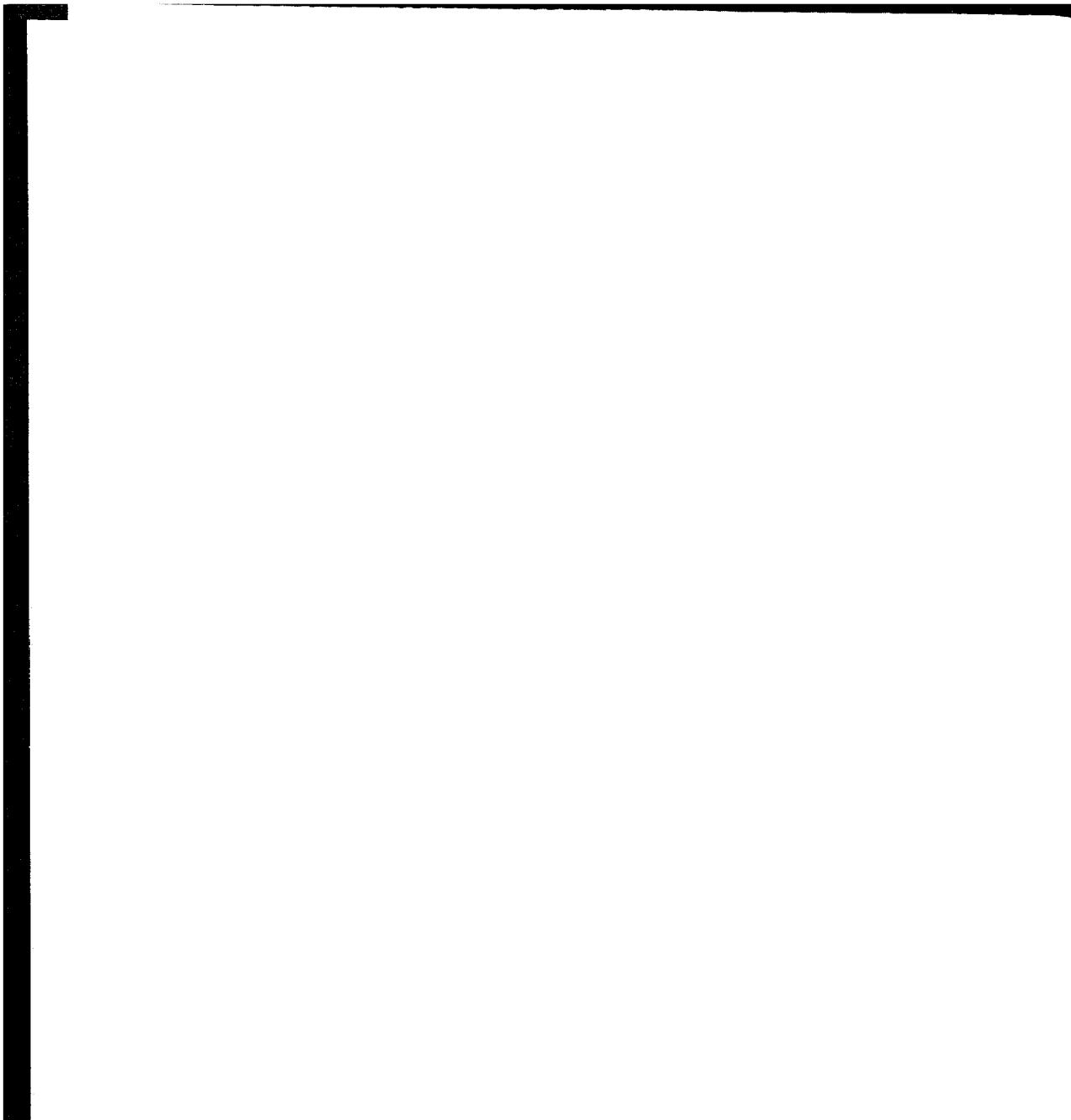
(*) ذكره ثالين مختصرًا . وهناك أكثر من كتاب يبدأ اسمه بكلمة «ال عبر» ، ففي التاريخ : «ال عبر في خبر من غير» للمؤرخ السوري الذهبي – وهو الذي يعنيه ثالين هنا – وقد أعادت وزارة الارشاد والأنباء في الكويت طبعه ، مشكورة ، في سلسلة مطبوعاتها القيمة «الترااث العربي» وهي سلسلة يشرف على تحقيقها نخبة من اعلام العربية .

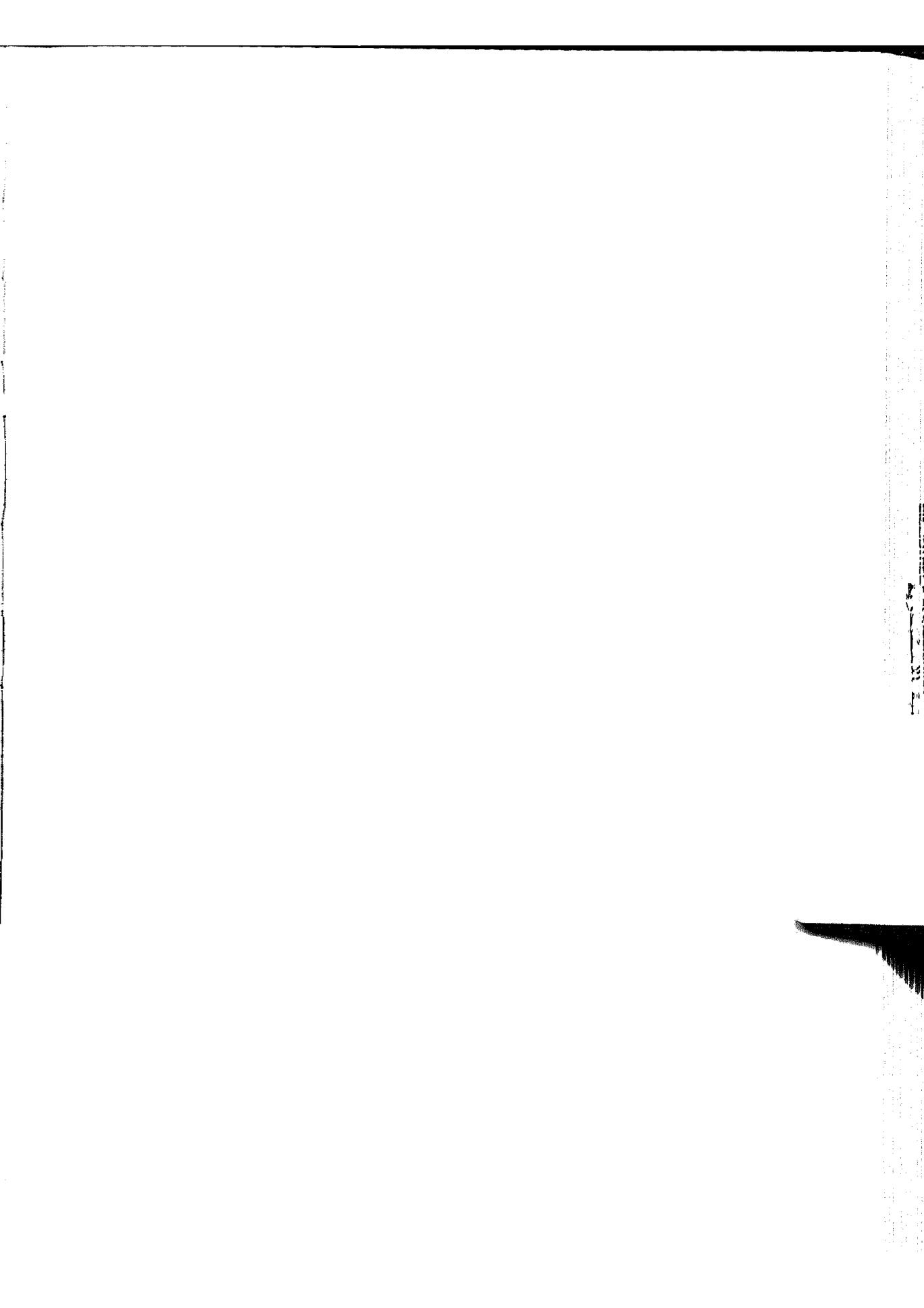
وذكر «ال عبر» أيضًا الزركلي باسم «ال عبر في اخبار البشر» – «الاعلام» : ٦ ، ٢٢٣ – ولابن خلدون «كتاب عبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر» ويعرف بتاريخ ابن خلدون العالم التونسي الشهير . وللمؤرخ اليمني ابن القاسم «ال عبر في ملوك حمير» . وهناك أسماء لكتب في الفقه والتصوف وسواهما تبدأ بكلمة «ال عبر» .

(**) هو كتاب «القانون المسعودي» في الهيئة والنجم والجغرافية للفيلسوف والرياضي المؤرخ أبي الريحان محمد البيروفي الخوارزمي (٩٧٣ - ١٠٤٨) قدمه للسلطان مسعود الغزنوي الذي كان نصير العلماء وقد اختصر ثالين اسمه ، كالعادة . وهناك كتاب آخر مشهور بالقانون وهو في الطب للفيلسوف الطبيب ابن سينا .

المجلة (أو الجريدة) الجغرافية الملكية	٢٣٠
بلوندرا ٥، ١	
محيط المحيط ، ٨٥ ، ٨١ ، ٧٥	٢١٢
٢٢٩ ، ٢٠٣ ، ١٢٧	٢١٢
مختصر تاريخ مصر ١٧٢	٢١٥
المختصر من أنساب البشر ٢٢٥	كتاب عهد أردشير ٢٢٩
مدرسة اللغات الشرقية بباريس ٢٠٦	كتاب الكبائر ١٠٨
مرأة الزمان ٢٠٩	كتاب كشف الشبهات ١٠٨
المردفات من قريش ٢١٤	كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه ١٠٨
مروج الذهب ومعادن الجرجر ٢٢٧	
مسالك الأ بصار ، ١٤٤ ، ١٧٢	كتاب مختصر المدى النبوى ٢١٢
المشترك (*) ، ١١٥ ، ٢٣١	كشف الظنون عن أسامي الكتب ٢٢٩
المطبعة الأميرية بالقاهرة ٢٠٧	والفنون ٢٢٩
مطبعة التقدم بمصر ٢١٩	كلية برلين الحربية ٢٠٥
مطبعة الجواهير باستنبول ٢١٤	لاروس (المعجم الفرنسي) ١٦٨
مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس ٢١٦	اللباب في تهذيب الأنساب ٢٢٢، ٢٢٠
المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ٢٦	اللسان ٢٧
٢٢٧ ، ٢٠٣	المتحف الأسيوي ٨٦ ، ٦٦ ، ٥
مطبعة مجلة «بيان» النجفية ١٩٣	المتحف البريطاني ، ١٦٤ ، ١٤٤ ، ٢١٧ ، ١٧٢
مطبعة المعارف بمصر ٢١٢	مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٧

- | | | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|-----------------------------------|------------------------|
| ملاحظات على البدو | ١٩٧ | المطر | ٢٦ |
| المنجد | ٢٣٠ | معجم الأدباء (ارشاد الأريب) | ٢٣١ |
| منشورات أوراق لبنانية | | معجم البلدان | ٥ ، ٤٢ ، ٥ ، ٦٣ ، |
| مير كاتور (خارطات) | ٢٠٨ | | ٧٩ ، ٧٢ ، ٦٩ ، ٦٦ ، ٦٥ |
| النجم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة | | | ، ١٩٣ ، ١٥١ ، ٩٢ ، ٨٤ |
| | ٢٠٩ | | ٢٣١ ، ٢١٦ ، ٢٠٧ ، ١٩٥ |
| نسب طيء | ٢١٠ | معجم الشعراء | ٢٣١ |
| نشق الأزهار في عجائب القطار | | معجم قبائل العرب القديمة والحديثة | |
| نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب | ٢١٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٦٥ | | ٢٣٠ ، ١٤٤ |
| | | المغازي النبوية | ٢١٥ |
| | ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ١٧٣ | المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام | |
| | ٢١٦ ، ٢٠٤ ، ١٩٣ | | ١٩٩ |
| التوادر | ٢٠٧ | مكتبة جامعة كبريليج | ١٩٧ |
| هود (سورة) | ٢٣٢ | المكتبة المقدسة (كتاب) | ٢٠٢ |





This book «**Suwar Min Shamali Jazirat Al-Arab**» covers an important subject concerning the Arabic-speaking world, dealing in particular with the Arabic Peninsula, its topography, people, language, civilization, and religious observance, and it also assesses this area's contribution in promoting culture and civilization.

Since the first edition is out of print, and in view of the great demand and the rarity of the subject, the publication of this second edition is long overdue.

Mr. Toufic Fadel, the Honorary Consul of Finland in Beirut, Lebanon, has been a guiding light in the publishing and distributing of both editions of this valuable book, recognising its scope in improving and strengthening relations between Finland and the whole of the Arab-world. For this he deserves the gratitude of each and every reader of this unique and important treatise.

Helsinki June 1991

Faruk Abu-Chacra
Senior Lecturer in Arabic
Department of Asian and African Studies
University of Helsinki
Finland

Wallin left for his journey in July 1843 via Paris, where he stayed some time, continuing to Cairo in January 1844, where he stayed one year, in April 1845 he left Cairo passing through Sinai and the desert of Al-Jawf. After four months he went on to the holy Mecca, where he performed the ceremonies of pilgrims. He also performed the prayers and named himself **Al-Haj Abd-ul-Wali**. In March 1846 he returned to Cairo, stopping briefly before commencing his second trip in 1846, this time to Palestine. He returned again to Cairo in June 1847.

At the end of the year **Abd ul-Wali** made his third trip, the longest one, setting out from Egypt to the Red Sea, then on to the port of Muwaylih on the west coast of the Arabic Peninsula and from there across the desert to Baghdad, Ispahan and Shiraz in Persia. Then he returned to Baghdad and from there went to Damascus, Beirut and by sea to Alexandria. He arrived in Cairo in June 1849 and from there he returned to Alexandria and Europe, passing through London in order to receive the prize of the «**Royal Geographical Society**» in recognition of the fact that he was one of the first Europeans to cross the North of the Arabic Peninsula. On returning to Helsinki, Wallin defended his second dissertation on the figure of «**Ibn al-Fared**». Abd-ul-Wali was appointed to the chair of Oriental studies at the University of Helsinki. It was to be a brief appointment however since Wallin died on the 23rd of October 1852, a day short of his 41st birthday.

Abd-ul-Wali brought back with him some of the Arabic manuscripts as well as his copious diaries, recording his impressions and experiences during his trips. These documents are preserved in the library of the University of Helsinki. Wallin's untimely death prevented him from publishing the material, which is widely regarded as a cultural and scientific treasure trove.

However, a catalogue of this material, has been published by the late professor Jussi Aro who, together with the Lebanese team Yazbeck and Shibli, contributed to the realization of this book.

Wallin's tomb is in Helsinki and his Arabic name, **Abd ul-Wali**, is engraved in Arabic script. On the first page of this book there is a reproduction of an oil painting depicting him in his Arabic costume. The portrait hangs in the most important hall in the University of Helsinki.

rely scientific, it was free from fanaticism and prejudices and had no expansional or colonial purposes. Furthermore, the Finnish and Scandinavian museums do not possess objects and antiquities plundered from the Arabic area.

One can say that the Finnish Orientalists have been treated with injustice and negligence by the researchers. And that is why, the historian Dr. Youssef Yazbeck and the Translator Prof. Samir Chibli deserve thanks and appreciation for their contribution in presenting the person of George August Wallin (Abd ul-Wali) and producing this book «**Suwar Min Shamali Jazirat Al-Arab**» in the Arabic language.

The Arabist George August Wallin, the most famous of the Finnish orientalists, was born in 1811 in one of the islands in the Alan archipelago situated between Finland and Sweden. At the age of six, Wallin moved with his family to the city of Turku, in the southwest of Finland, where he also went to school. In 1829 he moved to the new capital of Finland, Helsinki and began his studies of Oriental languages, concentrating on the Arabic language and culture. His first dissertation, written in 1839, was entitled **A comparison between literary and spoken Arabic**. With this qualification secured, Wallin moved to the University of St. Petersburg (now Leningrad) in Russia. At that time Finland was a Russian Grand Duchy following to Sweden's defeat in 1809 in the war against Russia. Wallin stayed in St. Petersburg for two years in order to deepen his knowledge of Arabic with the Egyptian professor Sheik Muhammed Ayyad al-Tantawi. Tantawi was one of the most distinguished professors to have taught Arabic in St. Petersburg. Wallin also set about studying and researching **Arabic poetry** and **Maqamat al-Hariri** (a well-known work of rhythmic prose by al-Hariri from the eleventh century) and **A Thousand and one Nights**.

Curiosity and a desire for knowledge of Islam and the lifestyle in the Arabic Peninsula were perhaps the main enticements for Wallin to leave his native country in spite of the dangers of travelling at that time, especially in the desert, without any comforts or supplies, under the heat of the burning sun and exposed to the bites of insects. The only means of transportation were camels and donkeys and very often the traveller had to proceed by feet.

After having received a scholarship from the University of Helsinki,

THE FINNISH ARABIST-ORIENTALIST - GEORGE AUGUST WALLIN -

FOREWORD OF THE SECOND EDITION

Relations between Arabs and Scandinavians date back to the eighth century AD. This fact is confirmed by the famous Arab explorer **Ahmed Ibn Fadlan** in his travel account from the year 922 AD (edited by D. Sami al-Dahhan, Damascus, 1959), which is considered by scientific institutions and experts in the field to be one of the most important sources available on the Vikings. The Finnish museums provide further good examples of these relations: they display small antiquities, in particular coins, which go back to the Abbaside time. These coins were brought to the North by the Vikings through the Arabic-Islamic empire and through the trading links in the eighth century AD.

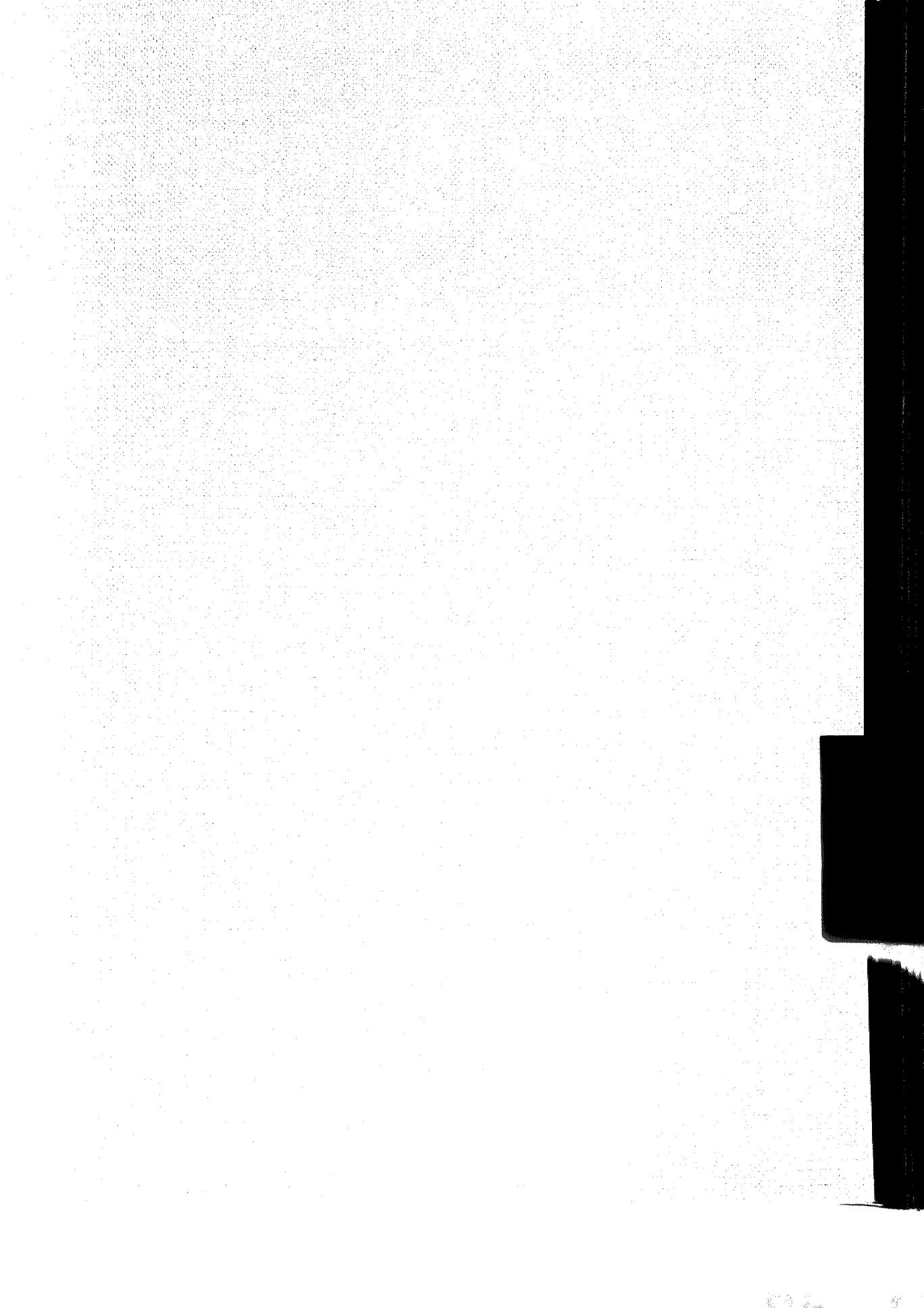
Oriental studies in Finland go back to 1640, when the first university was established in the city of Turku, at that time, the capital of Finland. Throughout its history a number of scientists have worked at this university researching in different fields of Arabic and Islamic studies and these studies still hold a central position in the Department of Asian and African studies at the University of Helsinki.

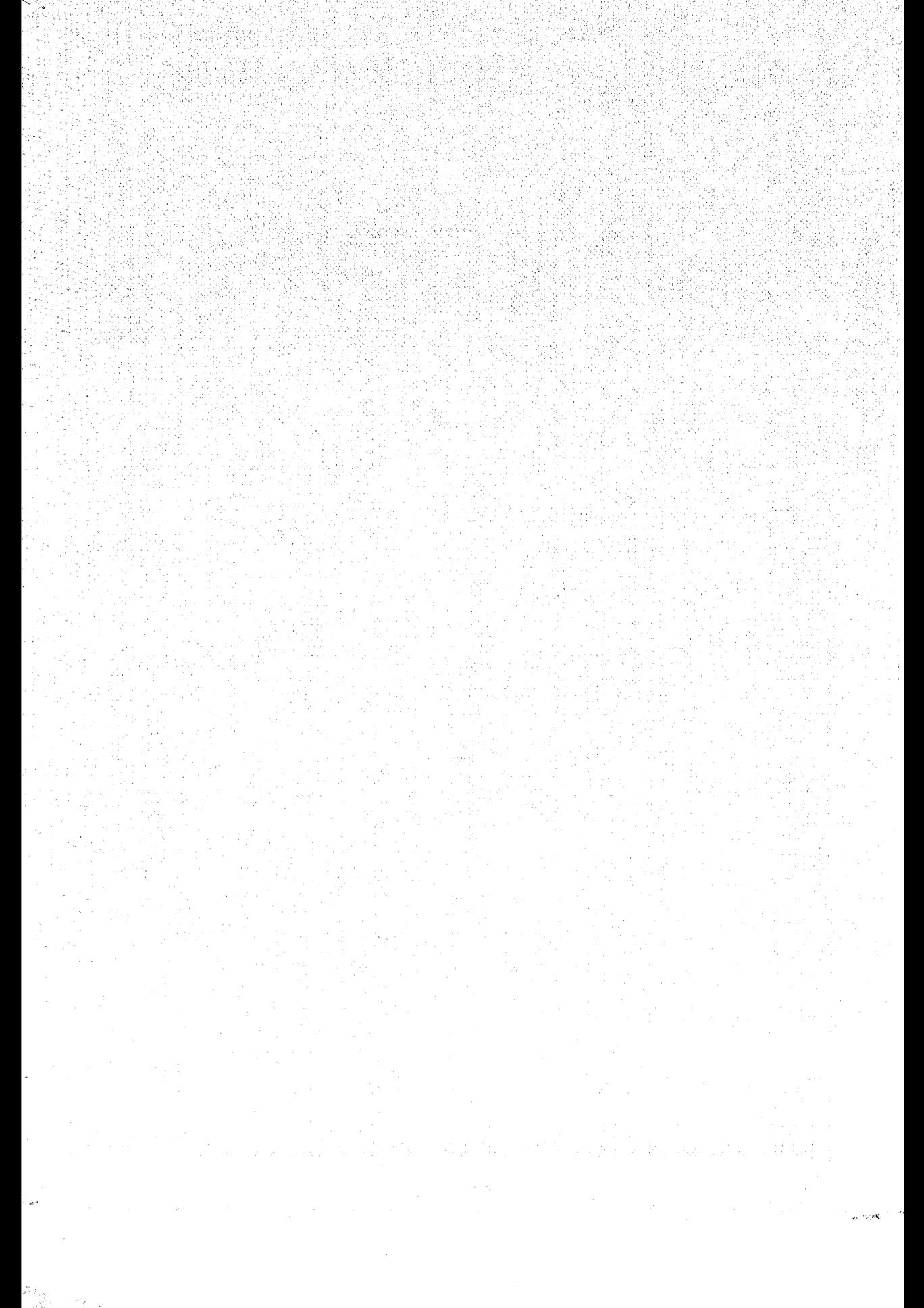
Some of the Scandinavian orientalists were attracted by the Arabic-speaking area, especially the Eastern part of it, which they recorded and described on the basis of first-hand experience.

Through their research, investigations and visits to a variety of locations they contributed by transferring an accurate picture of the Arabic-speaking area to Finland, as well as by studying the Arabic culture and Islam.

They established the teaching of the Arabic language and culture at the University and put it into practice, bringing up generations of orientalists who carried the banner on. For the Finnish orientalists the main ambition for exploration and research into the Arab-Islamic heritage was pu-







“Scenes From The Northern Arabic Peninsula”
“Suwar Min Shamali Jazirat Al-Arab”

By
George August Wallin



from English by
Samir Chibbi

Realized in Arabic by the historian
Dr. Youssef I. Yazbeck